الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة المجاهدين وذوي الحقوق

المركز الوطني للدراسات والبحث

في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

المصادر

دراسات في المقاومة الشعبية

والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

مجلة علمية أكاديمية نصف سنوية محكمة

- المجلد: الثامن عشر(18) العدد: الثاني(02)

- العدد التسلسلي: الثاني والثلاثون(32)

EISSN: 2588-2058	ISSN: 1112-2668	الإيداع القانوني: 1421-1999 –

ذو الحجة 1444هـ/ جويلية 2023م

- بطاقة تعريفية:

أنشئ المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954** -جهة إصدار المجلة- بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم **94-42** المؤرخ في **17** شعبان عام **1414**هـ الموافق لـ **29** يناير سنة **1994**م المعدل والمتمم بموجب المرسوم التنفيذي رقم **03-373** المؤرخ في **3** رمضان عام **1424**هـ الموافق **29** أكتوبر سنة **2003**م.

وتم تحويله إلى مؤسسة عمومية ذات طابع علمي وتكنولوجي (EPST) بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم **11-396** المؤرخ في **28** ذي الحجة **1432**هـ الموافق لـ **24** نوفمبر سنة **2011**م وفي هذا الإطار يكلف المركز على الخصوص بما يأتي:

- جمع العناصر الضرورية لتحديد مشاريع البحث الواجب إنجازها وكذا المعطيات التي تسمح ببرمجتها وتنفيذها وتقييمها.
- دفع وتنشيط الاستيعاب والتحكم في تطور العلوم والتقنيات وكذا الإبداع التكنولوجي في ميدان نشاطها.
- جمع المعلومات العلمية والتقنية ومعالجتها وضمان المحافظة عليها.
- المساهمة في تثمين نتائج البحث مع السهر خاصة على نشرها واستغلالها.
- ضمان التنسيق وحدات البحث ومخابر البحث وفرق البحث ومتابعتها.
- إجراء الدراسات المتعلقة بالمقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة التحرير الوطني وتشجيع البحث فيها وترقيته.
- جمع المعطيات والوثائق والمواد المتعلقة بموضوعه ومعالجتها.
- اقتراح تدابير من شأنها إثراء برامج التعليم المتعلقة بالمقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة التحرير الوطني.
- تنظيم الندوات والملتقيات الوطنية والدولية والمشاركة فيها.
- إجراء الدراسات المتعلقة بالمقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة التحرير الوطني وتشجيعها.
- تفعيل البحث على الوثائق المتعلقة بالتراث التاريخي والثقافي ذات الصلة بالحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.
- تنشيط وتشجيع الدراسات التاريخية المتعلقة بميدان اختصاصه
- المشاركة في نشر المعرفة والوعي التاريخي من خلال إصدار المجلات والكتب.

- هيئة التحرير

- الرئيس الشرفي للمجلة:

وزير المجاهدين وذوى الحقوق

السيد: العيد ربيقة

- مدير المجلة:

الأستاذ الدكتور: نور الدين السد

مدير المركز الوطنى للدراسات والبحث فى الحركة الوطنية

وثورة أول نوفمبر 1954

- رئيس التحرير:

الدكتور: عبد الستار حسين

مدير مساعد مكلف بالبحث العلمى

- نائب رئيس التحرير:

الأستاذ: نوار نسيم

المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة

- أمانة المجلة:

السيدة: زهرة ساحد

السيدة: سليمة إيدير

السيدة: نصيرة طايبي

- الهيئة الاستشارية

أ.د/ ناصر الدين سعيدوني	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
أ.د/ بوعزة بوضرساية	جامعة البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج
أ.د/ دحو فغرور	جامعة وهران 1 - أحمد بن بلة
أ.د/ أحمد مريوش	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ.د/ محمد القورصو	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
أ.د/ منصف بكاي	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
أ.د/ عمر بن خروف	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
أ.د/ إسعد لهلالي	جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2
أ.د/ سلوى لهلالي	جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2
أ.د/ أحمد بن جابو	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ.د/ برابح محمد الشيخ	جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة
أ.د/ شايب قدادرة	جامعة 8 ماي 1945 - قالمة
أ.د/ عبد الله مقلاتي	جامعة محمد بوضياف - المسيلة
أ.د/ لياس نايت قاسي	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ.د/ حسان مغدوري	جامعة زيان عاشور - الجلفة
أ.د/ بن عمر حمدادو	جامعة وهران 1 - أحمد بن بلة
أ.د/ شاشوة كمال	المركز الوطني للبحوث العلمية - فرنسا
أ.د/ مصطفى عاشوي	الجامعة العربية المفتوحة - الكويت
أ.د/ معمر العايب	جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
أ.د/ كمال حمزي	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
أ.د/ مليكة القورصو	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
أ.د/ فلة موساوي القشاعي	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
أ.د/ دويدة نفيسة	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ.د/ الغالي الغربي	جامعة يحيى فارس - المدية

- الهيئة العلمية

أ.د/ رضوان شافو	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
أ.د/ هلايلي حنيفي	جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس
أ.د/ إسعد لهلالي	جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2
أ.د/ حميد أيت حبوش	جامعة وهران 1 - أحمد بن بلة
أ.د/ عمر بوضربة	جامعة محمد بوضياف - المسيلة
أ.د/ محمد ودوع	المركز الجامعي مرسلي عبد الله - تيبازة
أ.د/ بيبة نجاة	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
د/ نبيلة بن يحيى	جامعة الجزائر 3 - الجزائر
د/ رانية مخلوف	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
د/ بوذريعة ياسين	جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة
د/ مصطفى سعداوي	جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة
د/ عبد الحفيظ عبد الحي	جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي
د/ رشيد مياد	جامعة يحيى فارس - المدية
د/ حسين الحاج مزهورة	جامعة مولود معمري - تيزي وزو
د/ وهيبة قطوش	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
د/ مليكة بلقاضي	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
د/ درعي فاطمة	جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر
د/ مولود قرين	جامعة يحيى فارس - المدية
د/ عبد الرحمن بن بوزيان	جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
د/ محمد مبارك كديدة	جامعة تامنغست
د/ علال بيتور	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
د/ محمد الأمين ولد أن باريك	جامعة حائل - السعودية
أ/ نوار نسيم	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ/ أمير يوسف	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة

- قواعد النشر وضوابط المراجعة والتحكيم

- المصادر (دراسات في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**) مجلة أكاديمية نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954** تعنى بنشر المواد العلمية والأوراق البحثية من المقالات والبحوث وكل ما له علاقة في محتوى مضمونه بتاريخ الجزائر المعاصر في كل جوانبه سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا خلال الفترة الممتدة ما بين (**1830-1962**) ضمن مجال التأريخ للمقاومة الشعبية المسلحة ضد الاستدمار الفرنسي. كذا البحث في أصول الحركة الوطنية والعمل السياسي. ودراسة كل ما له علاقة بجذور الثورة التحريرية والعمل المسلح من أجل استرجاع السيادة الوطنية.

وعليه فإن المركز اختار أن تكون مجلة المصادر (دراسات في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**) لسان حاله في مجال النشر الأكاديمي نشرا للدراسات والأبحاث ذات العلاقة بالتاريخ الوطني الجزائري المجيد، وعلى هذا فإن هيئة تحرير المجلة تشترط على من يرغب في نشر أعماله فيها التقييد بقواعد وضوابط النشر التالية:

- موضوع المقال متميز بالجدة والأصالة والإثراء المعرفي ولم يسبق نشره من قبل
- حجم المقال لا يقل عدد صفحاته عن **12** ولا يزيد عن **25** وألا تتجاوز نسبة الأشكال والرسوم والملاحق **20** بالمائة من حجم المقال
- إدراج الهوامش يكون بصيغة أوتوماتيكية في نهاية المقال على شكل أرقام متسلسلة
- التقيد بالخط والحجم المحدد فالمقالات المحررة باللغة العربية يكون الخط فيها مكتوب بـــــ: (Traditionnel Arabic) حجم **16** بالنسبة للمتن وحجم **12** بالنسبة للهامش؛ أما المقالات المكتوبة باللغة الأجنبية يكون الخط فيها مكتوب بـــــ: (Times New Roman) حجم **12** بالنسبة للمتن وحجم **10** بالنسبة للهامش
- حواشي الورقة (Mise en page-Marges) من كل الجهات **02** سم
- سلامة لغة المقال من الأخطاء اللغوية والنحوية مع مراعاة علامات الوقف المتعارف عليها وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط
- اتباع القواعد الأكاديمية المتعارف عليها في طريقة التوثيق الكامل

بالهامش وذلك بتدوين جميع المعلومات الواردة في المصادر والمراجع محل الإحالة أو الاقتباس وذلك ذكر: (المؤلف: العنوان، الطبعة، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر، الجزء، الصفحة)

- يدون عنوان المقال في أعلى الصفحة الأولى بخط بارز، وأسفلــه على جهة اليسار من الصفحة اسم المؤلف ودرجتــه العلمية وأسفل منها المؤسسة التي ينتمي إليها

- إدراج ملخص المقال باللغتين (العربية والإنجليزية) في الصفحة الأولى في حدود **100-150** كلمة

- إدراج على الأقل **05** كلمات مفتاحية دالة على محتوى نص المقال باللغتين (العربية والإنجليزية)

- ترسل المقالات إلى حساب مجلة المصادر عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية (ASJP):

https://www.asjp.cerist.dz/revues/**29**

- ترسل السيرة الذاتية للمؤلف إلى البريد الإلكتروني التالي:

el.macadir.**2022**@gmail.com

- تخضع المقالات المقدمة للنشر للمراجعة والتقييم من قبل الأساتذة الخبراء على أن تتم العملية في سرية تامة، في حين يحتفظ القائمون على المجلة بحق نشر الأعمال المقبولة حسب التوقيت الذي يرونه مناسبا، وعلى هذا الأساس تقوم أمانة المجلة بإخطار الباحثين بالقرار النهائي المتعلق بالقبول أو التعديل أو الرفض عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية، على أن المجلة غير ملزمة بإبداء أسباب الرفض وعدم النشر إلا في الحدود العلمية

- يخطر المؤلف بوضعية مقاله (القبول أم الرفض) في أجل أقصاه شهرين ابتداء من تاريخ إرسال المقال

- يقوم المؤلف المقبول مقاله للنشر بالتوقيع على تعهد وإقرار بأن مقاله محل النشر لم يسبق له نشره من قبل

- ترتيب المواد المنشورة في أعداد المجلة يخضع لضوابط فنية ومطبعية لا علاقة لها بالمستوى العلمي للمقال أو مكانة صاحبه الوظيفية

- لا تتحمل هيئة التحرير أية مسؤولية عن الموضوعات التي يتم نشرها في المجلة وعليه يتحمل المؤلف المسؤولية الكاملة عن الكتابات التي تنتهك الحقوق الفكرية للمؤلفين أو أي حقوق أخرى

المواد المنشورة في المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها

ولا تلزم بأي حال من الأحوال القائمين عليها

ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز (جهة الإصدار)

– المراسلة والاشتراك: توجه طلبات الاشتراك إلى السيد مدير المجلة

الأستاذ الدكتور: **نور الدين السد**

مدير المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ

للمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

– العنوان: 63 شارع انتصار 23 نوفمبر 1836 الأبيار (الجزائر)

– الهاتف: 023.05.10.73

– الموقع الإلكتروني: www.cnerh-nov54.dz

– البريد الإلكتروني: cnerh@cnerh-nov54.dz

- فهرس العدد:

- المجلد: الثامن عشر(18) - العدد: الثاني (02)
- العدد التسلسلي: الثاني والثلاثون (32) / جويلية (2023)

*** كلمة العدد ***	كلمة وزير المجاهدين وذوي الحقوق - السيد: العيد ربيقة الرئيس الشرفي للمجلة	13
*** التقديم ***	-الأستاذ الدكتور: نور الدين السد مدير المجلة	17
*** الافتتاحية ***	- الدكتور حسين عبد الستار رئيس التحرير	21
آثار ومخلفات الاحتلال الفرنسي في الجزائر من 1830م إلى 1962م	- الدكتور: ناصر بوقرو جامعة يحيى فارس- المدية	27
الصحافة الإصلاحية في الجزائر وأهم انشغالاتها جريدة المنتقد أنموذجا 1925م	- الدكتورة: آمال معوشي جامعة محمد بوضياف - المسيلة	63

موقف بن يوسف بن خدة من أزمات حركة انتصار الحريات الديمقراطية (1946-1954م)	- الدكتور: رشيد مياد رئيس قسم التاريخ	111
صورة الثورة التحريرية في المسرح الجزائري (1954-1962م)	- الدكتور: حميد قرينلي جامعة يحيى فارس- المدية	127
محطات ثورية للشيخ إبراهيم بيوض من خلال مذكراته "أعمالي في الثورة" ودورها في عملية التوثيق لتاريخ الثورة	- الدكتورة: يمينة بن رحال جامعة محمد بوضياف - المسيلة	143
البعد الشعبي في نشأة جبهة التحرير الوطني (1954-1962م)	- الأستاذ الدكتور: حكيم بن الشيخ جامعة يحيى فارس- المدية	167
الطالب العربي قمودي واستراتيجية الثورة الجزائرية في منطقة الحدود الشرقية الجنوبية (1955-1957م)	- الأستاذ الدكتور: عبد الله مقلاتي مدير مخبر تاريخ الثورة الجزائرية	183

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾

سورة الأحزاب

الكلمة - التقديم - الافتتاحية

*** كلمة العدد ***

وزير المجاهدين وذوى الحقوق

السيد: العيد ربيقة

تاريخ الجزائر سلسلة متصلة ومتواصلة من البطولات والتضحيات صنع مجدها الأبطال وسطر شموخها الأحرار من رافضي الخضوع والخنوع من أبناء هذا الشعب الأبي.

لطالما دونت صفحات التاريخ عظمة الشعب الجزائري عبر مختلف محطاته من لدن العهد الروماني إلى حقبة الإستعمار الفرنسي، ملاحم تترى وتتابع فيها قصص المقاومة والصمود، يواجه فيها الجزائريون أعتى قوى البطش والطغيان، كان سلاحهم فيها تلكم القلوب الثابتة وذالكم الإيمان الراسخ المسقي بدماء الشهداء، قوافل تتلوها قوافل من خيرة أبناء هذا الوطن، تشكلت فيها ومن خلالها الذاكرة الوطنية المعاصرة عبر مراحل المقاومة الشعبية التي ضرب بها الشعب الجزائري أروع أمثلة الشجاعة والإقدام في مواجهة أقوى الجيوش الأوروبية، وكذا إبان فترة نشاط الحركة الوطني بمختلف أطيافها والتي ساهمت في تبلور الهوية الجزائرية ونضج فكرة إسترجاع السيادة الوطنية، يقول مفدي زكرياء مخاطبا الحشود المتجمعة بمدينة بوفاريك من سنة **1937**م خلال اجتماع لحزب الشعب الجزائري: "هذه الأرض ملكنا ويجب أن نسترجعها، لا تنسوا أن أجدادنا شكلوها بدمائهم، ودُفنت عظامهم في كل مكان قاتلوا فيه للحفاظ عليها، يجب أن

نتحرك ونكون جديرين بالانتماء".

لقد ظلت الأمور تتفاقم، لكن الشعب الجزائري ظل على وعيه بأهمية تحرير بلاده واستقلاله التام عن فرنسا، ولم يمضِ وقت طويل حتى استغلت فرنسا قيام بعض التظاهرات في الثامن من مايو **1945**م في عدد من المدن الجزائرية، فقامت بارتكاب أكبر مذبحة في تاريخها الإستعماري الحافل بالمجازر والفضائع، حيث سقط في يوم واحد أزيد من **45** ألف شهيد، فاعتبر ذلك تحولا مهما في كفاح الجزائريين من أجل الحرية والاستقلال، إذ أدركوا أن لا سبيل لتحقيق أهدافهم سوى العمل المسلح الشامل، فانصرف الجهد إلى جمع السلاح وإعداد الخلايا السرية لتفجير الثورة التحريرية، وهكذا توجت هذه المرحلة من النشاط الحزبي والعمل السري بمختلف فعالياتها بتأسيس جبهة وجيش التحرير الوطني.

لقد تجلت عظمة الثورة الجزائرية في أنها دخلت الوجدان والوعي العربي -بحكم العوامل المشتركة- والعالمي -بحكم المبادئ والقيم الإنسانية-، فاستحقت جدارة التعاطف والتضامن والإسناد بمقدار ما قدمت من جهاد نادر، وعناد صلب، ودماء فضحت الوجه الأبشع للاستعمار الفرنسي ليظهر على حقيقته من التوحش والغطرسة.

لقد استقطبت الثورة وبخاصة في عقدها الأخير آمال وأحلام كل أباة الضيم، والطامحين للتحرير والكرامة. ولعل أنبل آيات الثورة الجزائرية التي نحتفل بذكراها هذه الأيام، أنها تحولت إلى رمز كفاح وقضية تحرير وطني عالمي بفضل شلالات الدماء التي قدمتها فأصبحت قدوة للشعوب المضطهدة والمغلوبة.

يقول الكاتب البريطاني مارتن إيفانز أستاذ التاريخ بجامعة بورتسموث

في مؤلفه: (الجزائر حرب فرنسا غير المعلنة) الذي صدر عام **2012**م عن منشورات جامعة أكسفورد، تم غزو الجزائر في عام **1830**م، وسكانها مليون مستوطن تعايشوا بشكل مضطرب مع تسعة ملايين مسلم وكانت الجزائر مختلفة عن المستعمرات الفرنسية الأخرى لأنها كانت تدار كجزء لا يتجزأ من فرنسا، هذا يفسر عمق عملية الاستعمار وحجمها، ولماذا كانت عملية إنهاء هذا الإستعمار واحدة من أطول وأعنف الصراعات التي شهدها العالم. ففي تلك الحرب غير المعلنة يضيف مارتن إيفانز وقعت أعمال العنف تركت جراحاً عميقة في المجتمع الجزائري وآثار ذات دلالة على المجتمع الفرنسي، يؤكد مارتن إيفانز على تضارب القيم غير القابل للتسوية في نهاية المطاف بين الجبهة الجمهورية والقومية الجزائرية، موضحا كيف أن هذا الصدام أنتج أنماطا من التفكير والعمل، مثل إضفاء الطابع المؤسسي على التعذيب، والتي استقطبت الخيارات بشكل مأساوي.

واليوم ونحن نسترجع ذكرى إسترجاع السيادة الوطنية وفي غمرة الإحتفالية بستينية الإستقلال نقف باحترام إحياءً لذكرى أجيال متتابعة من الجزائريين امتلكت من الإرادة والتصميم ما يكفي لتحقيق الإنتصار الكبير، الذي قدم مثالاً ونموذجاً لكفاح الشعوب من أجل حريتها.

في حين يأتي هذا العدد الجديد من مجلة المصادر ليثري المكتبة الجزائرية بدراسات تاريخية وبحوث أكاديمية تساهم في التأريخ لفترة من أهم فترات تاريخ الجزائر ألا وهي مرحلة الكفاح السياسي وما تلاها من العمل الثوري، كل هذا ترسيخا للذاكرة الوطنية في عقول وقلوب الناشئة، ليتم بها تحقيق الغاية من تعزيز رابطة الأجيال القادمة بتاريخها المجيد، ولتستفتح به العهد الجديد بكل عزيمة وإصرار على صون أمانة شهدائنا الأبرار،

وحفظ وديعة مجاهدينا الأخيار، ولتبقى الجزائر شامخة شموخ جبالها الراسيات.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، عاشت الجزائر حرة مستقلة.

*** التقديم ***

الأستاذ الدكتور: نور الدين السد

مدير المجلة

*** الإفتتاحية ***

الدكتور: حسين عبد الستار

رئيس التحرير

التاريخ في ظاهره لا يزيد عن الإخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأُولى تَنمو فيها الأقوال، وتُضرب فيها الأمثال، وهو أيضا في باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، وهذا مجمل رأي ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع والعمران، ومن أوائل الذين تكلموا في تفسير التاريخ وفلسفته.

إن كتابة التاريخ أقدم ما باشره الإنسان أمام وجوده ومحيطه، وقد تمثّل الإنسان محيطه فعلا وانفعالا، وقدّم الدليل على كلّ حركة من حركاته في الزمان والمكان، ولذلك كان الوعي بالتاريخ ليس حفظا للذاكرة وتسجيلا للحدث -على ما فيه من أهمية بالغة- بقدر ما هو إنما إعمالا للتفكير، واستنتاجا للعبرة والعظة، وامتلاك المؤهل لاستيعاب الحاضر وتفسيره، والتنبؤ بتداعياته ومآلاته وعواقبه.

التاريخ شاهد الأزمنة وحياة الذاكرة، يحتاجه الناس على اختلاف مشاربهم وتفاوت ثقافاتهم، لهذا جاءت مجلة المصادر (دراسات في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**) بأهداف موضوعية ورؤى مستقبلية تُمكن الباحثين الأفاضل من تقديم طرح جديد للتاريخ الوطني بحلة مختلفة شكلا ومضمونا، بعيدا عن تلك التصورات التي تنعته

بالجمود والتعقيد، تكون في مستوى التطلّعات، لعلّها تقدّم علما نافعا وبحثا رائدا. إن الدراسات والأبحاث التي حوتها طياتها خاصة هذا العدد الثاني والثلاثين من أعدادها لتأكيدا على أن القصد من بعث هذه المجلة -في صورتها الجديدة- هو بث روح الرسالية في الأوساط العلمية التي تعد من أهم غاياتها وأسمى أهدافها تحصيل العلم والتعليم وفق مفاهيم سليمة وقواعد قويمة.

على أننا كنا ولا زلنا نسعى جاهدين من خلال تعاقب أعداد هذه المجلة أن نلتزم طريق الحق والحقيقة بكل موضوعية ووضوح، ذلك أن الغاية المرجوة من المصادر هي أن نقدم للسادة القراء عموما وللطلبة التاريخ خصوصا مادة بحثية تخضع لمعايير علمية وأكاديمية أساسها ربط العهد الجديد وناشئته بالتاريخ المجيد لصانعيه وأبطاله ضمن سياق الذاكرة الوطنية الجزائرية.

إن مجلة المصادر بخطها العام في إطار مقاصدها وطبيعتها الوطنية الرامية لتعزيز روح المواطنة والانتماء للجزائر تاريخا ومجدا سطرته تضحيات المقاومين وبطولات المجاهدين ودماء الشهداء، وعليه فالمصادر تشجّع كلّ الدراسات العلمية النوعية التي تروم تحقيق أهدافها، فتفتح المجال للبحوث التاريخية المتخصصة في تاريخ الجزائر بصفة عامة، فضلا عن الدراسات القائمة على مسالك الفحص والتمحيص العلميين، ولهذا لن يضيق صدر القائمين على المجلة بالنقد البناء المقدم لمختلف أعدادها في الإطار العلمي الهادئ والهادف.

تعد مجلة المصادر فضاء علميا نزيها لنشر الدراسات المعرفية والأبحاث الأكاديمية الجادة والمنضبطة بأصول المنهجية العلمية، ولهذا يرحّب القائمون

على المجلة بكلّ دراسة جادة تتسّم بالجدة في الطرح والجراءة في الكتابة، وتتناغم مع حاجاتنا الفكرية والحضارية المعاصرة، ذلك أن المصادر تروم تحقيق وثبة علمية ومنهجية في كتابة التاريخ الوطني بخاصة وهي تأسس لعهد جديد ومسار مستحدث لخط نشرها ضمن فعالية الاحتفال السنوية المخلدة لعيد الاستقلال **05** جويلية **2023**، على أن الأمل معقود بالسعي والجهد لتحقيق قفزة نوعية ضمن منشورات المجلة، تمثل في الواقع وسيلة لتحقيق وثبة نوعية، نهجا وفلسفة، ومن مقتضيات هذا المسلك، العمل على بعث ثقافة المشاركة في التفكير وإعادة كتابة التاريخ -وبخاصة تاريخنا الوطني- بالتركيز على الفضائل المبثوثة في مسالك تفكيرنا وخطط تدبيرنا.

مع تتابع أعداد مجلة المصادر وتواصل صدورها بشكل دوري حق لها أن ترجب بكل صاحب قلم رصين وفكر قويم، بقي في الأخير أن اوجه أسمى عبارات الشكر والامتنان لكل من ساعد وأعان وسعى جهد واجتهاد لإخراج هذا العدد في أبهى حلة وأجمل شكل، الكل يسعى إلى إعطاء صورة أخرى عن ماهية التاريخ الوطني ومفهومه تعكس حقيقة التحديات التي تواجه الجزائر الجديدة، وفي ذات الوقت تسهم بقسط وافر في تعزيز العمل المشترك على نشر الدراسات والأبحاث الأصلية ذات المستوى الأكاديمي الراقي، وأملها كبير وراسخ على تفعيل مبدأ التعاون والمؤازرة.

والله أسأل أن يحقق أهدافنا كاملة من أجل الحفاظ على تراثنا التاريخي وكتابته بالأقلام النزيهة وبالروح النبيلة وبالصفة العلمية الأكاديمية الجادة، كما نرجو لهذه المجلة التوفيق والتطور حتى تصبح منتدى علميا نشيطا للمؤرخين والباحثين على اختلاف مشاربهم واهتماماتهم.

ونحن إذ نبعث للوجود هذا العدد ندعو كافّة الباحثين المتخصّصين

الذين لهم الرغبة في نشر أبحاثهم أن يساهموا معنا في هذا المنبر، وأن يدفعوا معنا من أجل تحقيق الغاية السامية وهي الحفاظ على ذاكرة تاريخنا الوطني، ونقلها إلى الأجيال القادمة، المجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

المقالات

آثار ومخلفات الاحتلال الفرنسي في الجزائر من 1830 إلى 1962م

الدكتور: ناصر بوقرو
جامعة يحيى فارس - المدية

- Summary:	- الملخص:
During the French occupation between **1830** and **1962**, the composition of Algerian society witnessed deep changes as a result of several factors, the most important of which is the occupation and settlement, the most prominent of which was the looting and confiscation of lands and property, killing, torture, exile and forced displacement. These events were important in personal and social life, and because they left a very devastating impact on Algerian society. Did they maintain their continuation and impact on future generations? Will the researchers offer their	خلال الاحتلال الفرنسي- ما بين **1830** و**1962**م، شهدت تركيبة المجتمع الجزائري تغيرات عميقة نتيجة عوامل عدة أهمها الاحتلال والاستيطان كان أبرزها نهب ومصادرة الأراضي والممتلكات، القتل والتعذيب والنفي والتهجير القسري. كانت هذه الأحداث مهمة في الحياة الشخصية والاجتماعية، ولأنها تركت أثرًا مدمرًا للغاية على المجتمع الجزائري، فهل حافظت على استمرارها وتأثيرها على الأجيال القادمة؟ هل سيعرض الباحثون نتائجهم؟ للإجابة على هذه الأسئلة، اتبعنا أسلوب البحث التاريخي في بحثنا، وهو جمع المواد التاريخية

results? To answer these questions, we followed the historical research method in our research, which is to collect historical materials related to the topic, read them, and then analyze them, while relying on comparative methods of extracting information from sources.	المتعلقة بالموضوع، وقراءتها، ثم تحليلها، مع الاعتماد على الأساليب المقارنة لاستخراج المعلومات من المصادر.
- Keywords:	– الكلمات المفتاحية:
Occupation; settlement; backwardness; racism; ignorance.	الاحتلال؛ الاستيطان؛ التخلف؛ العنصرية؛ الجهل.

– مقدمة:

تعرض الشعب الجزائري لأبشع الجرائم من طرف جيش الاحتلال الفرنسي على مدار قرن واثنين وثلاثون عاما، لا تزال آثارها قائمة رغم مرور أكثر من نصف قرن على الاستقلال. هذه الآثار والمخلفات شكلت مصير هذا الشعب وأخضعته لفترة طويلة من الهيمنة، حيث أنه بقي يعاني من انهيار قيمي وحضاري وانهزام فكري، نتيجة الفوضى وضغط السياسة الاستعمارية.

بما أن أحداث اليوم لا تفهم إلا بمعطيات الأمس، وأن المعركة الحالية هي نتيجة صراع متعدد الأوجه والمراحل، فإن فهم واقع المجتمع الجزائري المعاصر لن يتم إلا بدراسة حقبة الاحتلال الفرنسي وسياسته الاستدمارية

التي شكلت منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر مقارنة بمختلف التحولات التي شهدتها قبله وبعده وما خلفه من آثار على واقع المجتمع الجزائري والتي انعكست سلبا على المجتمع الجزائري مع مرور الزمن.

فأهمية هذا الموضوع تكمن في كونه يسلط الضوء على أبشع السياسات الاستدمارية للاحتلال الفرنسي اتجاه الجزائريين، وعن مدى معاناتهم إبان الاحتلال **1830-1962**م، كما يكشف لنا مدى فعالية الأوضاع والتحولات التي أحدثها الاستدمار في إعادة بلورة الحياة الاجتماعية من أجل محو المقومات العربية والإسلامية للجزائريين والجوانب الخفية لذلك.

لا تزال الكثير من الدراسات تتساءل عن مدى تأثير الاستعمار على الفرد والمجتمع الجزائري؟ فإلى أي حد تمكن المستدمر الفرنسي- من التأثير في أحواله ومقوماته الشخصية؟ وما هي أهم آثاره الباقية والمؤثرة في الفرد والمجتمع؟

للإجابة على هذه الإشكالية المحورية، اتبعنا المنهج التاريخي الذي يعتمد على جمع المادة التاريخية المتعلقة بالموضوع وقراءتها ثم تحليلها مع الاعتماد على أسلوب المقارنة بين المعلومات المستقاة من المصادر.

في بحثنا هذا، نريد أن نعيد ربط أجزاء من الماضي بالحاضر دون الانحصار في حدود زمنية ومعرفية، عكس المقاربات التي تسلم بوجود قواطع راديكالية في مسار التاريخ فتحدث فيه حدودا عشوائية لكي تحصره في مرحلة التاريخ المعاصر ومرحلة الحاضر أكثر ضيقا. وليس قصدنا أن نقول بأن كل ما حدث في تاريخ الاستعمار الفرنسي للجزائر عبر مراحله هو نفس الماضي الذي مازال حاضرا، لكن قصدنا أن نجد، فيما وراء الأحداث المختلفة، تصورات ومنطق وممارسات هي وحدها تسمح لنا بفهم الآثار العميقة التي خلفها في المجتمع.

1- طرق واساليب المحتل الفرنسي لإخضاع الأهالي:

شهدت الجزائر بعد الغزو الفرنسي اضطرابات وفوضى كبيرة وشاملة نتيجة للسياسة الاستعمارية خاصة بعد عمليات تدمير مؤسسات الدولة وبناها التحتية ومصادرة أراضي الجزائريين.

لما أدركت فرنسا أنه لا مستقبل لها في الجزائر لجأت إلى توظيف وسائل تمكنها من تحقيق سياستها الإمبريالية والتي ظهرت من خلال إجراءات قمعية وردعية ضد الأهالي الجزائريين استعملتها الحكومة العسكرية الأولى في مصادرة أراضيهم ومؤسساتهم وهياكلهم الاجتماعية وزرع الفتنة والتفرقة من أجل التمكن منهم بكل سهولة.

أ- محاولة التفكيك وزرع الفتنة العنصرية والقبلية:

إن الاحتلال الفرنسي للجزائر مس الأرض والإنسان معاً واستهدف عناصر الهوية والشخصية الوطنية، وفي مقدمتها الدين واللغة والتاريخ والحضارة. سياسته هذه كانت ترمي إلى استيطان دائم أبدي بالجزائر لتحقيق أطماع إمبريالية.

وبما أن المجتمع الجزائري كان يقوم على القبيلة كإطار سياسي واقتصادي، فإن المسألة الأولى التي مسها الاستعمار كانت البنية الاجتماعية، حيث استمدت المقاومات الشعبية شدتها، وهو ما أضر المحتل في البداية. وجعل الجنرال بيجو يصرح أمام مجلس النواب: "لو كان سكان الجزائر قوما آخرين غير العرب، أو كانوا يشبهون شعوب الهند المخنثة لما أوصيت أبدا بصرف الأموال الطائلة في سبيل تعمير البلاد بالعساكر والجنود، ولكن وجود هذه الأمة القوية العتيدة المستعدة كامل الاستعداد للحرب، والمتفوقة على العناصر الأوروبية التي كنا ننوي إدخالها إلى البلاد، كل ذلك يحتم علينا

أن نختار العناصر القوية من الأوروبيين لتوطينهم أمام أولئك العرب وجنبا إلى جنب معهم، وبين ظهرانهم[1].

من أجل الاحتلال الكامل للجزائر، حاولت السلطات الفرنسية القضاء على القبيلة التي هي أساس التنظيم الاجتماعي في الجزائر، فراحت تصدر القوانين العقارية التي ترمي إلى تحطيم بنية المجتمع الجزائري، وكانت لهذه السياسة التعسفية آثارا وخيمة على المجتمع الجزائري لا زالت آثارها قائمة إلى يومنا هذا تنغص على الناس حياتهم. لقد عملت الإدارة الفرنسية منذ البداية على تفتيت القبيلة من أجل القضاء على التنظيم الاجتماعي التقليدي في الجزائر، وتبين هذا منذ صدور قرار **22** أفريل **1863**م المعروف باسم سيناتوس كونسولت، الذي عمل بكل الوسائل على تفكيك القبيلة، لأن استمرار المقاومة كان بسببها، لذا كان لابد من تفكيكها وتحطيمها نهائيا حتى يسهل عليهم القضاء على المقاومة. ويتم تحقيق هدف المستوطنين الأوروبيين المتمثل في الحصول على مزيد من الأراضي الخصبة.

أدى تطبيق قانون سيناتوس كونسولت **1863**م إلى إحداث تغيرات جذرية على بنية القبائل والعروش الكبرى، حيث تم تفتيتها وتحويلها إلى وحدات إدارية صغيرة وهي الدواوير، وأطلق عليه اسم دوار- كومين (douar-commune)[2].

فتنفيذا للقرار أنشئ **656** دوارا في المقاطعات الجزائرية الثلاثة وذلك على حساب تفكيك القبائل[3]، بغرض تخطي كل الحواجز التي من شأنها تعرقل عملية نقل ملكية الأراضي من الأهالي إلى المعمرين، كما يعمل على إحكام السيطرة على الأهالي ومراقبتهم.

إضافة إلى كل ذلك، تم إنشاء المكاتب العربية بعد سنة **1844**م، والتي كانت عبارة عن واسطة بين السلطة العسكرية والأهالي، وكانت مهمتهم

تقديم المعلومات للسلطات حول الأهالي وأيضا إدارة شؤون القبائل[4] لمراقبة تحركات السكان ومحاولة التغلغل في عمق القبائل الجزائرية، إضافة إلى صدور تعليمة لمراقبة تحر الأمير جوزيف نابليون وزير الجزائر والمستعمرات (**1858-1859**م) في ديسمبر **1858**م التي أعفت الجزائريين العاملين لدى الأوروبيين من دفع الضريبة للقبيلة ودفعها للإدارة الفرنسية عوض ذلك حيث نصت هذه التعليمة: "لقد قيل أن القبيلة هي قاعدة التنظيم الاجتماعي للعرب، علينا أن نمكن التنظيم الفرنسي ليشمل مختلف تجمعات الأهالي في بلدتنا، عليكم أن تفضلوا الاتجاهات الطبيعية والتي بحضور حضارتنا المتفوقة، فإن القبيلة عليها أن تتفتت بهدف اندماجنا في تنظيمنا، بواسطة هذه الوسائل وهذه الوسائل وحدها سوف نصل بها إلى كسر تماسك القبيلة، والانتزاع منها على الخاصية السياسية ليحل محلها تنظيمنا الإداري"[5].

لقد كانت لهذه السياسة آثارا كبيرة على المجتمع الجزائري، حيث تفتت القبيلة إلى دواوير بفعل تحديد أراضيها وإخضاعها للبيع، وبالتالي فقد بذلك الجزائريون في الريف الإطار الملائم الذي ينظم حياتهم ويحفظ لهم مصدر رزقهم وأصبح الفرد بعد أن لم تعد القبيلة تحميه وتقدم له العون أعزلا في مواجهة إجراءات الإدارة الفرنسية الجائرة[6].

ب- محاربة مقومات الشخصية والهوية الوطنية:

لم يكن الاحتلال الفرنسي على الجزائر اعتداء عسكريا فحسب، بل كانت أكثر من ذلك، فقد كانت عملية ممنهجة ومسطرة للسيطرة الشاملة، تقوم على معارف متنوعة وعلى تصورات إيديولوجية تستغل التفوق المادي واختلال التوازن الذي أحدثته الثورة الصناعية.

هذا ما تم العمل به في الجزائر بعد أن استقر الوضع بالمحتل، حيث شن حملة تنصيرية عسكرية كبيرة على المجتمع الجزائري ومؤسساته الاقتصادية والسياسية ومقوماته الثقافية والاجتماعية محاولا بذلك بسط نفوذه وتوقيف المد الحضاري من خلال الغزو الفكري والحضاري. وقد تعمد الاستعمار الفرنسي إلى تشويه الشخصية الجزائرية. معتمدا على سياسة التجهيل وقتل الذاكرة التاريخية، والحضارة لأنه أدرك أهميتها وقيمتها عند الشعب الجزائري.

فقد استهدف الاحتلال من خلال حملته الشنيعة العلم والتعليم في الجزائر لإيمانه بأهمية هذا القطاع في توعية الشعوب وتفتحه، فقامت الإدارة الفرنسية بهدم وتدمير كل المدارس التي كانت قائمة في ذلك العهد من مساجد وزوايا وكتاتيب، وكل شيء له علاقة بالتعليم ومصادرة الأوقاف ونفي العديد من العلماء إلى الخارج، و"تحويل المساجد إلى كنائس للنصارى كما حدث مع مسجد "كتشاوة" بالعاصمة حيث تم تحويله إلى كنيسة عرفت باسم "كنيسة سان فيلب (cathedral saint Philippe) كما حولت إلى ثكنات للجيش والشرطة وإسطبلات للخيل والدواب وتعرضت كل المدن الجزائرية الأخرى لما تعرضت له العاصمة"[7] حتى لا تكون هناك فكرة ان هناك أجيال صاعدة من أبناء الجزائر، وكذلك غرس فكرة في أذهان التلاميذ مفادها أن الجزائر جزء من فرنسا، وعملوا على إحلال التاريخ الفرنسي محل التاريخ الجزائري، وكذلك القضاء على المساجد والزوايا ومحاربة الأئمة والعلماء وحرق المكتبات.

هناك العديد من الكتب الفرنسية التي تؤكد على هذه الحقائق وعلى ما أصاب التعليم العربي – الإسلامي بعد الاحتلال، حيث جاء في أحداها أن التعليم التقليدي قد توقف عن أداء مهمته لظروف الحرب من جهة، والاستيلاء عن الأوقاف من جهة أخرى وهجرة المعلمين أو نفيهم من جهة

ثالثة، فقد خربت المدارس الثانوية وغادر المتعلمون الزوايا القريبة من مراكز الاحتلال، واكتفى الأساتذة بأداء الشعائر الدينية[8].

لم تكن عملية تدمير المؤسسات الثقافية والإسلامية والتراث إلا جزء من مخطط المحتل الذي سعى جاهدا في نشر الأمية والجهل في أوساط الأهالي الجزائريين، حيث قام بمصادرة الأوقاف حتى يصبح التعليم بدون تمويل وحارب اللغة العربية بشتى الوسائل حتى أصبحت لغة أجنبية باسم القوانين الرسمية، مثل قانون **1834**م الذي نص على أن الجزائر أصبحت فرنسية وقرار مجلس الدولة في **1835**م، وقرار شوطان (Chamtemps) **1838**م على"أن اللغة الفرنسية أصبحت اللغة الوحيدة والرسمية للجزائر وهكذا استبدلت اللغة العربية باللغة الفرنسية التي أصبحت اللغة الرسمية سواء في التعليم أو في الإدارة، وبهذا الشكل طبقت فرنسا سياستها الاستدمارية في كل المجالات.

لقد أدرك المستعمر تلك المقومات الأساسية مركزا بخاصة على اللغة العربية، وبالتالي القضاء على الإسلام، حيث اعتبرت فرنسا فترات عصور تاريخ الجزائر قبل الاحتلال عصورا مظلمة.

ج- فرض الضرائب، مصادرة الأراضي والممتلكات:

شرعت سلطات الاحتلال الفرنسي منذ الأشهر الأولى على احتلالها للجزائر في سن مراسيم وقوانين تبيح بموجبها الاستيلاء على الأراضي الزراعية، ومنذ ذلك الوقت لم ينفك الحكام الفرنسيون من محاولة الاستيلاء على الأرض[9]، ومن الأمثلة على ذلك، قرار الكونت كلوزيل بتاريخي **08** سبتمبر و**07** ديسمبر **1830**م القاضيان بضم أملاك البايلك، وأملاك الأوقاف[10]، وقرار **10** جوان **1831**م الخاص بأملاك الداي والبايات والأتراك الذين غادروا البلاد.

وفقا لذلك وصلت إلى الجزائر موجات من المعمرين، ولعل أهمها موجة عام **1832**م التي استقرت في مناطق مختلفة من الجزائر. بعد سنة واحدة استولى المستوطنون الجدد على آلاف الهكتارات من الأراضي الخصبة من أملاك الجزائريين، وأقاموا فيها مزارع وأحواش تتقارب مساحتها ما بين **120** و**2500** هكتارات[11].

وقد جعل الجنرال بيجو حاكم الجزائر آنذاك "السيف والمحراث" عنوانا لسياسته[12]، حيث عمد إلى الاستيلاء على الأرض بالقوة وضمها لأملاك دولتهم تمهيدا لتوزيعها على المستوطنين الوافدين على الجزائر من مختلف البلدان الأوروبية.

فرضت إدارة الاحتلال بين عامي **1844-1846**م بفضل قوانين مصادرة الكثير من الأراضي بحجة عدم زراعتها، وبعد عملية إثبات عقود الملكية لأكثر من **200** ألف هكتار تعرضت لعملية سلب ونهب، استطاعت السلطات الفرنسية أن تصادر**95** ألف هكتار من أصل **168** ألف هكتار بمقاطعة الجزائر، في حين استفاد المستوطنون من **37** ألف هكتار وهو ما أدى إلى تشكيل وتوسيع **27** قرية استيطانية في منطقة الساحل ومتيجة.

من أهم عمليات مصادرة أراضي الجزائريين التي قامت بها سلطات الاحتلال الفرنسية، تلك العملية التي جاءت على إثر ثورة **1871**م، حيث أصدرت قانون المسؤولية الجماعية في إطار قانون الأهالي الإجرامي القاضي بالحجز الجماعي لممتلكات الجزائريين، أين استولت بالقوة على **500** ألف هكتار من أراضي **315** قبيلة.

بالإضافة إلى عمليات السطو ومصادرة الأراضي، جاءت سلطات الاحتلال بقوانين وتشريعات تفرض بموجبها ضرائب ثقيلة لترهق الأهالي الجزائريين وتجبرهم بطريقة غير مباشرة على الانسحاب. لقد تفننت إدارة الاحتلال في

خلق ضرائب متنوعة ومتعددة، فإلى جانب الضرائب العادية والضرائب غير المباشرة والإتاوات المفروضة على مختلف النشاطات، فإنهم خضعوا لما اشتهر باسم "الضرائب العربية" المتمثلة في الزكاة والعشر، وألحقت ضريبة "اللازمة" المفروضة على المناطق الجبلية وعلى الواحات، وألحق في إطار هذا القسم الخاص بالضرائب العربية "السنتيمات الإضافية" التي فرضتها الإدارة في البداية لتواجه بها المصاريف الطارئة، وابتداء من سنة **1863**م خصصتها لتغطية مصاريف التمليك الشخصي للأرض، ورغم كل هذه الضرائب إلا أن المستوطنين النواب اقترحوا فرض غرامات جديدة على المسلمين[13].

لقد دفعت الضرائب الكثير من الجزائريين سنة **1862**م إلى الهجرة خوفا من أن تطالهم العقوبات، وتبعا لهذا شهدت تلمسان فقرا كبيرا، بحيث أن قبائل بأكملها لم تجد ما تقتات عليه سوى جذور النباتات مما أدى إلى هلاك الناس جوعا، كما دفع هذا الوضع الفلاحين إلى إهمال زراعتهم ومواشيهم في وقت ازداد طلب المعمرين على شراء هذه الثروات[14].

لقد تسببت سياسة السلب والنهب ومصادرة أهالي الجزائريين في حدوث مجاعات قاتلة لم تشهدها الجزائر من قبل، مما أودى بحياة أزيد من نصف مليون جزائري أو بخمس السكان الأصليين في ذلك الوقت حسب بعض المؤرخين، حينها بقي مخزون المعمرين من الحبوب كما هو ولم تسجل أية محاولة لإغاثة الأهالي، بل إن الكثير من المستوطنين كان يفرح لهلاك الجزائريين المسلمين[15]. كما ساهم اليهود في مأساة الجزائريين، حيث استغلوا كل الفرص لأجل الربح السريع، وهو ما أوضحه أحد الأوروبيين بوهران في رسالة إلى نابليون الثالث يوم **15** ماي **1865**م قائلا: "وأحيط جلالتكم علما بأن الشعب الأهلي لعمالة وهران يدفع لصالح اليهود مبلغا يساوي أربعة أضعاف ما يدفعونه لفرنسا بعنوان الضرائب"[16]. بالإضافة

إلى ذلك استغل اليهود المجاعة بين عامي **1868-1869**م لتنمية ثرواتهم عن طريق أرباح القروض التي كانوا يقدمونها للمنكوبين بفوائد وأرباح عالية تتراوح ما بين أربعين إلى مئة في المئة لمدة شهرين أو ثلاث فقط في العام، مما جعل الكثير من الجزائريين يفقدون أملاكهم ويتحولون إلى خماسة.

اعتمد المستوطنين على الأهالي الجزائريين كيد عاملة رخيصة في كل المجالات، حيث كانت تستغل بطريقة لا إنسانية إلى درجة أن الفلاح كان يشتغل طوال اليوم بمقابل زهيد، حتى في أوقات الأزمة بما فيها المجاعة، فضلا على أن الكثير منهم كانوا يشتغلون دون مقابل، وذلك بشهادة نواب من البرلمان الفرنسي.

استمرت إدارة الاحتلال في تضييقها على الجزائريين جميعا، فلم تتغير الضرائب، بل إن الحكومة بالجزائر أقامت إجراءات استثنائية إدارية متمثلة في "المجلس الحربي" لمتابعة الوضع واعتبرت كل متسول وباحث عن الطعام مجرما[17].

رغم ما عاشته الجزائر من أزمات كالقحط والمجاعات والجفاف ونقص المحصول خاصة في سنوات ستينات القرن التاسع عشر، إلا أن سلطات الاحتلال لم تتعامل مع الوضع بالشكل المطلوب، فالضرائب بقيت على حالها، بل شهدت تزايدا في بعض الأحيان، لتزيد من معاناة الأهالي.

د- الهجرة والتهجير:

منذ أن احتلت الجزائر، عمدت فرنسا إلى استراتيجية سياسية استيطانية، حيث عملت على افراغها من سكانها الأصليين، وملئها بالدخلاء الأوروبيين. وما كان قانون مصادرة أراضي الأهالي وثرواتهم وتمليكها للمعمرين إلا جزء يسير من سياسة التهجير القسري التي جعلتهم يعيشون في فقر وبؤس شديد[18].

هذا ما لم يتطرق إليه الكثير من المؤرخين الفرنسين الذين أرخو للهجـرة الجزائرية، فهم لم يذكروا السبب الحقيقي وراء هذه الهجرة. وهذا أكبر دليل بالنسبة إلينا على محاولة تحقيق السياسة الاستعمارية الاسـتيطانية، حيـث تبناها الجنرال بيجو رافعـا شـعار "السـيف والمحـراث"، السـيف لقتـل الجزائريين والأراضي للمعمـرين، حتـى تكـون وضـعا في الجزائـر شـبيها بوضعية السكان الأصليين في جنوب إفريقيا.

فرنسا كانـت تـدرك أهميـة تواجـد المسـتوطنين المـدنيين الفرنسـيين والأوروبيين في الجزائر، وأنهم هم من سـيدعمون الاحـتلال[19]، وذلـك مـن خـلال اسـتيلاب الاراضي الزراعيـة مـن أصـحابها الشرـعيين وتسـليمها للأوروبيين، وبالتالي تصبح إقامة هؤلاء في الجزائر على حساب الجزائـريين، وهو الأمر الذي يجعل من الاقتصاد الجزائري اقتصـادا اسـتعماريا، يخـدم مصالح طيلة فترة الاحتلال[20]، فالإدارة الاستعمارية لا تشير إلى هذه النقطة ولا إلى الإهمال الذي حل بالأهالي، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ارتبـاط عناصر السياسات الفرنسية في الجزائر ببعضها البعض، وحاجة الاستيطان الى المزيد من الأراضي تحت أساليب قهرية جاءت في شكل مراسـيم وقـوانين وأوامر مصطنعة، وهذا ما أكده الجنرال بيجو الذي اشتهر بالعنف[21] أمـام النواب عام **1840**م حين قال: "عليكم بإسكان المستوطنين حيث يوجد المـاء العذب والأرض الخصبة دون الاهتمام لمن تعود هذه الأراضي[22].

وفقا لذلك قامت السلطات الفرنسية بتطبيق سياسـة الضرـائب لإثقـال كاهل الجزائريين، وارغامهم على تلبية متطلبـات المشرـوع الاسـتعماري في الجزائر، مع العلم انها لم تكن مدروسة وفق مقدرة الفرد الجزائري الماليـة والمادية.

غير أن الحرب العالمية الثانية جعلت الهجرة الجزائرية تأخذ منحى سياسي، وذلك بسبب المواقف البطولية التي قام بها أبناء الجزائر مع فرنسا، ودورهم الفعال في تحريرها من الاحتلال النازي، حيث قامت هذه الأخيرة بإلغاء جميع القوانين التي تعيق هجرة الجزائريين إلى أراضيها[23]. إلا أن هجرة الجزائريين بقيت نظريا تحت قيود الإدارة والضغوطات الاستعمارية إلى غاية صدور قانون **22** سبتمبر **1947**م الذي نص على حرية التنقل، وساوى نظريا بين جميع المواطنين الفرنسيين، هذا ما أدى إلى هجرة كبيرة إلى فرنسا، ولقد كان لهذا القرار هدفا اقتصاديا حتى يتسنى للاقتصاد الفرنسي أن يستفيد من اليد العاملة الجزائرية وإعادة بناء ما خربته الحرب[24].

لقد ظهرت بعد الحرب ظاهرة جديدة تمثلت في هجرة العائلات، ولكن الأمر لم يتعلق بهجرة نهائية، فحركات الذهاب والإياب، كانت دائما خلال هذه الفترة مراقبة[25].

نتج عن هذه السياسة فتح باب الهجرة، حيث التحق عدد كبير من الجزائريين وقد بلغ عددهم عام **1947**م حوالي **67000** عامل. تظهر أهمية هذه الأرقام إذا قمنا بمقارنة هذه الحقائق بالعدد الذي عاد في تلك السنة إلى الجزائر، حوالي **22300** عامل في نفس السنة، وبذلك يكون عدد الذين بقوا بفرنسا حوالي **45000**، وهو أكبر عدد للمهاجرين الذين استقروا في فرنسا خلال سنة واحدة[26].

في سنة **1948**م، بدأ الضغط السكاني يظهر حسب رأي عمار بوحوش، وأصبح واضحا حيث فاق عدد المهاجرين عدد العائدين بما لا يقل عن **265000** عامل، وكان السبب في تضاعف العدد هو انعدام المشاريع الصناعية بالجزائر وانتشار الأمية، ولهذا السبب تحتم على عدد كبير من

الجزائريين البحث عن وسائل العيش في مكان أخـر، ونتيجـة لتزايـد عـدد الشبان الذين يلاقون صعوبات سياسية واقتصادية في كل الميادين الفـرص لهم لتحسين مستواهم الاجتماعي والمادي، حيـث بـدأت العنـاصر الوطنيـة بالتفكير جديا في المأزق الذي آلت إليه حالة الجزائريين، وقـد خـرج بعـض الشبان الواعيين بأفكار حول مصير الشعب، على أن الهجرة إلى فرنسا سوف تدعم اقتصادها وبالتالي تمددت فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر[27].

كان هناك جانب أخر من العمال الذين كانت رغبتهم كبيرة في الحصـول على وظائف تكفل لهم ولعائلاتهم العيش، ثم جاءت الأيـام لتثبـت أن هـذه الطبقة الأخيرة هي التي تحملت العبء الكبير في تمويل الثورة، لأنها كانت في وضعية حسنة من الناحية المادية وكان بإمكانها دفع التبرعات والاشتراكات لتدعيم الكفاح الثوري، وفي عام **1949**م أصبحت الزيـادة في الهجـرة تنمـو بشكل متوازي للزيادة المطردة في السكان، ولم ينقص عدد المهـاجرين عـن **83000**، إلا بعد اندلاع الثورة الجزائرية[28].

وهذا لم يمنع من تزايد عدد الجزائريين العائدين من فرنسـا إلى الـوطن الأم وكثير منهم التحقوا بصفوف الثورة، فقد لاحظنا من خلال الاحصائيات أنه في بعض السنوات يكاد يساوي عدد الجزائـريين المهـاجرين إلى فرنسـا والعائدين منها إلى أرض الوطن[29]، ففي سنة **1954**م كان عـددهم يفـوق **200** ألف نسمة أما في عام **1956**م هجر إلى فرنسا **85640** شخصا وعـاد في نفس الوقت إلى الجزائر **81874** وطيلة سنوات الحرب تقريبا يكاد يسـاوي عدد المهاجرين بعدد العائدين، لكن انخفضـت في السـنوات الخمسـة، ولـم يتجاوز عدد المهاجرين **93088** في أي سنة من **1956**م إلى **1960**م لأن هـذه السنوات الحاسمة في تاريخ الثورة التي كانت الطبقة الكادحة مـن العمـال والفلاحين محركها الرئيسي الذي زودها بالطاقة الأساسـية لمواجهـة قـوات الاحتلال الفرنسي، ولكن عددهم بدأ يرتفع عندما أوشـكت حـرب التحريـر

الجزائرية على الانتهاء وفي الحقيقة جاءت هذه الزيادة برغبة من الرئيس ديغول في إجراء محادثات سياسية مع قادة جبهة التحرير وانهاء الحرب، لقد كانت هذه السياسة تعني بالنسبة لعدد كبير من الجزائريين المتعاونين مع الإدارة الفرنسية اعتراف فرنسا بالأمر الواقع الذي يتمثل في إنهاء سيطرتها والاعتراف بحق الجزائريين في تسيير شؤونهم بأنفسهم وبما أن العناصر الموالية لفرنسا قد ربطت مصيرها بوجود الإدارة الفرنسية في البلاد، فإن عدد منهم قد قرروا الهجرة إلى فرنسا في سنتين **1961**م و**1962**م[30]. لذلك نجدها قلت خلال الجزء الثاني من الخمسينيات ولم يتجاوز عدد المتوجهين إلى فرنسا **100000** في أي سنة وذلك نظرا لكون كثير من الشبان قد ربطوا مستقبلهم بمصير الثورة في البلاد إلا أن عددهم بدأ في تزايد مستمر وقد تجاوز **122** ألف نسمة قبل التوقيع على اتفاق وقف إطلاق **19** مارس **1962**م[31].

ذ- التعذيب، القتل والنفي:

كان مصير من يبقى في الجزائر تحت حكم سلطات الاحتلال، إما الاستعباد من طرف المعمرين أو المطاردة إلى أعالي الجبال والمناطق البعيدة والمعزولة. وكان مصير المتشبثين بأرضهم إما القتل أو النفي، وكل ذلك من أجل إفراغ الأرض من أهلها ومن ثم إعمارها بالمستوطنين الأوروبيين.

فالتهديد والتعذيب والطرد والقتل كلها وسائل مباحة ومتاحة للمحتل للقضاء على الأهالي المسلمين.

عدد المبعدين الجزائريين عن أرضهم هو **3** ملايين حسب السلطات الجزائرية، وتمركز لمليوني شخص وسط البلاد في المحتشدات إلى غاية **1962**م.

حيث استُخدمت تلك الأساليب في الجزائر، وقد اشتملت على ما يلي: التعذيب الممنهج (وحتى ضد المدنيين)، ونظام مراقبة للأحياء والضواحي (وُضع أربعة مراقبين على كل حي)، والعمليات غير الشرعية من الإعدامات والاخفاقات القسرية والتي عُرفت فيما بعد باسم "رحلات الموت".

وُثقت تلك الأساليب لتصبح قواعدًا لاستراتيجيات مكافحة التمرد، وذلك في الكتاب الذي ألفَه الكولونيل روجير ترينكيير (Roger Trinquier) سنة **1961**م والذي أطلق عليه اسم "الحرب الحديثة: مكافحة التمرد من وجهة نظر فرنسية:

(Modern Warfare: A French View of Counterinsurgency)، وهو أحد المراجع في مجالي "الحروب المضادة للثورات" والحروب النفسية.

وبالرغم من أن استخدام جمهورية فرنسا للتعذيب أصبح معروفًا بشكل سريع حتى أن المعارضة اليسارية في فرنسا عارضته، إلا أن الدولة نَفَت باستمرار أنها توظف التعذيب في الحرب، كما منعت الرقابة في فرنسا أكثر من **250** كتابًا وصحيفة وفيلمًا في فرنسا متروبوليتان فقط من تناول تلك القضية، ومُنِعَت كذلك **586** وسيلة إعلامية جزائرية تناولت الموضوع.

كان التعذيب يجري بأوامر من الحكومة الفرنسية، وهذا ما أكده الجنرال المتقاعد بول أوساريس. جاءت تلك الاعترافات بعد الشهادة التي قدمتها الناشطة السابقة في جيش التحرير الوطني لويزة إغيل أحريز التي عذبتها القوات الفرنسية آنذاك. ونُشرت شهادتها بتاريخ **20** جويلية **2000**م في صحيفة لومند، وكان ذلك بعد ثلاثة أيام من زيارة الرئيس الجزائري السابق عبد العزيز بوتفليقة لفرنسا. وصرّحت لويزة أنها تعرضت للتعذيب لمدة ثلاثة أشهر وذكرت أن المسؤول عن ذلك هو الجنرال ماسو باعتباره

قائد القوات الفرنسية المسلحة حينها. واستغل ماسو تلك الفرصة ليعلن عن ندمه عن عمليات التعذيب التي كان من الممكن اجتنابها.

اعترف الجنرال بـول أوسـاريس في كتابـه خـدمات خاصـة، الجزائـر (Services) (spéciaux, Algérie) (**1957-1955**م) الصادر عـام **2001**م أنه اشترك في عمليات التعذيب والإعدام غير الشرـعية بـأوامر مبـاشرة مـن الجنرال ماسو. كما صرح أوساريس أن التعذيب جاء بـأوامر مبـاشرة مـن حكومة الرئيس غاي موليه لمواجهة ما سماه بـ: "إرهاب الجبهة الوطنية".

2- آثار السياسة الإستدمارية على المجتمع:

كان لسياسة الاحتلال الفرنسي المنهجـة والمدروسـة في الجزائـر آثـارا سلبية مدمرة، مادية ونفسية على كل أفراد المجتمع الجزائري، حيث أدخلتـه في متاهات الفقر والمجاعات والهجرة. الكثير مـن الأهـالي مـن فقـد حياتـه وأملاكه وتعرضت عائلاتهم للطرد والنفي، بعد أن اسـتولى المعمـرين عـلى أراضيهم الخصبة وأصبحوا خدما خماسين لـدى المعمـرين في تلـك الأراضي نفسها. بفعل تلك السياسة الاستدمارية انخفض مسـتوى المعيشـة، للفـرد الجزائري فلم يعد قادراً على ضمان قوته اليومي، وتدهورت أحواله الصحية نتيجة تفشي الأمراض والأوبئة وسـوء التغذيـة، وتـدهور وتـدني المسـتوى التعليمي لدى الجزائريين.

إن الكثير مما حدث في فترات مـا بعـد الاسـتقلال كـان نتيجـة حتميـة للسياسة التي انتهجها الاحتلال الفرنسي في حق الأهـالي الجزائـريين، حيـث مست جميع الجوانب، خاصة السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

أ- ظهور وانتشار الفوضى واللاأمن:

أول ما نتج عن احتلال فرنسا للجزائر هو سقوط النظام وانتشار الفوضى واللاأمن بسبب تدمير كل البنى التحتية وسرقة ممتلكات الدولة والتنكيل برجالها، وقد أثرت هذه السياسة الإستدمارية التي انتهجتها إدارة الاحتلال بالسلب على المجتمع الجزائري في الميدان السياسي بحيث سلبت جميع الحقوق من الفرد الجزائري ومنعته من المشاركة في جميع الأنشطة السياسية بالرغم من أنه يعتبر فرنسي، ولا تحق له هذه الحقوق إلا في حالة خروجه عن أحكام الشريعة الإسلامية والتخلي عن مبادئه وحالته الشخصية[32].

أما من حيث التمثيل الإداري فقد كانت فرنسا تعتمد على المستوطنين بالرغم من قلة عددهم، من أجل دمج الجزائر بفرنسا، مما أدى إلى تهميش الجزائريين المسلمين وحرمانهم من التمثيل السياسي والوظائف العليا في الحكومة[33].

كانت السلطة والحكم في الجزائر المستعمرة حكراً على الفرنسيين فقط بحيث اعتبروا أن الجزائر، وطنهم الحقيقي بالرغم من قلتهم. واحتكروا أغلب المناصب المهمة لهم[34].

لقد كانت نتيجة هذه المراسيم سيئة على المجتمع الجزائري، فتفتت القبيلة إلى دواوير بفعل تحديد أراضيها وإخضاعها للبيع، وبالتالي فقد بذلك الجزائريون في الريف الإطار الملائم الذي ينظم حياتهم ويحفظ لهم مصدر رزقهم وأصبح الفرد بعد أن لم تعد القبيلة تحميه وتقدم له العون أعزلا في مواجهة إجراءات الإدارة الفرنسية الجائرة[35].

ب- انتشار الفقر والمجاعات:

انعكست السياسة الإستدمارية للمحتل بشكل مباشر على الجزائريين ومست حياتهم العملية بالتغيير في مختلف جوانب الحياة وساهمت في تحطيم البنية الاقتصادية للمجتمع الجزائري والقضاء على توازنه. تمثلت هذه الانعكاسات في ربط الاقتصاد الجزائري بالاقتصاد الفرنسي- وذلك باغتصاب الأراضي وفرنستها بإخضاعها للقانون الفرنسي- المبني على الملكيات الفردية الحرة، وهذا ما أدى إلى إباحة التصرف في أملاك الأوقاف والاستيلاء عليها خاصة الأراضي المقدسة[36].

لقد عرفت الجزائر في سنوات **1866**م، **1867**م، **1868**م مجاعات هي الأسوأ في القرن التاسع عشر نتيجة تدهور الوضع الاقتصادي والقحط الزراعي الذي مس الأراضي الجزائرية في تلك الفترة[37].

لقد فقد الجزائريون جزءاً كبيراً من ممتلكاتهم وأرزاقهم، نتيجة مصادرة الأراضي من طرف المستعمرين وبذلك بلغت سنة **1866**م قرابة **6** ملايين هكتار منها **508** ألف هكتار من الأراضي الزراعية للكولون، وبحلول عام **1917**م استولى المستوطنون على **55**% من مجموع الأراضي في الجزائر وتحول الكثير من الجزائريين إلى خماسين عند المستعمرين أو بطالين وأجراء في حقولهم بعد أن كانوا ملاكاً للأراضي. أدى هذا إلى سوء الأحوال المعيشية والصحية نتيجة الأمراض والجفاف والقحط لاسيما خلال عامي (**1866**-**1868**م)، وأصبحت فرنسا تعتمد على المزروعات الصناعية كالتبغ والكروم وصناعة الخمور[38]. كما قامت إدارة الاحتلال بتهجير القبائل الثائرة ومصادرة أراضيهم، بسبب انتفاضاتهم ضدها وفرض غرامات مالية عليهم، وكان الهدف من وراء هذا الأسلوب العقابي هو وضع حد لهذه المقاومات الشعبية التي هددت الوجود الفرنسي في الجزائر[39].

استولت الاحتكارات الفرنسية على مناجم الحديد والفوسفات وأسست بنوك في الجزائر تابعة ومرتبطة بفرنسا، وشجعت التجارة التي كانت مرتبطة بحيث كان العمال الأوروبيون منفصلون عن العمال الجزائريين ويتمتعون بوضع أفضل منهم بكثير وكانت أجورهم أعلى وأعمالهم أنضف وأسهل[40]. كانت السلطات الاستعمارية تعتمد على استغلال اليد العاملة لخدمة الزراعة والصناعة الاستعمارية[41].

ونتيجة لمصادرة وحجز أراضي الجزائريين من طرف السلطة الاستعمارية تقلصت القاعدة المادية التي يرتكز عليها المجتمع الجزائري[42]. إلى جانب فرض نظام الضرائب على الأراضي الزراعية والثروة الحيوانية، حيث بلغ مجموع هذه الضرائب **9** ملايين فرنك، وذلك لزيادة ثروتهم وتوسيع أراضيهم على حساب الجزائريين. كل هذا أدى إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية والمستلزمات الضرورية من جهة، وانخفاض الدخل من جهة أخرى، وضعف القدرة الشرائية عند الجزائريين[43].

أثرت السياسة الإستدمارية للمحتل على القطاعات الاقتصادية الثلاث: الزراعة، حيث قامت الإدارة الاستعمارية على تمليك الأراضي للمعمرين. وبتحويل إنتاج الأراضي من زراعة القمح إلى زراعة الكروم لإنتاج الخمور التي تشكل مورد اقتصادي كبير للاستعمار، وكان المستفيد الأول من هذا هم المستوطنون. كما شجعت الإدارة المستثمرين الأوروبيين على استغلال أجود الأراضي في الجزائر لحسابهم[44]، وذلك من أجل تحسين الميزان التجاري الفرنسي وتوفير حاجياتها الغذائية، أما الأهالي فقد شهدوا تدهوراً متزايداً في الإنتاج مما أدى إلى انتشار المجاعات[45].

أما بالنسبة للتجارة فتحكم فيها المعمرون، وبالتالي ثم احتكارها من طرف فرنسا سواءً كانت داخلية أو خارجية، هذا ما أدى إلى إفقار الأهالي[46] وإلى تدهور الأوضاع الاقتصادية.

لقد انعكست سياسة الاستيطان التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية سلباً على الأهالي الجزائريين في كل المجالات بالمقابل انعكس إيجاباً على المعمرين[47]. وكانت نتيجة هذه السياسة الاستيطانية سيئة على المجتمع الجزائري، فتفتت القبيلة إلى دواوير بفعل تحديد أراضيها وإخضاعها للبيع وبالتالي فقد بذلك الجزائريون في الريف الإطار الملائم الذي ينظم حياتهم ويحفظ لهم مصدر رزقهم وأصبح الفرد بعد أن لم تعد القبيلة تحميه وتقدم له العون أعزلا في مواجهة إجراءات الإدارة الفرنسية الجائرة[48].

لقد نجم عن السياسة الفرنسية فصل الفلاح عن أرضه، وتحوله من مالك للأرض إلى خماس في أراضي غيره، حيث امتدت ساعات عمله من الرابعة صباحا إلى الساعة الثامنة مساءا بأجر قليل[49] بعدما أن فقد أخصب أراضيه الزراعية، علما أن الزراعة الأهلية كانت في سنوات المطر تغطي حاجيات كل السكان[50] وبالتالي انهار مستوى دخل العائلات الجزائرية إلى حد أقل مستويات الدخول في العالم فلم يتجاوز أجر العامل اليومي **04** فرنكات عام **1920**م، و**08** سنة **1935**م و**12** فرنك عام **1954**م[51] وتبين أن تدهور الوضع الاقتصادي للأهالي الذين تضرروا كثيرا من مصادرة أملاكهم، هو أكبر داء يعاني منه المجتمع الجزائري، وما زادها قمع السنوات الأخيرة حدة شدة السياسة الاستدمارية القائمة على نهب وسلب ممتلكات الأهالي الجزائريين، حتى بلغ الفقر أقصى الحدود، بحيث أصبح كل جزائري مسلم تحت كابوس الجوع، يرى طريق مستقبله محفوفة بالآلام وحياته يهددها خطر البؤس والشقاء. لقد وصل الفقر إلى نسبة **90**%[52].

في هذا السياق جاء تصريح أحد كبار أطباء الجيش الإفريقي ماريوس نيكو لابول يصف حال الأهالي: "كل ما تقع عليه العين هنا، حين يصل الإنسان يبعث على الحزن والأسى، فالأهالي أصبحوا في حالة يرثى لها من البؤس الشقاء، وقد توافد إلى هذه المدينة من جميع البلدان حشد كبير من الكادحين المتعطشين للمال، أما رجال الصناعة فهم يحاولون أن يستغلوا الوافدين الجدد، وكل واحد هنا من عسكريين وبورجوازيين، يفعل ما يروق له من غير حسيب ولا رقيب"[53].

تعتبر مجاعات (**1866-1868**م) أكبر كارثة إنسانية تعرض لها الشعب الجزائري في العصر الحديث، حيث تسببت في هلاك ربع سكان عمالة قسنطينة وحدها، أي حوالي **400.000** شخص، وخلفت عددا هائلا من اليتامى والمشردين، وأدت إلى نزوح سكاني كبير من الهضاب العليا وحواف الصحراء باتجاه منطقة التل فرارا من الموت المحتوم[54].

نظرا لما تركته المجاعات من آثار سيئة في نفوس الجزائريين فإنها بقيت عالقة في الأذهان، يستشهدون بها كحوادث تاريخية تتفرد بها بعض السنوات كقولهم "عام القحط" أو "عام الشّر"[55].

ج- الأثار الاجتماعية:

كان للسياسة الاستدمارية انعكاسات وخيمة على الأهالي الجزائريين، فلم تبقى لهم حياة مريحة ولا وضع اجتماعي جيد. حيث أحدثت السياسة العقارية والاقتصادية تغييراً كبيراً على المجتمع الجزائري الذي كان خاضعا للاستدمار ومجرد من أراضيه. حيث اندثرت الهياكل الاجتماعية في خضم سنوات البؤس والشقاء التي ضربت المجتمع الجزائري في العمق، حيث أرادت السلطة الاستعمارية طمس الهوية الجزائرية بكل الوسائل المتاحة، وذلك عن طريق هدم القرى وطرد السكان الأهالي من ممتلكاتهم، كل هذه

الإجراءات المشددة والإجرامية أدت إلى انتشار الأوبئة والمجاعات، مما أدى ببعض القرى إلى الاختفاء كليا من الوجود، كما أدت إلى تغيير ديمغرافي واجتماعي واقتصادي في حياة الأهالي الجزائريين[56].

انتشار البطالة بسبب تجريد الشعب من أملاكه وطرده إلى مناطق نائية، حيث أصبح الجزائريين خدام في أراضيهم أو خماسين بعدما كانوا هم ملاك وأسياد الأراضي، ويتقاضون أجور لا تكفي لسد حاجياتهم الضرورية[57]. بلغ عدد البطالين في الجزائر **2900000** من مجموع **3200000** جزائري[58].

في الفترة الممتدة بين (**1866-1868**م)، تعرض القطاع الزراعي لعدة آفات مثل القحط والكوارث الطبيعية التي حلت بالبلاد، وهذا ما تسبب في انتشار المجاعة والأوبئة الفتاكة. كل هذه العوامل أدت إلى المجاعة الكبرى والتي تسببت في هلاك الكثيرين، إذ قدر عدد الموتى الجزائريين بـ **500** ألف، أي ما يعادل **30** ألف نسمة[59].

لقد تدنى المستوى المعيشي والصحي بسبب بانتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة المعدية نتيجة الأوساخ مثل الكوليرا، والتيفوس، والسل، وأمراض العيون، إذ بلغ معدل حياة الجزائري **50** سنة. وقد لقي أكثر من تسعة عشر ألف جزائري مصرعهم خلال شهرين بسبب انتشار الأوبئة وعدم وجود المستشفيات وقلة الأطباء الذين بلغ عددهم **1850** طبيب وكان استقرارهم بالمدن الكبرى و**660** قابلة مولدة و**611** صيدلي[60].

بسبب انتشار الأمراض ظلت الحالة الصحية والاجتماعية للأهالي في تدهور مستمر نتيجة تفشي داء الكوليرا والتيفيس عام (**1866-1867**م) وكانت الأرواح تحصد بالآلاف نتيجة الأمراض والمجاعة والفقر، مع ذلك لم تتحرك السلطة الاستعمارية لإنقاذ الجزائريين بل زادت من معاناتهم بنشر رعب الإبادة بشتى الطرق والوسائل[61].

بالإضافة إلى كل هذا، أهم العوامل التي كانت وراء انخفاض وتناقص عدد السكان نجد عامل الهجرة الإرادية والتهجير اللاإرادي، بحيث عرفت هذه الظاهرة انتشارا واسعا. لقد هاجر العديد من الجزائريين بلدهم من أجل الحفاظ على دينهم ولغتهم. وكانت الهجرة نحو البلدان الإسلامية، ذلك نتيجة الأوضاع التي كانت يعيشها الجزائريين والقوانين التشريعية التي سنتها الإدارة الاستعمارية، حيث بلغت أوجها في مطلع القرن العشرين. إذ كانت الهجرة في القرن التاسع عشر، والعشرين مقصورة على الدول العربية الإسلامية بينما شملت فيما بعد فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية[62].

وفي ظل هذه الأوضاع المزرية التي عاشها المجتمع الجزائري، عرف حالة من البؤس التي وصفها أجيرون أنها حالة من الألم الشديد والبؤس، والجرح العميق، نتيجة فقدان أرض الأجداد لأنهم بحاجة إليها.

ووصف جول فيري حالة ومنظر مأساة الشعب الجزائري منذ الاحتلال فقال: "... رأينا وسط الغابات بقعاً محروثة وحقولاً مزروعة وشعيراً، وقمحاً قرب سهول حرثها طيلة قرون المحراث العربي العتيق، سلبت من أيدي الجزائريين سلباً وضمت إلى أملاك الغابات"[63].

وكيف لا يظهر البؤس في وجه الأهالي حيث يرى عدوه يسكن الدور والقصور في المدن وهو يهيم في البادية القاحلة[64].

ومن أهم الانعكاسات التي خلفتها سياسة الاستدمار تفكيك وحدة القبيلة وتشتيت تكوينها الاجتماعي التقليدي، بحيث كان الجزائريون محافظين على توازنها بالعامل الديني والأرض المشتركة[65]. وبالتالي ساهم سياسة مصادرة الأراضي في انهيار نظام القبائل وزوال الروابط المتينة لأفراد القبيلة الواحدة[66].

بناءً على ما سبق ذكره يمكننا القول، أن السياسة العقارية والقوانين الاستعمارية أحدثت تغيرا جذريا في المجتمع الجزائري بحيث أصبح المستوطنون يشكلون أعلى طبقة في السلم الاجتماعي.

د- انتشار الأمية، الجهل والتخلف:

لم تقتصر انعكاسات السياسة الإستدمارية للمحتل الفرنسي على الجانب الاقتصادي والسياسي فقط، بل امتدت إلى الميدان الثقافي، حيث استهدف المحتل إلى إدماج الجزائر مع فرنسا، وطمس هويتها العربية الإسلامية. ومن أجل تحقيق ذلك عمدت الإدارة الاستعمارية إلى تطبيق سياسة اقتصادية وثقافية تتمثل في نشر الأمية بين الجزائريين، وشددت على المدارس الحكومية والمساجد، حيث صدر قرار بإدراجها ضمن الممتلكات العامة التي يسيطر عليها، مما أثر على العملية التربوية والتعليمية والعلمية في الجزائر. كما صدر قرار بمنع تعليم اللغة العربية داخل المدارس وعدم توفير أي مدارس عامة يمكن للجزائريين الدراسة فيها أو بعض المدارس التي تكفي البعض منها، وهذا بدوره حرم الآلاف من حق التعلم.

حاول المحتل الفرنسي بسياسته الاستدمارية القضاء على مفهوم الثقافة والحضارة الاسلامية وتعاليم الدين بشتى الطرق من خلال استبعاد الشعب الجزائري كليا عن البلاد الإسلامية، حيث أرسلت مجموعات تبشيرية عرفت باسم الآباء البيض إلى الجزائر لنشر المسيحية. وحارب المحتل الفرنسي المتوحش بكل ما اوتي من قوة تعليم اللغة العربية كونها وعاء الثقافة الإسلامية ولغة القرآن. فعمل على القضاء عليها عن طريق إصدار عدة قوانين تمنع تعليم اللغة العربية. وجعل اللغة الفرنسية، هي اللغة الوحيدة للبلاد. وقد كان لهذه القوانين أثر بليغ على المجتمع الجزائري يتمثل في تحويل لغة الإدارة والحكم إلى اللغة الفرنسية[67].

وقد لعب الاستعمار دور كبير في نشر الجهل والأمية لإنشاء جيل مشبع بالثقافة واللغة الفرنسية وإفراغ مناهج التعليم من محتواها، الحضاري والثقافي الذي من شأنه إعداد مجتمع مؤهل لنهضة حقيقية[68].

تميز الاستعمار الفرنسي في الجزائر بفرض اللغة الفرنسية على المجتمع الجزائري ونشرها في أوساطه، عن طريق سياسة الفرنسة وذلك بتلقين الأطفال الجزائريين التعليم المفرنس وتدمير معظم مراكز الثقافة العربية، وظهور معاهد ثقافية غربية ومدارس فرنسية مختلطة[69]. بحيث بلغ عدد المدارس الابتدائية الفرنسية العربية في عام **1870**م، **36** مدرسة وبلغ عدد التلاميذ المسجلين **1300** تلميذ مسلم، وثلاث مدارس عليا، إلا أنها أغلقت من طرف الجمهوريين الفرنسيين المقيمين في الجزائر. ولم يتبقى في عام **1882**م سوى **16** مدرسة ابتدائية مفتوحة[70]. وذلك لأنهم رأوا، أن خلق مجتمع مثقف متعلم في البلاد لا يضمن أن يكون موالياً لفرنسا نتيجة إهمال الفرنسيين للتعليم وتثقيف الأجيال الجزائرية، انعكس سلباً على المجتمع الجزائري وذلك بتفشي الأمية بين صفوف الجزائريين[71] نظرا لنسبة نمو التعليم البطيء، وهذا ما تؤكده هذه الأرقام بحيث بلغ عدد المتمدرسين في المدارس الفرنسية الابتدائية في مطلع القرن العشرين (**33,397**) تلميذاً مسلماً، أي **4,3** من عدد التلاميذ البالغين سن التمدرس، وفي عام **1914**م بلغ عدد التلاميذ **47,397** تلميذاً، من **60,644** تلميذ متوجهين بشهادة البكالوريا و**12** طالب حاصل على شهادة الليسانس[72] ضف إلى ذلك التمييز العنصري والاضطهاد اللاأخلاقي الذي تعرض له الجزائريون.

كما حاول الاستعمار محاربة الإسلام وذلك بالاستيلاء على الأملاك الوقفية. والقضاء على نشاطاتها باعتبارها الممول الرئيسي للمساجد والزوايا. والعمل على نشر المسيحية تحت اسم مشروع التنصير، وذلك لقتل الروح الإسلامية والقضاء على لغة القرآن[73]. لأجل ذلك تم تشييد العديد من

المدارس. وترجع أولى محاولات التنصير إلى الكاردينال لافيجري خلال سنوات المجاعة (**1867-1868**م). كان لهذا الأخير موقفا معاديا للإسلام والمسلمين، حيث منع المسلمين من أداء مناسك الحج قائلاً: "لقد أثبتت التجربة أن المسلمين بعد عودتهم من الحج يصبحون أكثر تطرفاً، وأقل استعداداً للخضوع لسيطرتنا"[(74)].

نتج عن هذه السياسة الاستعمارية تراجع عدد المؤسسات الدينية والتعليمية وانخفض عدد الطلبة والتلاميذ، وبالتالي انحط المستوى التعليمي والثقافي. وقامت إدارة الاحتلال بتحويل العديد من المساجد إلى كنائس، حيث تم إنشاء **60** كنيسة ومعبداً و**16** مؤسسة دينية بين عامي **1830** و**1845**م، وتم جلب **91** قديسا مختصين في الشؤون الدينية المسيحية.

- الخاتمة:

كان لاحتلال فرنسا للجزائر (**1830-1962**م) آثارا مدمرة بعيدة المدى على المجتمع الجزائري، حيث مس الأرض والإنسان معاً واستهدف عناصر الهوية والشخصية الوطنية، وفي مقدمتها الدين واللغة والتاريخ والحضارة والوحدة عموماً. كان يهدف إلى استيطان دائم بالجزائر لتحقيق أطماعه الإمبريالية.

تميزت سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر بالنزعة الاستدمارية، حيث سعت سلطاته منذ البداية الى فرض سيطرتها على جميع الأراضي واستغلال جميع الثروات بما فيها الموارد البشرية نظرا لحاجتها إلى بناء قوة عسكرية كبرى تضاهي القوى العالمية وإقحامها في الحروب داخل وخارج المستعمرة.

كانت أثار الفعل الاستدماري نفسية واجتماعية سلبية على المجتمع الجزائري، حيث مست كل فئاته بدون استثناء من خلال حرب شرسة شنها المحتل ضد الأهالي المسلمين طوال قرن وثلاثين سنة شملت جميع أنحاء

البلاد. عمد فيها المستدمر الفرنسي الى عزل الأهالي الجزائريين وإلى مصادرة أراضيهم وطردهم وتهجيرهم قسريا، أما من آثروا البقاء في الجزائر فقد عاشوا القمع والتهميش والتشريد والإبادة الجماعية.

كان لهذه الأوضاع المأساوية تأثيرات سلبية مادية ونفسية، مست مختلف جوانب الحياة لدى السكان تمثلت في تشتيت أملاك الفلاح الجزائري بحيث أصبح أجير أو خماس عند الكولون بعدما كان سيداً على أملاكه وبذلك انخفض المستوى المعيشي للفرد الجزائري، وأصبح يعيش حالة من البؤس والفقر، وتدهورت أحواله الصحية نتيجة سوء التغذية وانتشار الأمراض والأوبئة مثل وباء الكوليرا والطاعون، مما أدى إلى نزيف ديموغرافي خطير.

نتيجة لهذه السياسات الاستدمارية عرف المجال الثقافي تدهوراً كبيراً، حيث قامت السلطات الفرنسية بأعمال تعسفية في حق المدارس والزوايا وحاربت اللغة العربية والدين الإسلامي. استهدفت بذلك هوية الشعب الجزائري ومقوماته الشخصية من دين ولغة وثقافة وتاريخ، من أجل تحطيمها وتشويهها، والقضاء عليها، عن طريق سياسات تتعلق بالفرنسة والتنصير ومحاولة الادماج مما أحدث تغيرا جذريا في ذهنية الفرد والمجتمع الجزائري.

بالرغم من نجاح الجزائريين في استرجاع وطنهم، إلا أن الثمن كان باهظا، حيث أحدث الاستدمار شرخا هائلا في بنية المجتمع، وخللا معتبرا في توازنه، لا تزال آثاره وتداعياته باقية مؤثرة في الأجيال المتعاقبة. نتيجة هذا التشريد الفرنسي، فقدت النسبة الكبيرة من الأهالي الرباط بينها وبين أرض الأجداد. عائلات وجدت نفسها مفصولة عن غيرها، أسامي وألقاب مشوشة متداخلة، والقبيلة محطمة. هذه هي رسالة هذا العمل الذي سعينا خلاله لربط أحداث عديدة جرت في تاريخ الجزائر المعاصر بالعودة إلى الجذور التي

جرت في زمان آخر، ولأن الاحتلال الفرنسي كان سببا في دمار أمة وكان مرحلة من أكثر المراحل مفصلية في تاريخ الجزائر المعاصر لما جرى فيها من أحداث كبرى غيرت مجرى التاريخ، وكان لها أثرها الكبير حتى على حياة من لم يولدوا فيها أو يعاصروها.

- قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد بن عمر، "الحالة الاقتصادية في الجزائر"، جريدة المنار، ع**4**، دار البصائر، الجزائر، **2007**م.
- أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، **2004**م.
- أرزقي شويتام، سياسة الاستيطان الفرنسي للجزائر **1830-1962**م، مجلة التاريخ المتوسطي، مج**2**، ع **2**، **31-12-2020**م.
- بزيان سعدي، جرائم موريس بابون ضد المهاجرين الجزائريين في **17** أكتوبر **1961**، ثالة، الجزائر، **2008**م.
- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر **1830-1962**م، ج**1**، دار المعرفة، الجزائر، **2017**م.
- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية **1962**، دار الغربي الإسلامي، لبنان، **1997**م.
- بوحوش عمار، العمال الجزائريون في فرنسا، وزارة المجاهدين، الجزائر، **2008**م.
- بلعربي نور الدين، الاستيطان الأوروبي في الجزائر وانعكاساته الاجتماعية والثقافية (**1830-1962**م)، **2019**م.
- قليل مليكة، هجرة الجزائريين من الأوراس إلى فرنسا (**1900-1939**م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الأوراس الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، **2008-2009**م.

- ياحي محمد، "النضال الوطني للمهاجرين الجزائريين في فرنسا"، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال، منعقد في **30-31** أكتوبر **2006**، وزارة المجاهدين، الجزائر، **2007**م.
- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **2000**م.
- عبد المالك التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، عالم المعرفة، الكويت، **1978**م.
- موسى لوصيف، الهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى ودورها في الثورة التحريرية **1954-1962**م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أدرار، **1961-1963**م.
- توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، **1957**.
- رابح لونيسي وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصرة **1830-1989**م، ج**2**، دار المعرفة، الجزائر، **2009**م.
- رمضان بورغدة، مصادرة الأراضي والضرائب والغرامات وأثرها على المجتمع الجزائري، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع**3**، منشورات جامعة **20** أوت **1955** بسكيكدة، الجزائر، جوان **2008**م.
- يحيى بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **1986**م.
- صالح عباد، الجزائريين المستوطنين وفرنسا (**1830**/**1930**)، د. م. ج. قسنطينة، **1984**م.
- عميراوي احميدة وآخرون، آثار السياسة الاستعمارية الاستيطانية في المجتمع الجزائري، **2007**المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**، الجزائر، **2007**م.
- صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، **1980**م.
- صالح فركوس، التشريعات المنظمة للاستيطان الاستعماري في الجزائر وآثارها على المجتمع الجزائري، مشروع بحث في إطار البرنامج الوطني للبحث (PNR)، جامعة قالمة، **2010**م.

- أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر الثقافي، ج**2**، دار الغرب الإسلامي، **1996**م.
- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج**1**، ط**2**، دار الغرب الإسلامي، **1992**م.
- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، **2011**م.
- سامية بن فاطمة، الهجرة الجزائرية الى فرنسا خلال فترة الاحتلال الفرنسي **1830-1962**م قراءة في الأسباب والدوافع، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة تبسة، العدد **15**، **27** نوفمبر **2017**م.
- جمال قنان، "مشاغل المجتمع الجزائريين من خلال الصحافة **1882-1914**م، مجلة المصادر، ع **9**، مارس **2004**م.
- عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر- سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي **1830-1960**م، تر: جوزيف عبد الله، دار الحداثة، بيروت، **1983**م.
- عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي **1830-1960**م، المؤلفات للنشر والتوزيع، الجزائر، **2013**م.
- صالح حيمر، السياسة العقارية الفرنسية في الجزائر (**1830-1930**)، دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث المعاصر، **2014**، جامعة الحاج لخضر بباتنة، متاح على الموقع:
http://dspace.univ-batna.dz/xmlui/handle/123456789/3789
- دو طوكفيل ألكسي، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، تر: إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **2008**م.
- شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، عويدات للنشر، لبنان، **1982**م.
- شارل روبير أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا **1871-1919**م، ج**1**، دار الرائد للكتاب، الجزائر، **2007**م.
- فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، ط. خاصة، دار القصبة للنشر، الجزائر، **2005**م.

- الشريف كمال دحمان الحسني، أشراف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري، دار الخلدونية، الجزائر، **2009**م.
- مصطفى الأشرف، الجزائر الامة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، **2007**م.
- عبد المجيد بوجلة، العدوان الفرنسي على الجزائر: الخلفيات والأبعاد، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**، **2007**م.

Annie Rey – Goldzeigur, Le Royaum Arabe, la politique algérienne de Napoléon **1861** – **1870**, Alger, Ed SNED, **1977**

Charles Robert Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine, Paris, PUF, **1979**.

Charles Robert Ageron, Les Algériens musulmans et France, Paris, PUF, **1968**.

Rapport Présenté par M. JOUYNE, Conseiller général d'Alger, Au nom de la sous commision d'Etudes, Impremerie Typo Torrent ET MIAUX Palais Consulaire, Alger ,**1893**.

Joseph. Napoléon Circulaire du **05** December **1858**, relative aux indigenes travaillant chez les européens in kamel kateb. p**76**.

Djillali Sari, La dépossession des fellahs (**1830**-**1962**), Société nationale d'édition et de diffusion, **1975**.

- الهوامش:

1 Charles Robert Ageron, Les Algériens musulmans et France, Paris, PUF, **1968**, p **258**.

2- صالح حيمر، السياسة العقارية الفرنسية في الجزائر (**1930-1830**م)، دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث المعاصر، **2014**م، جامعة الحاج لخضر بباتنة، ص**276**.

3- عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي **1830-1960**م، المؤلفات للنشر والتوزيع، الجزائر، ج**2**، **2013**م، ص**25**.

4- دو طوكفيل ألكسي، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، تر: إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **2008**م، ص**111**.

5 Joseph. Napoléon Circulaire du **05** December **1858**, p**76**.

6- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **2000**م، ص**32**، **33**.

7- بسام العسلي، محمد المقراني وثورة **1871**م الجزائرية، درا النفائس، **1983**م، ص**32**.

8- أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر الثقافي، ج**2**، دار الغرب الإسلامي، **1996**م، ص**25**.

9- شارل روبير أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا **1871-1919**م، ج**1**، دار الرائد للكتاب، الجزائر، **2007**م، ص**134**.

10 Djillali Sari, La dépossession des fellahs (**1830-1962**), Société nationale d'édition et de diffusion, **1975**, p **09**.

11- عبد المجيد بوجلة، العدوان الفرنسي على الجزائر: الخلفيات والأبعاد، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**، **2007**م، ص**80**.

12- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج**1**، ط**2**، دار الغرب الإسلامي، **1992**م، ص**331**.

13- جمال قنان، "مشاغل المجتمع الجزائريين من خلال الصحافة **1882-1914**م، مجلة المصادر، ع**9**، مارس **2004**م، ص**41**.

14 Annie Rey – Goldzeigur, Le Royaum Arabe, la politique algérienne de Napoléon **1861** – **1870**, Alger, Ed SNED, **1977**, p**170**.

15- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، **2007**م، ص**14**.

16- يحيى بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **1986**م، ص**168**

17- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج**1**، ط**2**، دار الغرب الإسلامي، **1992**م، ص**155**.

18- قليل مليكة، هجرة الجزائريين من الأوراس إلى فرنسا (**1900-1939**م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الأوراس الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر،**2009**م، ص**75**.

19- سامية بن فاطمة، سامية بن فاطمة، الهجرة الجزائرية الى فرنسا خلال فترة الاحتلال الفرنسي **1830-1962**م قراءة في الأسباب والدوافع، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة تبسة، العدد **15**، **27** نوفمبر **2017**م، ص**13**.

20- عبد الحميد زوزو، **1969**م، ص**31**.

21- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر **1830-1962**م، ج**1**، دار المعرفة، الجزائر، **2017**م، ص**60**.

22- موسى لوصيف، **1963**م، ص**11-19**.

23- ياحي محمد، "النضال الوطني للمهاجرين الجزائريين في فرنسا"، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال، منعقد في **30-31** أكتوبر **2006**م، وزارة المجاهدين، الجزائر، **2007**م، ص**194**.

24- أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، **2004**م، ص**155**.

25- بوحوش عمار، العمال الجزائريون في فرنسا، وزارة المجاهدين، الجزائر، **2008**م، ص**140**.

26- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية **1962**، دار الغربي الإسلامي، لبنان، **2007**م، ص**140**.

27- بوحوش، نفس المرجع، ص**140-142**.

28- بوحوش، نفس المرجع، ص**143**.

29- بزيان سعدي، جرائم موريس بابون ضد المهاجرين الجزائريين في **17** أكتوبر **1961**م، ثالة، الجزائر، **2008**م، ص**13**.

30- بوحوش، نفس المرجع، ص**142**.

31- نفس المرجع.

32- توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، **1957**م، ص**132**.

33- توفيق المدني، نفس المرجع، ص**104**.

34- توفيق المدني، نفسه، ص**107**.

35- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص**32**، **33**.

36- بشير بلاح، المرجع السابق، ص**158**.

37- يحيى بوعزيز، مرجع سابق، ص**170**.

38- أرزقي شويتام، سياسة الاستيطان الفرنسي للجزائر **1830-1962**م، مجلة التاريخ المتوسطي، مج**2**، ع**2**، **31-12-2020**م، ص**209**.

39- بلعربي نور الدين، الاستيطان الأوروبي في الجزائر وانعكاساته الاجتماعية والثقافية (**1830-1962**م)، **2019**م، ص**135**.

40- بشير بلاح، المرجع السابق، ص**161**.

41- توفيق المدني، نفس المرجع، ص**131**.

42- عميراوي أحميدة وآخرون، **2007**م، ص**58**.

43- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص**52**.

44- عميراوي احميدة وآخرون، **2007**م، ص**58**.

45- يحيى بوعزيز، نفس المرجع، ص**52**.

46- عبد المالك التميمي، **1978**م، ص**93**.

47- رابح لونيسي وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصرة **1830-1989**م، ج**2**، دار المعرفة، الجزائر، **2009**م، ص**94**.

48- ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع، ص**32**، **33**.

49- رابح لونيسي وآخرون، المرجع السابق، ص**85**.

50- عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر- سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي **1830-1960**م، تر: جوزيف عبد الله، دار الحداثة، بيروت، **1983**م، ص**125**.

51- بشير بلاح، المرجع السابق، ص**45**.

52- أحمد بن عمر، "الحالة الاقتصادية في الجزائر"، جريدة المنار، ع**4**، دار البصائر، الجزائر، **2007**م، ص**64**.

53- صالح عباد، الجزائريين المستوطنين وفرنسا (**1830**/**1930**م)، د. م. ج. قسنطينة، **1984**م، ص**11-15**.

54- رمضان بورغدة، مصادرة الأراضي والضرائب والغرامات وأثرها على المجتمع الجزائري، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع**3**، منشورات جامعة **20** اوت **1955**م بسكيكدة، الجزائر، جوان **2008**م، ص**366**.

55- عدة بن داهة، المرجع السابق، ص**15**.

56- الشريف كمال دحمان الحسني، أشراف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري، دار الخلدونية، الجزائر، **2009**م، ص**123**.

57- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، **2011**م، ص**82**.

58- رابح لونيسي وآخرون، المرجع السابق، ص**93**.

59- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص**20**.
60- توفيق المدني، المرجع السابق، ص**134**.
61- صالح فركوس، التشريعات المنظمة للاستيطان الاستعماري في الجزائر وآثارها على المجتمع الجزائري، مشروع بحث في إطار البرنامج الوطني للبحث (PNR)، جامعة قالمة، **2010**م، ص**330-334**.
62- أرزقي شويتام، نفس المرجع، ص**210**، **211**.
63- فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، ط. خاصة، دار القصبة للنشر، الجزائر، **2005**م، ص**61**.
64- توفيق المدني، المرجع السابق، ص**132**.
65- بن داهة، المرجع السابق، ص**28**.
66- صالح فركوس، المرجع السابق، ص**337**.
67- سعد الله أبو القاسم، خلاصة تاريخ الجزائر الثقافي، ج**2**، دار الغرب الإسلامي، **1996**م، ص**208**.
68- شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، عويدات للنشر، لبنان، **1982**م، ص**126**.
69- صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، **1980**م، ص**153-157**.
70- أرزقي شويتام، نفس المرجع، ص**211**.
71- صلاح العقاد، نفس المرجع، ص**153-157**.
72- أرزقي شويتام، نفس المرجع، ص**212**.
73- بشير بلاح، المرجع السابق، ص**152**.
74- أرزقي شويتام، نفس المرجع، ص**212**.

الصحافة الإصلاحية في الجزائر وأهم انشغالاتها
(جريدة المنتقد أنموذجا 1925م)

الدكتورة: آمال معوشي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة

- Summary:	- الملخص:
The reformist current in Algeria relied on journalistic activity as a means of reform and spreading awareness, preserving the identity of the Algerian people and its fundamental components, and fighting French colonialism. Considering it an important way to spread reformist thought, these newspapers were a platform for Islamic advocacy and attention to national issues and the interests of Algerian society, and those of the Islamic nation from a broader perspective. For advocacy and edification of souls, as well as criticism and attacking the	لقد اعتمد التيار الإصلاحي في الجزائر على النشاط الصحفي كوسيلة من وسائل الإصلاح ونشر الوعي، والحفاظ على هوية الشعب الجزائري ومقوماته الأساسية، ومحاربة الاستعمار الفرنسي، وارتبطت مختلف الصحف والجرائد الإصلاحية التي ظهرت، بزعماء الإصلاح في الجزائر وأفكارهم المستمدة من الشريعة الإسلامية، وعكست قناعتهم بأهمية الصحافة واعتبارها وسيلة مهمة لنشر الفكر الإصلاحي، فكانت هذه الجرائد منبرا للدعوة الإسلامية والاهتمام بالقضايا الوطنية

وانشـــغالات المجتمـــع الجزائـــري، وانشغالات الأمة الإسلامية من بـــاب أوسع، وتعد جريدة المنتقـــد واحـــدة من الجرائد الإصلاحية، أنشأها رائد الإصلاح في الجزائر عبد الحميد بـــن باديس عام **1925**، وجعل منها منبرا للدعوة وتهـــذيب النفـــوس، وكـــذلك النقد ومهاجمة الإدارة الاستعمارية، والضلال وبـــدع الطـــرق الصـــوفية، فكانت جريـــدة سياســـية تهذيبيـــة انتقاديه، وعلى الـــرغم مـــن الطـــابع الإصلاحي لها إلا أنها لم تغفل عـــن الاهتمام بشـــؤون الأمـــة الإســـلامية وقضايا المغرب العربي، وهذا ما كان واضـــحا في مـــا كانـــت تنشرـــه مـــن مقـــالات، إن تســـليط الضـــوء عـــلى جريدة المنتقد وكبرى اهتماماتها هو ما نسعى إلى توضيحه في مـــداخلتنا إن شاء الله.	colonial administration, misguidance and innovations of the Sufi orders, it was a critical political newspaper, and despite its reformist nature, it did not lose sight of the interest in the affairs of the Islamic nation and the issues of the Arab Maghreb, and this was clear in what it was publishing of articles Highlighting Al-Muntaqid newspaper and its major interests is what we seek to clarify in our intervention.
– الكلمات المفتاحية:	- Keywords:
الصحافة، المنتقد؛ الإصلاح؛ الجزائر؛ القضايا المحلية؛ القضايا الخارجية.	press, critic; reform; Algeria; domestic issues; external issues.

- المقدمة:

برزت جريدة المنتقد على الساحة الصحفية في الجزائر وحملت بين طياتها الفكر الإصلاحي، ومنذ البداية أعلنت عن منهجها المتمثل في النقد لإصلاح المجتمع الجزائري، وتنقية الدين الإسلامي من كل الشوائب والبدع التي نشرتها الطرقية، ولم تكتف بهذا بل اهتمت بقضايا المجتمع الجزائري ذات الطابع السياسي والثقافي، وتعدت إلى الاهتمام بأخبار العالم خاصة العالم العربي الإسلامي، فجمعت بذلك بين عدة جوانب وكانت جريدة سياسية تهذيبية انتقاديه، والسؤال الذي نطرحه هنا: ما هي أهم انشغالاتها المحلية والخارجية، وأهم القضايا التي تعرضت لها بالذكر؟ وقد حاولنا الإجابة عن هذا التساؤل من خلال دراسة تحليلية للجريدة، واستعراض أهم انشغالاتها المحلية والخارجية، مرورا بعناصر أساسية أهمها:

- أهمية الصحافة الإصلاحية وحاجة المجتمع الجزائري إليها.

- تعريف جريدة المنتقد.

- أهم انشغالاتها المحلية.

- أهم انشغالاتها الخارجية.

1- أهمية الصحافة الإصلاحية وحاجة المجتمع الجزائري إليها:

تعتبر الصحافة وسيلة من وسائل الإعلام والتعبير والتواصل بين مختلف طبقات المجتمع، وتصنف على أنها نوع من أنواع السلطة لما لها من تأثير على مستخدميها والمجتمع عامة، والصحيفة هي مطبوع ورقي ينشر الأخبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية، ثم يشرحها ويعلق عليها[1]، واعتبرها بعض المؤرخين "مرآة صقيلة تنعكس فيها الأحداث السياسية والاجتماعية التي تضطرب لها آفاق البلاد، في مختلف مراحل

نموها وانبعاثها"، فهي تشغل وظيفة رائدة في بناء ذاكرة الأمة وتفعيل دورها الحضاري[2]، وتعد الصحف بمثابة مدرسة الشعب ولسانه من خلالها يتم طرح الآراء ومناقشتها، والجرائد والصحف الكبرى تخدم الأمة والوطن، وتكشف الخفايا وتبين الحقائق، وترفع اللثام عن الحوادث، وتنبه الجمهور إلى الواجبات الوطنية[3]، لذا اهتمت -في الماضي والحاضر- كل شعوب العالم بها، وسعت كل الأطراف من العامة، ومن السلطة، والتيارات، والجمعيات، والأحزاب السياسية وغيرها من مؤسسات المجتمع المدني إلى استغلال الصحافة لإسماع صوتها، ونقل مطالبها وأهدافها، وجعلها وسيلة تواصل بينها وبين بقية أطراف المجتمع.

واحتلت الصحافة الإصلاحية في الجزائر مكانة هامة، للدور الذي قامت به في توعية المجتمع ومحاربة الاستعمار الفرنسي، وعرفها بعض الباحثين: على أنها "مطبوع دوري يعمل على تزويد الجماهير بالمعلومات ويسعى إلى معالجة قضايا الواقع الإسلامي والعالمي، مستمدا خصائصه من التطور التقني ويعمل وفق أهداف مرحلية أهمها ضرورة إحداث تغيير شامل ومتوازن داخل المجتمع، بغية الرجوع به إلى هويته الحقيقية النابعة من الذات الإسلامية"[4]. والحقيقة أن الصحافة الإصلاحية لا تختلف في وسائلها عن بقية الصحافة، لكن أهدافها ومنهجها هو المختلف، لأنها تستمده من الدين الإسلامي، واجتمعت عدة عوامل لظهورها منها المبررات الشرعية لأن الدعوة جزء هام من المنهج الإسلامي، بالإضافة إلى المبرر الواقعي[5] والتاريخي، فحاجة المجتمع الجزائري حينها للصحافة الإصلاحية كانت ملحة، بالإضافة إلى أن الصحافة وسيلة من وسائل الاتصال المهمة منذ زمن بعيد، ولا يمكن أن يبقى الجزائري معتمدا فقط على الصحافة الفرنسية والأوروبية، أو الصحافة الجزائرية ذات التوجهات غير الإصلاحية.

ويرجع الفضل إلى جهود الحركة الإصلاحية التي تزعمها المصلح عبد الحميد بن باديس إذ استخدمها كوسيلة من وسائل الإصلاح، وجعلها بمثابة مدرسة شعبية متنقلة، لينشر فيها ما سعى إليه من الأهداف وما رآه ضروريا لحال الشعب الجزائري من التهذيب والتعليم[6]، وتطهير عقيدة الجزائريين من كل مظاهر الشرك والانحراف التي نشرتها الطرقية وأبعدت المجتمع عن العقيدة الإسلامية الصحيحة[7]، إذ كانت قوة الطرقيين مسيطرة على المجتمع الجزائري رجالا ونساء حتى الحرب العالمية الأولى، وقد أكد سيطرتها لاحقا الإمام عبد الحميد بن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين الذي بذل جهدا كبيرا في محاربتها وأكد أن: "قبل ظهور الإصلاح لا أحد كان يعتقد أن الإسلام هو شيء آخر غير الطرقية"، حتى أصبح من الصعب الإصلاح في وجودها، وهذا ما أشار إليه الشيخ البشير الإبراهيمي "أنه لا يتم في الأمة إصلاح في أي فرع من فروع الحياة مع وجود هذه الطرقية المشئومة وما لها من سلطان على الأرواح والأبدان، ومع ما فيها من إفساد للعقول وقتل للمواهب"[8]، وكان من أكثر فئات المجتمع تأثرا بها المرأة، حتى أفسدت تفكيرها وبعض عاداتها وتقاليدها، وأصبحت بذلك مؤمنة بالكثير من الخرافات والأباطيل التي تمكنت من عقيدتها، كتلك الزيارات التي تؤديها نحو الأضرحة والقبور والطواف حولها والعكوف عند القبب، والاستنجاد بالأولياء والتضرع إليهم وبث الشكوى لهم وحتى الاستغاثة بهم وطلب الشفاء منهم، وفي مثل هذه الزيارات الكثيرة قد تحدث خلوة بالشيوخ والأولياء والاختلاط بالرجال الأجانب في الساحات وأمام الأضرحة[9]، وما يقال عن فساد عقيدة المرأة بسبب الطرقية يقال عن الرجل.

لقد ظهرت صحف إصلاحية كثيرة في الجزائر لا يتسع المجال لذكرها كلها هنا، لذا سنركز على أهمها فقط، وهناك عدد من الصحف الإصلاحية التي ظهرت في العشرينات متزامنة مع صحيفة المنتقد كصحيفة صدى

الصحراء في بسكرة، التي كانت في مقدمة الصحف التي شاركت في المعركة الإصلاحية، ووصفت بأنها جريدة أسبوعية علمية أدبية اجتماعية انتقادية شعارها "العمل على درء المفسدة قبل جلب المصلحة"، صدر العدد الأول منها في **23** نوفمبر **1925**م، وبعد تعطلها خلفتها جريدة الحق البسكرية وهي جريدة أسبوعية اهتمت بالعلم والدين والتهذيب والسياسة صدر أول عدد منها في أفريل **1926**م[10]، وكانت مساعي الشيخ عبد الحميد بن باديس في دعم الصحافة الإصلاحية كبيرة، فقد شكلت الصحافة أحد وسائله الإصلاحية، وبعد أن أسس جريدة المنتقد عام **1925**م والتي اتسمت بأسلوبها الحماسي والإصلاحي اصطدم بالإدارة الفرنسية التي أوقفتها سريعا في نفس العام، لكن الشيخ أصدر بعدها وفي قسنطينة أيضا جريدة الشهاب، ثم حولها إلى مجلة واستمرت في الصدور إلى غاية الحرب العالمية الثانية، والشهاب مجلة إصلاحية ذات مبادئ رفيعة دافعت عن الإسلام واللغة العربية، والعدالة والحرية، وكانت لها اهتمامات بقضايا المغرب والمشرق العربي، ورغم أن صاحبها ترأس جمعية العلماء إلا أن ما كان ينشر فيها هو مواقف وآراء الشيخ فقد كانت الشهاب لسان حاله، ولم تعبر رسميا عن سياسة جمعية العلماء[11]، ومنذ **1933**م أصدرت جمعية العلماء صحفها الخاصة، التي سارت في طريق الإصلاح واهتمت بقضايا المجتمع الجزائري، وحاربت البدع والضلال وتصدت للسياسة الاستعمارية الفرنسية، وتولى تحريرها خيرة الرجال لهم خبرة في الميدان الصحفي منهم الطيب العقبي، محمد مبارك الميلي، محمد خير الدين وغيرهم، والصحف الأسبوعية التي نخصها بالذكر هي: الشريعة، الصراط، السنة، البصائر التي صدرت في الجزائر، مع الإشارة أن البصائر صدرت لاحقا في قسنطينة، ولم تسلم أغلب الصحف الإصلاحية من المصادرة وتعسف الإدارة الفرنسية[12].

2- لمحة عامة عن جريدة المنتقد **1925**م:

تمكن رائد الإصلاح عبد الحميد بن باديس من الاستقلال بصحافته الإصلاحية الخاصة بعد احتكاكه وتجربته بالعمل الصحفي، فقد ساهم في تأسيس وتحرير جريدة النجاح في عهدها الأول، ثم تخلى عنها لأنها ربما لم تتحمل اندفاعه وإقدامه على كلمة الحق، ولم تعكس توجهه، ففي عام **1925**م أسس جريدة "المنتقد" التي عكست أفكاره الإصلاحية وكانت داعية للنهضة والوطنية والتحرر، بأسلوب واضح وحماسي، وكانت جريدة أسبوعية، تلقاها الشباب وأصحاب الفكر العربي النير بحماس، ولكن الإدارة الفرنسية لم ترض عن لهجتها فأوقفتها بعد ثمانية عشر عددا[13]، فكان آخر أعدادها بـ **29** أكتوبر **1925**م.

وظهر أول عدد منها يوم **02** جويلية **1925**م الموافق لـ **11** ذي الحجة عام **1343**هـ بقسنطينة (العاصمة)، أصدرتها نخبة من الشبيبة الجزائرية، وكان أول مقال في صفحتها الأولى تحت عنوان: "خطتنا مبادينا وغايتنا وشعارنا" واندرجت تحته ثلاث عناوين أخرى: "مبدؤنا السياسي"، "مبدؤنا التهذيبي"، "مبدؤنا الانتقادي"، وهذا الأخير كان موجها للأشخاص الذين تبوؤوا مقاعد عليا في شؤون الأمة، أو أرادوا الريادة وإدارة أحوال الناس في كل الميادين، وأكدت الجريدة أن مبدأ النقد هنا قائم على أساس الأفعال العامة وورد فيها: "فأما صفاتهم الشخصية وأعمالهم الخاصة فلا يجوز لنا أن نعرض لها بشيء، وأما صفاتهم وأعمالهم العمومية فهي التي نعرض لها وننتقدها، فننتقد الحكام، والمدبرين، والنواب، والقضاة، والعلماء، والمقاديم، وكل من يتولى شأنا عاما من أكبر كبير إلى أصغر صغير من الفرنسويين، والوطنيين، ونناهض المفسدين والمستبدين من الناس أجمعين... وسنسلك في انتقادنا طريق الحقيقة المجردة والصدق والإخلاص والنزاهة والنظافة في الكلام"[14]، وإلى جانب التأسيس ترأس الشيخ عبد الحميد ابن باديس

تحريرها، وأسند إدارة شؤونها للسيد بوشمال أحمد[15]، واعتبرها مفدي زكرياء "أول صحف العهد الإصلاحي" التي شدت الحملات على أنصار البدعة والضلال، وانتقدت تصرفات الحكومة الاستعمارية بشكل قوي وصريح، وصدرت صبيحة يوم الخميس من كل أسبوع[16].

حملت جريدة المنتقد لواء الإصلاح والتغيير خاصة الإصلاح الاجتماعي فحاربت الخرافات والبدع التي روجت لها الطرقية المنحرفة، لتخليص المجتمع من هذه الانحرافات، والرجوع به إلى الإسلام الصحيح وعمل السلف الصالح[17]، فكانت بذلك جريدة سياسية تهذيبية انتقاديه، لسان حال الأحرار، شعارها الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء[18]. ويُظهر اسم الجريدة جليا مبدؤها الأساسي حيث أراد ابن باديس بهذا الاسم الذي اختاره القضاء على الشعار القائل: "اعتقد ولا تنتقد" وهو شعار القوم من الطرقيين وأعوان الاستعمار، فأبدله الشيخ بمبدأ الانتقاد وشعار "لا تعتقد حتى تنتقد"[19]، وحارب بذلك الفكر المنحرف الذي انتشر لسذاجة الناس وبساطة تفكيرهم، فأظهرت بذلك الجريدة منذ بدايتها على خطتها الإصلاحية الجريئة، بشعاراتها فهي جريدة حرة وطنية عملت لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية، واعتبرت الجريدة العربية الجزائرية الأولى التي جمعت تحت مظلتها مجموعة من أقلام الشباب المصلحين، الذين تكونوا تكوينا إسلاميا في جامع الزيتونة، والأزهر ومعاهد الشام، والحجاز، واجتمعوا على مبدأ الإصلاح، كما انشغلوا بهموم الأمة وقاوموا من جهة أخرى أفكار الفرنسة والتغريب التي كان الاستعمار يبثها في عقول الشباب الجزائري، ليلتفت الجزائريون المسلمون إلى حقيقة وضعيتهم بين الأمم، ويدركوا ماضيهم وأصولهم ولغتهم ودينهم وتاريخهم وهويتهم، فهم لا ينقصهم شيء بل يمتلكون كل مقومات الأمة[20]، والاستعمار الفرنسي مجرد دخيل.

ساهم في إعداد الجريدة وإخراجها للنور العديد من رجال الإصلاح ممن كانت لهم أقلام مؤثرة، ومشبعة بالروح الإسلامية ومنهم زعيم الحركة الإصلاحية الجزائرية الإمام عبد الحميد ابن باديس (**1889-1840**م)، الطيب العقبي (**1890-1960**م)، مبارك الميلي (**1898-1945**م)، أبو اليقظان (**1888-1973**م)، محمد الهادي السنوسي الزاهري، محمد العيد... كل هؤلاء وغيرهم قدموا إنتاجا مهما اعتبر تحولا في تاريخ الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر، لأن المنتقد اختلفت كل الاختلاف عن الصحف التي سبقتها من حيث سلاسة الأسلوب، ومتانة اللغة، وعمق الأفكار، بالإضافة إلى اللهجة الحارة والحملة الصادقة ضد الخرافات والبدع[21]، ويبدو أن هذه اللهجة والصراحة الواضحة والقوة جلبت لها مبكرا عداء فرنسا وعملائها، إذ لم يتحملوا سماع تلك الأصوات التي كانت بالنسبة لهم مزعجة، وأفسدت عليهم خططهم في إدارة الأمور، فسارعت الحكومة لخنق أنفاس الجريدة ولم تمر سنة على ولادتها، وذلك بعد صدور العدد **18** منها، وفي نفس العام الذي ولدت فيه صدر قرار تعطيلها[22]، نتيجة كثرة الأعداء اللذين ثارت حفيظتهم عليها من بعض الطرقيين، وساندهم في ذلك بعض رجال الدين الرسميين، فكثرت وشايتهم عليها لدى السلطات الفرنسية التي لم تكن أحسن منهم في موقفها من الجريدة[23]، لكن لم تهزم فرنسا عزيمة ابن باديس، ولم يستسلم للواقع ويرضى بالقرار الجائر، فما إن اختفت المنتقد حتى خلفتها جريدة الشهاب[24] التي ماثلتها في الأهداف والمبدأ والتوجه.

3- الاهتمامات المحلية للجريدة:

أ- الاهتمامات السياسية:

اهتمت الجريدة بمختلف القضايا السياسية المحلية في الجزائر، ودافعت عن حقوق الشعب الجزائري، وتتبعت الانتخابات والمنتخبين، وانتقدت

السياسة الفرنسية في عدة مواقف منها إهمالها لقضايا الأهالي، ومن بين ما ورد في المنتقد مقال لابن باديس وهو يوجه اللوم للسيد "المير" الذي تأخر كما هي العادة في الشؤون الأهلية، وكان من الواجب أن يراعي النواب الأهالي الذين صوتوا عليه[25]، وطرح محمد مبارك الميلي في مقاله: "الملوكية ضمن الجمهورية" فكرة الاستبداد الذي تتفنن فيه الأنظمة الظالمة ضد الشعوب المقهورة، واعتبر نظام الملوكية ويقصد به النظام الملكي، نظام بال أوجده الإنسان العتيق، مستبد متسلط على الأمة في شؤون حياتها، واستحسن النظام الجمهوري إذ اعتبر أن البشر قد عرفوا نظاما أكفل لسعادتهم من الأول، يفتح لهم طرق الكمال ويهدي عقولهم إلى الأفضل، واعتبر أن الأمة الفرنسية كانت أسبق الأمم إلى نظام الجمهورية وأشدها تمسكا بمبادئه، لكن الغريب أنها لم تحكم الجزائر بالنظام الجمهوري، بل فرنسا الديمقراطية أوجدت في حكمها للجزائر نظاما هجينا عبر عنه الميلي بـ "الملوكية ضمن الجمهورية"، واعتبره نظاما آخر لم يعرفه التاريخ، ولم يوجد له اسم في قواميس السياسة، نظام أسوأ من الملوكية أذاق الجزائريين المرارة والويلات وهم على أنفسهم شهود، وانتقد في مقاله أسلوب السياسة الفرنسية في معاملة الجزائريين، وظلمها واستبدادها[26].

ومن جهته اهتم المولود بن الصديق الحافظي الأزهري بشأن الانتخابات المحلية في مقاله "كتاب مفتوح إلى حضرات النواب المحترمين"، تحدث فيه عن الرأي الصائب في عملية الاختيار، ونبذ الأغراض الشخصية، معتبرا أن الصعوبة ليست في الانتخاب على الأشخاص، بل الصعوبة في انتخاب الرأي الصائب للوصول إلى أهداف أمة تنشد الحياة الكريمة، ولم ينس تذكير المنتخَبين بعظم المسؤولية الملقاة على كاهلهم، وواجبهم في النهوض بالمجتمع ورعاية مصالحه[27].

وأولت جريدة المنتقد اهتماما خاصا بوضعية المدن الجزائرية وأحوالها والحظ الذي نالته من المشاريع التنموية، ووجهت نقدا للسياسة الفرنسية التي أهملت بعض المدن، ولم تلتفت إليهم إلا بالقمع والقهر ومن الأمثلة على ذلك: المقال الذي نشر تحت عنوان "كتاب مفتوح إلى جناب الوالي العام"، والذي وقعه **40** تاجرا من الزقم تبسة، واحتجوا فيه على أن بلدتهم الزقم وأحوازها لازالت كالبادية التي تنتشر فيها الخيام، ولم تتحصل على بريد، رغم أن البلدة بها نحو **3** ألاف نسمة ومن أفراد النخيل نحو **40** ألفا، وهذا انعكس عليهم سلبا لأن عدة مصالح تفوتهم نتيجة غياب مكتب، كالحوالات التلغرافية والأخبار البرقية والمكاتيب المضمونة على اختلافها، واللفايف والصحافة وطوابع البريد وأوراق الصكوك... إلخ من المواقف التي تفوتهم، وختمت الرسالة بمناجاة: "والخلاصة أننا نسائلكم يا جناب الوالي باسم الإنسانية والعدالة أن تعيرونا لفتة وتنظروا لنا بعين ملؤها الشفقة والحنان بأن تعجلوا لنا بتأسيس هذا المكتب ومرغوبنا بأن يكون قبل ختام العام الجاري حتى لا تذهب مصالحنا سدى"[28].

وتحدث مقال "فضائع البوليس" العدد **12** عن ما تعرض له أحدهم من مضايقة واقتياد لمركز الشرطة وتهمته الوحيدة أنه كان يحمل العدد الثامن من جريدة المنتقد، وهناك عومل بغطرسة بحجة أن القانون يمنع قراءة الجرائد العربية، ولولا وجود أحد الفرنسيين الأحرار لأودع ذلك المسكين السجن من غير جرم ارتكبه أو ذنب فعله، وقد وقعت واقعة مماثلة لشخص آخر كان يحمل جريدة النجاح، ففرنسا هاجمت كل الحاملين للجرائد العربية، ونشرت هذه الوقائع احتجاجا واستلفاتا لأنظار أولي الحل والعقد، والمسؤولين لأن الأمر أصبح لا يطاق، وتساءلت الجريدة هل في البلاد عدالة وقانون أم نحن تحت نظام البوليس ورحمته؟[29] ووصف مقال بالعدد نفسه أنباء حول مدينة سطيف تحدث فيه محمد بن العابد الجلالي عن ما

لاحظه في سطيف حول الوضع الزراعي بها، إذ كان سيئا جدا وتضرر أكثر بعد تساقط البرد خاصة في عين ولمان، ورأس الوادي، وضواحي برج بوعريريج، مما أصاب الأهالي بالقلق خاصة أن منهم من كان عليه ديون للدولة وكان ينتظر موسم الجني والحصاد لسدادها، وبفساد المحصول تأزم الوضع لعدم احتكامهم على المال، وطبعا في هذه الحالة التزمت السلطات الفرنسية الصمت، لولا وجود أحد الأعضاء العاملين في مصلحة البلاد المدعو السيد أحمد القلي النائب في المجلس المالي، والذي أخبر الجلالي أنه شخّص الحالة لدى الوالي العام بمصادقة سائر النواب، من أجل مصلحة الأهالي[30]، وأضاف محمد بن العابد الجلالي عن مدينة البرج بعد زيارته لها، أنها رغم توفر المواد لدى السكان فليس هناك معمل أو شركة أهلية، ولا أثر من آثار التقدم الاقتصادي، أو السياسي، أو الأدبي يظهر للناس مقدار حاجة بعضهم إلى بعض، ويعلمهم الاعتماد على النفس[31].

وواصل محمد بن العابد الجلالي تنقلاته عبر الوطن ومن خلال رحلاته كان يصف من خلال مشاهداته حال المدن التي زارها، فوصف الجلفة بأنها تحت الحكم العسكري، وأهلها متفانون في تربية الإبل والغنم وهي مصدر ثروتهم الوحيد، وهم محرومون من التعليم، والأغواط تحت حكم بين المدني والعسكري، وعناصر ثروتها متعددة من النخيل والفواكه والمواشي والمزارع، لكنك إذا نظرت على مستوى الأفراد تجده مثقلا بالضرائب، ورغم ذلك فأهالي هذه البلدة يتمتعون بمكارم الأخلاق، ووصف أيضا قصر البخاري الذي عاني توقف الحركة الاقتصادية خاصة المجال الزراعي، وإذا لم تلتفت الحكومة لهم وتسقط عن الأهالي الضرائب، وتأجل الديون وتعينهم فحتما سيتفاقم الخطب، وتشتد الأزمة، ووجه بدوره نداء للحكومة لمساعدة أهالي قصر البخاري، وحث السادة النواب أن يقوموا بواجبهم الذي أتمنتهم الأمة عليه، والحقيقة أن مصيبة قصر البخاري ليست اقتصادية فحسب، فالتعليم

أيضا مفقود وهو عنصر مهم لبناء أي مجتمع[32]، ورصد لنا محمد الهادي في مقال عنوانه "ما سمعت وما شاهدت في قرية ريني وقرية تاملوكة" وضع الأهالي بهذه المناطق، ووصفهم أنهم يعانون مرارة العيش، وقسوة الفرنسيين والكولون الذين يأمرون الأهالي ويتحكمون بهم، ويسوقونهم بالسياط، والتهديد بالقتل ودخول السجن[33]، ويبدو من هذه الملاحظات أن السلطة الفرنسية في الجزائر لا تولي أي اهتمام بأحوال الجزائريين الاقتصادية والثقافية، بل ترهقهم بالضرائب وتسولي على خيرات البلاد.

واشتملت الجريدة أيضا على مجموعة من المقالات التي اهتمت بالانتخابات ونتائجها مثل مقال "ذكرى لأولي الألباب"، الذي ذكّر بفوائد الانتخابات وأن لها أصول تقوم عليا ومنها: نبذ التعصب والهمجية والمستوى المادي، وبالمقابل الركون في عملية الانتخاب إلى المطلع على أحوال الناس، العارف بأحوال السياسة، فهو الأنفع والأصلح لمعالجة قضايا الأمة، وإن افتقد للمال والعصبة، ورغم أن الكلام كان مخصصا لسكان عين البيضاء إلا أن معناه ينطبق على الجميع، كما نبه المقال أيضا للمسؤولية الملقاة على عاتق المنتخَبين، المسؤولية السياسية والثقافية وورد فيه: "فما بقي علينا الآن إلا أن نقول لهاته الشبيبة، يا أيتها الشبيبة إن الأمة انتخبتك لترفعي عنها الأغلال، وتساعديها في الكثير من الأعمال، وتنقذيها من اليد الظالمة، وتسمعي صدى صوتها الشجي وتذكريها في الأيام الغابرة وما كانت عليه أمة الإسلام وحالتها التي أصبحت فيها، وفي ظني لا يسعك التأخر ولو بلغت بك الأعذار ما بلغت وحقا أقول أنك أيتها الشبيبة لا تستحقي التنبيه ولكن هذا من باب وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين." ثم أضاف صاحب المقال مطالب واحتياجات سكان عين البيضاء التي تمثلت في مدرس، إصلاح المسجد، طريق المقبرة، وهي مطالب ملحة وفائدتها عامة[34].

وهنأت الجريدة في مقال "الفائزون في الانتخابات العمالية"، الأمة على اختيار نوابها وذكرتهم بمسؤوليتهم الجسيمة، على أمل أن ينشروا انجازاتهم على صفحات الجرائد العربية لتطلع عليها الأمة، فتؤيدهم ويكون لهم من ذلك تأثير في مطالبهم وقوة في مراكزهم[35]، كما اهتمت المنتقد بتحركات المسؤولين الكبار وتنقلاتهم وما صدر عنهم من خطاب على غرار المقال الذي حمل عنوان: "آمال سمو الوالي العام بالجزائر"، والذي عالج عدة نقاط كمسألة الخدمة العسكرية بالنسبة للأهالي، ومسألة القوانين الجائرة، والقروض الفلاحية وغيرها من القضايا[36].

إن صفحات جريدة المنتقد تمتلئ بالاهتمامات السياسية على المستوى المحلي والتي وظفت فيها النثر والشعر أحيانا، ولا يخلو عدد من إحدى هذه الاهتمامات، ويستحيل رصدها هنا جميعا فاكتفينا بهذه النماذج ورأينا أن نختم بمقال عبد الحميد بن باديس "الانتخابات وتمثيل الأمة" الذي نادى من خلاله الشعب الجزائري أن يفتك حقوقه المدنية من الإدارة الفرنسية، والتي تتمثل في حق التمثيل النيابي وحق الانتخابات، والتمسك بهما مع حسن استعمالها، مؤكدا أن فرنسا لم تمنح الجزائريين في هذا المجال إلا حقوقا طفيفة، وحجتها عدم أهلية الجزائري وكفاءته، فحث الجزائريين على الدفاع عن حقوقهم مع التزام حسن السلوك في الانتخابات، وحسن الاختيار لمن يمثلهم[37].

ب- الاهتمامات الثقافية والتهذيبية:

إن المتصفح لجريدة المنتقد سيقف على عدد كبير من المقالات التي اهتمت بالجانب الثقافي والتهذيبي للمجتمع الجزائري، فحاولت تنويره وربطه بثقافته وتهذيب أخلاقه من خلال تذكيره بمكارم وحسن الأخلاق، وحثه على العلم والعبادة وتصحيح مفاهيمه، ومن المقالات التي اخترناها في هذا

الجانب مقال "حسن التعليم أساس كل تقدم" لـ: محمد نجار، وفيه مدح العلم والتعلم والإقبال على القراءة، معتبرا أن تقدم الأمم مرهون بمدى إقبالها على القراءة والتعليم، لأن التعليم لازم لزوم الغذاء للبدن، واعتبر المجتمعات المقصرة في أخذ العلم مجتمعات ميتة ينقصها القبر فقط، وحث كل أفراد المجتمع على الإقبال على المعرفة، ونصح أولياء الأمور خاصة على تعليم الأطفال لغتهم وقواعد دينهم، حتى لا يقعوا فريسة للتعليم الفرنسي، ونصحهم باغتنام العطلة لتعليمهم كي لا تضيع سدى[38]، والدعوة للتعليم هي أيضا موضوع مقال حمل عنوان: "هلمّوا إلى التعليم" لمحمد السعدي بن وادفل وفيه دعوة للتعليم الشرعي وتعليم اللغة العربية للحفاظ على الهوية[39].

ومن المواضيع الثقافية التي تكلمت عليها الجريدة أيضا مواضيع متعلقة بالصحافة وأهميتها في المجتمع وتنوير الأفراد ونقل الأحداث لهم[40]، فالمنتقد اهتمت اهتماما بليغا بعالم الصحافة لأنها كانت مدركة للأهمية والمنفعة التي تأتي من ورائها، فأشادت بالصحافة العربية تحديدا على غرار جريدة "النجاح" لصاحبها عبد الحفيظ الهاشمي، و"الجزائر" الجريدة السياسية الأدبية الأخلاقية لصاحبها الكاتب الشاعر الشيخ السعيد الزاهري، وهنأ عبد الحميد بن باديس أصحابها وأشاد بالصحيفتين وما تقدمانه على الساحة الصحفية[41]، ومن جهته أشاد المولود بن الصديق الحافظي الأزهري في مقاله: "تقدم الصحافة"، بجريدة المنتقد واعتبرها إضافة طيبة للساحة الصحفية الجزائرية، فالجزائر كانت بالأمس تعبر عن أمانيها صحيفة واحدة، وبميلاد المنتقد تعززت به، فهي صحيفة حرة مفعمة بالغيرة الصادقة على مصالح الوطن، قائمة على عدة مبادئ منها العزم والثبات، أما هدفها فهو الإصلاح والعمل لوحدة الأمة الجزائرية التي تئن تحت وطأة الاستعمار، واعتبر صاحب المقال الصحف النشيطة حينها من صحيفة

"النجاح" و"المنتقد" "والجزائر"، نهضة مباركة نهضة الصحافة الحرة، وهو أمر غير مسبوق في تاريخ الصحافة الجزائرية، والقطر الجزائري ممتن لمن أنشأ هذه الصحف، ويدعو بمزيد من التقدم والرقي للصحافة الجزائرية، وبدوام البقاء والرواج، وحث الجمهور على اقتناء جريدة المنتقد، والاشتراك فيها ومساعدتها ماديا وأدبيا، والالتفاف حول مقالاتها، والعمل بنصائحها[42].

وتحدثت الجريدة عن العلم والعلماء كثيرا وقدمت لهم النصح أحيانا بأن يبذلوا جهدهم في تبليغ الأمانة، والاجتهاد في العمل فهم خلفاء الأنبياء والرسل، والمسؤولية ملقاة على كاهلهم للنهوض بالمجتمع[43]، فالواجب يحتم عليهم الجهر بالدعوة، وكل عالم ساكت قد حاد عن جادة الصواب، خاصة وأن سكوت العلماء سمح لغيرهم من أصحاب الطرقية من الكلام، وإدخال ما ليس من الدين في الدين، فانتشرت البدع والضلال، وانتشر مبدأ التقليد دون تمحيص، فما كان من عبد الحميد بن باديس إلا أن يسدي النصيحة إلى الفئة الصامتة من العلماء عن دعم الحق والجهر به، من أجل أن تقوم بواجبها[44]، وردّت الجريدة في عدة مواضع أسباب تخلف الأمة وما أصاب الدين من البدع والخرافات والأباطيل إلى سكوت العلماء وتقاعسهم عن الدعوة "فيا أيها العلماء إلى متى وأنتم نائمون نومة أصحاب الكهف؟ وإلى متى هذا الجمود الذي عشعش وباض في أفكار أمتكم يزول تلك الأمة المخالفة للدين فأروها الطريق المستقيم علّها ترجع، وانهضوا بها نهضة يابانية فبم يكون هذا يا ترى؟... فتعاونوا على البر والتقوى، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبكم يا ورثة الأنبياء..."[45]، وفي هذه المقالات إشارة إلى حالة الجمود والتقليد التي طبعت الحياة الثقافية في الجزائر.

ووجه مبارك الميلي في مقاله "المصلحون والمرجفون"، خطابا صريحا للأمة أكد من خلاله أن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي يصلح للسير بالمجتمع الإنساني إلى السعادة الدنيوية والأخروية، وهو الدين الصالح السليم للبشرية، وهاجم كل من أحدث فيه البدع والخرافات، أو أراد انتقاده تحت أي حجة فهو دين رباني صالح لكل زمان ومكان، كما نبذ التعصب لغير الكتاب والسنة، ودعا لمحاربة المبتدعة والفاسقين، وحبب التمسك بحبل الله والاتحاد لأنه منجاة المسلم[46]، وفي مقال آخر من الجريدة وبتوقيع الفرقد قارن بين الزمن الماضي للأمة الإسلامية وقوتها وازدهارها، وبين ما آلت إليه في الحاضر من كبوة وتراجع، ودعا للنهوض بالأمة وإعادة مجدها[47]، وحتما من بين أهم أسباب التخلف هو البعد عن الدين وأحكامه.

وتضمنت الجريدة مقالات حول زوايا الطرق الصوفية والتصوف وارتباطهم ببعض المسائل، ومنها المقال المعنون بـ: "العمارية في الجزائر العاصمة"، وهي زوايا الطريقة العمارية بالعاصمة وقد شهدت هذه الزوايا فتنة ووشاية، حتى أقفلت الحكومة تلك الزوايا إلا واحدة، ويبدو أن بعض الزوايا حينها قد شهدت العديد من المشاكل المتعلقة بالفتنة والوشاية فكما حدث مع زوايا الطريقة العمارية، حدث مع بعض الزوايا في قسنطينة[48] وتحدث مقال: "أصحافي؟ أم صوفي؟ "عن التصوف ومفهومه حينها المرتبط بالعزلة والخمول والتسليم والرضا... والاكتفاء باليسير من هذه الدنيا، والصبر على البلاء، وكيد الأعداء، وتحدث من جهة أخرى عن الصحافة الحقيقية التي تدعو إلى خلاف ذلك، وبذلك فالمفهومين مختلفين عن بعضهما البعض، لكن الصحافي عمر بن قدور الصحافي القديم أراد أن يجمع بينهما، مما جعل صاحب المقال المدعو محمد العزوزي حوحو أن يصرح أنه هناك فرق كبير بين عالم التصوف وعالم الصحافة، مخبرا عمر بن قدور بأنه ينشر فكرة في المجتمع، كما نشر هو فكره، وكأنه عبر عن فكرة "حرية التعبير"

المكفولة له ولعمر بن قدور، فكما نشر بن قدور فكره، من حق العزوزي حوحو نشر فكره محاولا إقناع بن قدور لإتباعه، باعتباره صحافيا قديما، مما يدعو أن يكون صدره رحبا ومتسعا لمناقشة الأفكار، وتبادل الآراء[49].

ومن المواضيع المتصلة بالجانب الثقافي موضوع اللغة العربية التي اهتمت بها الجريدة ومن خلال عدة مقالات دعت المجتمع الجزائري للإقبال على تعلمها والتمسك بها كما أشرنا سابقا، كما نبهت إلى الوضع الذي آلت إليه إذ تراجعت أهميتها بين أبنائها كما ضعفت من حيث الاهتمام بها، فأشار مقال "حول النادي لا تفاهم بغير العربية" لصاحبه عبد الحميد بن باديس، إلى الوضع الذي آلت إليه اللغة العربية، حيث تراجع التعامل بها بين أبنائها ولم تعد تجمعهم، فمنهم من لا يتقنها إطلاقا، ومنهم من يتقن العامية أفضل منها، ومنهم من يستخدم الفرنسية للتعبير عن نفسه وأفكاره، ولما اجتمعوا ظهر المشكل الذي وصفه "بالحزين" وهو عسر التفاهم بين أخوة دينهم واحد ووطنهم ولغتهم واحدة، هذا الجمع بما يتفاهمون؟ بالدارجة؟ بالعربية؟ بالفرنسية؟ هكذا تساءل وتأسف بن باديس قائلا: "نكتب هذا والأسف ملء قلوبنا على ضياع لغتنا حتى كاد ينسد طريق التفاهم بيننا، وبكل إخلاص نقول لإخواننا الذين برعوا في لغة غيرهم حتى كادوا يفوقون أهلها: يجب عليكم أن تعتنوا شيئا بلغتكم، حتى لا يحرم إخوانكم من فهم جواهر معارفكم ولا تحرموا أنتم مما عندكم كذلك، فإنه لا يحصل التفاهم بينكم إلا بها وما تحصيلكم لها على همتكم وذكائكم ببعيد"[50].

وأشار أمين بك ناصر الدين للمشكلة نفسها في قصيدته: "يا معشر اللغة الفصحى" ودعا إلى التمسك باللغة العربية بقوله[51]:

يا من يرى اللغة الفصحى وقد نكبت ** بكل دهياء ردت نورها ظلما

هوت من الذروة العليا وبث لها ** شر الغوائل قوم ضيعوا الهمما

تخالهم عربا حتى إذا نطقوا ** في الناس أو كتبوا لم يفضلوا العجما

فتلك أشعارهم ساموا البيان بها ** مذلة وأهانوا الطرس والقلما

لم ينشروا صحفا للناس قيمة ** وإنما نشروا بين الورى نقما

وتجدر الإشارة هنا أن جريدة المنتقد كانت حقلا خصبا للميدان الأدبي، فوجدت بين طياتها العديد من القصائد، كما اتخذها الشعراء والروائيون منبرا لهم، ومتنفسا لقرائحهم فجالوا وصالوا وأفادوا، كما ترجمت القصة الغربية إلى العربية، وهذا بغية الاطلاع على المخزون الفكري والأدبي الغربي، من أجل تلاقي الأفكار وتنوع الروافد[52]، والقصائد التي قدمتها المنتقد كانت مواضيعها مختلفة، ولشعراء من مدارس مختلفة أيضا ومنهم أليا أبو ماضي في إحدى قصائده المشهورة: "التينة الحمقاء"، محمد العيد بن حم علي، أخو الرشيد، السيد الهادي السنوسي الزاهري، شفيق بك جبري، عادل أرسلان، الطيب العقبي في قصيدته: "إلى الدين الخالص" التي عالج فيها بعض القضايا وحث على التمسك بالدين والعلم من أجل التقدم[53] وغيرهم، وتنوعت المواضيع التي عالجتها هذه القصائد ومنها الدين، الوطن، والأخلاق والحرية، مدح الجريدة.

وهاجمت إحدى مقالات الجريدة الجمود الفكري في مقال بعنوان: "الجمود"، واعتبرته علة العلل، وتأسف صاحب المقال للوضع الثقافي الذي ساده الجمود والخوف من التجديد، وقد سرد هو شخصيا موقفا تعرض له حين طرح فكرة النقاش وتجديد التراث بقوله: "لا أزيدكم بيانا أكثر مما وقع بي مع صاحبي الفقيه في بلد -ج- حيث قلت له يجب علينا أن نبحث فيما نقرأ أو نتأمل فيما نقول، إذ الكتب لا تخلو من غث وسمين ومقبول ومردود، فإن لكل عصر رجالا يجب عليهم وحدهم الأخذ بساعد الدين ونفي

الشبهات عنه، وإلا كتموا الحق وأصبحوا من الخاسرين، لم أصل إلى هاته الكلمة حتى عبس وجهه وتقطب جبينه وارتعدت فرائصه، وبادرني قائلا أنك تريد أن تنفي الثقة عن سادتنا وأئمتنا، فقلت له مهلا يا سيدي الفقيه فإني ما أردت بذلك رفع الثقة عنهم، وإنما يلزمنا أن نرفع الثقة عن أنفسنا أيضا"[54].

وإن كان الجمود والجهل مذموما فإن التجديد والعلم ومحاربة البدع محمود ومحمود فاعله، وهو ما ظهر في مقال النائب محمد بن العابد الجلالي الذي حمل عنوان "الخطوات الأوائل"، ورغم أنه تقرير عن تنقلاته بين وادي العثمانية، وشطودان (شلغوم العيد حاليا)، ساطارنو (العلمة حاليا)، سطيف، إلا أنه أثنى على أهل العلم الذين قابلهم، ففي ساطارنو التقى بمن وصفه "الوطني المهذب" وواحد من حملة القلم بإدارة المتصرف، ورئيس جمعية إحياء العلوم الإسلامية السيد محمد بن الموفق، وأعضاء جمعيته، وقد أثنى النائب على هذا الشخص ومن معه، واطلع على بعض الدروس وعلى هيئة المكتب، مما أثلج صدره، وتوقع الأحسن لذلك الرجل ولتلك الشبيبة الطيبة، وتمنى أن تُدعّم جهودهم من طرف المسؤولين أكثر فأكثر لخدمة العلم، وفي سطيف التقى النائب بالشيخ البشير الإبراهيمي فوصفه بـ"نبراس العلوم مبيد ظلمات الجهل محطم قيود التقليد الفاسد"، فأكد بأن النقصان الجسمي لا يؤثر (لأن الشيخ الإبراهيمي كان أعرجا) في نقصان الهمم أو زيادتها أو القعود عن الواجبات، فهو في سائر حالاته -يقصد الشيخ- سواء كان ماشيا أو جالسا في المدرسة، أو في المقاهي الحديثة، يفيد من حوله بالدروس الممتعة، والنكات اللطيفة، ما لا يمكن أن تجده عند غيره وإن طال الزمن، وتعجب النائب من أهل سطيف فرغم شهامتهم وشدة ذكائهم، إلا أنهم في غفلة كبيرة عن هذا الشيخ الذي لم يستفيدوا من علمه كما ينبغي، وهم أصلا بحاجة للعلم والتعلم[55].

وقدمت الجريدة عدة مرات مقالات تدعو إلى التقدم ومواكبة التطور، والأخذ بالعلم والمعرفة من أجل التخلص من التخلف الذي ألمّ بالأمة الإسلامية في كل الميادين ومنها الميدان الثقافي، ومن بين هذه المقالات المقال المعنون بـــ: "رسائل الصغار إلى الشعب الجزائري"، ومن خلاله دعا صاحبه "بنوح بن الشيخ أحمد القاضي الإباضي" إلى وجوب النهوض بالوطن واللحاق بركب التقدم الذي وصلت إليه الدول الغربية، ودعا الشعب إلى التقدم نحو الأمام والمجاهرة بصوته، كما دعا إلى الأخذ بالعلوم والمعارف بشتى أنواعها الشرعية والعقلية، كالطب والهندسة والصناعة فهذه العلوم تشهد تأخرا كبيرا في الجزائر، في حين تقدم المشرق فيها قليلا، لكن في الوقت نفسه دعا إلى التمسك بالهوية وصفات الإسلام، ولا خير في علم يأخذه النشء وينتج عنه عداوة الوطن، فالتقدم يجب أن يكون مقترنا بماضي الإنسان ودينه وهويته[56].

وحثت الجريدة على العديد من مكارم الأخلاق منها الكرامة، والشجاعة، والحفاظ على الدين والمجتمع، والتربية، وحقيقة السعادة والاتحاد والتعاون، والقوة في العزيمة، والدعوة إلى الإنصاف مع النفس والسير بأخلاق حميدة، ونبذ الطمع والحرص وغيرها من الأخلاق التي تزيّن الإنسان وترفع مقامه، فرأى منصور فهمي في مقال "الكرامة" أن أساس الشعور بالكرامة معرفة الشخص نفسه حق المعرفة، وما لهذه النفس البشرية من حقوق وما عليها من واجبات، واعتبر أن هذا الموضوع مرتبط بعلم النفس أكثر من علم الأخلاق، وشعور الإنسان بالكرامة منطلقه شعوره بقيمة نفسه، لذا انطلق في الدفاع عن نفسه باحثا عن حقوقه، وأكد في ختام مقاله أن أولئك الذين لا يزالون في جهلهم، وأولئك الذين يرتضون لأنفسهم أن يعتزوا بغيرهم وأن ينزلوا عن إرادتهم لغيرهم، وأولئك الذين تتلاشى شخصيتهم في شخصية سواهم، وأولئك الذين لا يزالون يطمئنون إلى تحكم الغير في نفوسهم، أولئك

هم المستضعفون الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وأولئك كالأنعام بل هم أضل[57]، فكانت دعوته صريحة للتمسك بالكرامة واحترام الذات.

وكانت الشجاعة عند الدكتور "فرنك كراين" القضية الأولى، ففي مقاله "الشجاعة هي القضية الأولى"، أشاد بهذه الصفة واعتبرها على رأس الفضائل، ومن الأخلاق الحميدة التي تسعى كل الشعوب للتحلي بها، كما لا توجد أمة في التاريخ كله تجهل الشجاعة أو لا تحترمها فهي الفضيلة العامة، واستشهد بالكثير من الشخصيات الدينية والتاريخية والثقافية التي نالت حظا من الشهرة، ورغم عدم خلوها من العيوب إلا أن الشجاعة كانت الصفة البارزة فيها، والشجاعة مزية معدية عند الدكتور فرنك كراين، فكل من كان شجاعا في محيطه يستطيع بث روح الشجاعة في الآخرين حوله، كما أن الخوف معد ويلحقه الرعب منتشرا في الأوساط الخائفة، ونصح بعدم الاستسلام للخوف لأنه يذهب بالكثير من قوة الحياة في الدنيا، والتحلي بروح المواجهة والجرأة، وربط الإصلاح بالشجاعة ونبذ الخطر والخضوع لسلطة الآخرين... وختم مقاله بقوله: "أنا سيد مقدرتي"، "وأنا ربان نفسي-"، ومقصده هنا حث الناس على الشجاعة وليس أمرا آخر[58]، وقد نصف مقاله اليوم بالتنمية الذاتية.

وتغنى محمد الهادي السنوسي الزاهري بـــ: "الإحساس والشعور" واعتبرهما قوتان نفسيتان عزيزتان، باعثهما في النفس موجب فرح أو ترح، وهما مرتبطان بمستوى الإنسان في الحياة، فإن كان من ذوي النفوس الكبيرة الآخذة مركزا من الكمال الروحي فإحساسه وشعوره يتجاوز العالم المحسوس، أما إن كان من ذوي النفوس الخبيثة الشريرة فإحساسه وشعوره مرتبط بما تراه عينه فقط، ويكون حبيس المظاهر، ويحبذ الزاهري أصحاب الجوهر لا المظهر، وربط عمق الإحساس والشعور بالوطن، وطلب الحرية، والحفاظ على الهوية، والدين، واللغة، والأخلاق، واحترام الغير

والإحساس بالفقير... ولم ينس في الأخير أن ينتقد أبنـاء الزوايـا وادعـاؤهم بالعصمة وعدم التكليف الشرعي على أساس أنهم خلفاء لـ: " سيدي"، ودعا بالتمسك بالله والرجوع إليه دائما[59].

وتكلم الطيب العقبي في مقاله "الدين والاجتماع" عن مبدأ المنتقد القـائم على نقد البدع والدعوة إلى تعاليم الإسلام الحقيقية، وهـو مبـدأ باعـث عـلى الفخر عند المصلحين، ونفى أن يكون تأخر الأمـة الإسـلامية بسـبب الـدين الإسلامي، ودعا النفوس أن تـتحلى بـالفكر السـليم وتتبـع مبـادئ الـدين الإسلامي الحقيقية، والتخلص من "سلم تسلم" "والاعتقاد ولايـة والانتقـاد جناية"، وأشار إلى التخلف الذي تعيشه الأمة وعدم مجاراتها للأمم الراقيـة، وربطه بالانحراف عن الدين، وانتشار البدع والضلالات وسكوت العلماء عن محاربة دعاة الضلال والمبشرين بمذهب الدجال، هذا السكوت قوى شوكتهم ونشر ضلالهم أكثر فأكثر، وجعلهم يحاربون من يخالفهم في الرأي ويرمونه بالزندقة والكفر... وعلى العموم فإن الطيـب العقبـى أراد هنـا أن يخلـص النفوس من المعتقدات الباطلة ويربطها بالدين الإسلامي فقط، ويعوّدها على مبدأ النقد والانتقاد[60]، مبدأ الانتقاد دعا إليه أيضا مقال "شبيبة المستقبل"، فالانتقاد يقوّم الناس إلى أقوم سبيل، وإذا استقاموا ساروا في مـنهج قـويم، وإذا ساروا ساروا إلى الأمام، فإلى الأمام إلى العلم والعرفان، وتحرير الـوطن، وكانت هذه النصيحة موجهة لنفوس الشباب الذين يمثلون مستقبل الأمـة، ومستقبل الوطن مربوط بمستقبل شبابه[61].

واهتمت المنتقد بموضوع "التربية" معتبرة أن تربية الأولاد أكـبر قاعـدة من قواعد العمران، وأشرف هدية يقدمها أبناء اليوم لأبناء الغـد، فـإن كـان الجيل مثقفا بالتربية الصحيحة والأخلاق الفاضلة والمعارف العالية، سـهلت الحياة وانتشرت الطمأنينة، والتربية حسـب موقّـع المقـال قـانون طبيعـي للحياة، وقد نادت بها كل الشرائع وعلى رأسها الدين الإسلامي[62]، وأشـارت

المتقد أيضا إلى سعادة النفوس وربطتها بخدمة المجتمع الإنساني، والعمل على سعادته فيسعد الفرد بسعادة المجتمع، وأكد محمد العزوزي حوحو في مقاله هذا حول طلب السعادة، بأن هذه الأخيرة لا تحصل بالمال أو السلطة والسيادة، أو التمتع بالمسرات والانغماس في اللذات وأنواع الملاهي، وقتل الوقت في ما لا ينفع، فكل هذه مفاهيم خاطئة حول السعادة فالسعادة عنده هي العطاء والتفاعل مع متطلبات المجتمع والوطن[63].

وتحدث الشيخ إبراهيم أطفيش على صفتي "الاتحاد والتعاون"، واعتبرهما صفتان رئيسيتان للإنسان والمجتمع، ما ظهرا في أمة إلا ونالت مبتغاها من العظمة والكمال، وارتقت إلى أحسن المراتب، وجعل هاتين الصفتين عنوانا للإخلاص ونبه إلى أهميتهما مستدلا بالعديد من الآيات القرآنية[64]، ومن الصفات الحميدة أيضا التي أشادت بها الجريدة وجمعتها في مقال: "الدستور الأدبي"، وكانت عبارة عن خلاصة تجربة اجتماعية أمريكية، لكن الجريدة لم تمانع في نشرها عاملة بمبدأ الحكمة ضالة المسلم، أما الصفات فهي: كن قويا، كن قويا في عزمك، كن قويا في جسدك، كن شجاعا، كن شجاعا في قلبك، كن شجاعا في أخلاقك، كن وديعا، كن وديعا في جميع أحوالك، كن مطيعا، كن مطيعا، كن مطيعا للواجب، كن مطيعا لوالديك ومعلميك... وشرحت المنتقد كل صفة وبينت كيف يجب أن تكون[65]، وفي موضع آخر ذمت صفة الغرور وجعلتها أصل البلاء وجرثومة الفساد، والغرور أشبه بالمرض يصيب أصحاب النفوس الضعيفة، وحذرت النفوس من الغرور بأي شكل من الأشكال[66].

ومن المقالات التي اهتمت بتهذيب النفس البشرية مقال: "الطمع والحرص علة الإنسان"، الذي ذم هذه الصفة ونفّر منها خلق الله، واعتبرها نقيصة في الإنسان، وليست من الفطرة فحتى الحيوان يشبع فيكتفي، لكن الإنسان يميل إلى الطمع الذي أفسد الأخلاق وأدى إلى تعدي الإنسان على أخيه

الإنسان، وفسد بذلك الذوق العام في تصنيف البشر الذي أصبح يوضع على أساس مادي، فالمرء في بعض التصنيفات يزداد سموه في عيون الناس كلما زادت مطامعه، وكثر حرصه، حتى صارت البشر- طبقات كثيرة يأتي في قمتها الطبقة الغنية الميسورة لأنهم أكثر طمعا، وضاعت حياة الكثير من الناس بين الطمع والحرص، بين الجمع والحشد، ولا ينتبهون للوقت الضائع حتى يحين أجلهم، فيتركون مضطرين ما أفنوا حياتهم من أجله، يتركونه لغيرهم، ويمكن أنهم جمعوا ما جمعوه دون وجه حق، وتعدوا فيه على حقوق الناس، والحقيقة أن هذا منهج خاطئ في الحياة فالأصل فيها أن الإنسان كان يجب أن يتمتع بجنانها، ويفرح، وينظم علاقته بالله الخالق، ويتخلص من الطمع، فكلما ساد الطمع وسيطر على ميول الناس وإرادتهم، إلا وأفسد حياتهم[67]، وبهذا نفّرت الجريدة الناس من هذا السلوك وسعت لتخليصهم منه.

ج- الاهتمامات المتعلقة بالانتقاد:

انتقدت الجريدة من خلال مقالاتها الكثير من قضايا الواقع المعاش حينها، انتقدت البدع والخرافات، الجهل، الاستعمار، صمت العلماء، ظلم الاستعمار، وبعض العادات والتقاليد التي لا تمت بصلة للدين الإسلامي، كما انتقدت منتقدي المنتقد وغيرها من الأمور، والانتقاد أساس الجريدة وهدفها الرئيس فهو للمتكبرين عن الحق سوط، ولطالبي الكمال نصيحة وكما ورد في إحدى مقالات الجريدة "ما وعظك مثل لائم، وما قوّمك مثل مقاوم، الانتقاد قاصف من اللائمة تتنفس عنه القلوب وتنفتق به الألسنة لتقريع الناقصين في إهمالهم، ودفع طلاب الكمال إلى منتهى ما يمكن لهم"[68].
ونستعرض فيما يلي بعض هذه القضايا:

انتقدت جريدة المنتقد قضية صمت صنف يحسب من العلماء على قول الحق والعمل به، ومن بين ما ورد فيها من مقالات حول الموضوع مقال لعبد الحميد بن باديس معنون بـ: "من الناس قوم..."، أشار إلى أن هناك صنف من الناس مسلمون ويعدون أنفسهم علماء لكنهم يرون البدع منتشرة وأحكام الشريعة الإسلامية منتهكة، ويرون ويسمعون على متون الصحف مجادلات في مسائل دينية وعلمية الحق فيها واضح وضوح الشمس، وغيرها من الأمور، لكنهم يقفون أمام كل هذا صامتين جامدين، حتى كأنهم لا شعور لهم أو لا شعائر عندهم، وحجتهم عند أتباعهم في موقفهم هذا الذي وصفه بن باديس بالبارد المتجمد، بأنهم يصغّرون تلك المسائل ويتجنبونها كما أنهم لا يحبون الكتابة في الصحف، لكن إن سمع هؤلاء كلمة مست معتقداتهم الخاصة وأفكارهم، أو مست شخصا منهم، فإنهم حينها سيثورون ويزمجرون، ويتنازلون ويكتبون في الصحف، واستغرب بن باديس لشأن هؤلاء بقوله: "فهل نحلتهم أعز عندهم من دينهم؟ أم رجلهم أجلّ عندهم من نبيهم؟ سينكرون هذا بأقوالهم ولكنهم دلوا على كمونه في قلوبهم بما ذكرنا من أعمالهم، والدليل الصادق على العقائد هو الأعمال لا مجرد الأقوال"[69].

ووجهت الجريدة نقدا للسيد العربي بن بلقاسم التبسي- الذي تعلم في الزيتونة والأزهر الشريف، فهو من العلماء، لكنه كتب مقالا في جريدة النجاح بعددي **238-240** عنونه بـ: "هذه جزائركم تحتضر"، فكان العنوان ملفتا للنظر مثيرا للتساؤل حول شخصية كاتبه هل هو صديق للجزائر أو عدو لها، كما أنه محبط للهمم، ورغم أن الكاتب من أصدقاء محمد الميلي إلا أنه لم يمنع هذا الأخير من نقده وتوجيه اللوم له وتوضيح الأمر له بأن عنوان المقال لم يكن صائبا، وجاء دالا على مقاصد مسيئة للجزائر، وسد باب الأمل والعمل، ولم يكن من المفروض أن يكتب هذا الشخص بهذه الطريقة، وذكره

مبارك الميلي بقدسية الوطن ووجوب محبته، وعدم جواز التنكر للأصل والجذور، وهذا ما يفعله الإنسان الصالح، وضرب عدة أمثلة ونماذج لارتباط الناس بأوطانهم وعدم تغيير أصولهم ولو وجدوا في غيرها الغز والراحة، بل الرجل الصالح هو الذي يوظف معارفه التي اكتسبها خارج وطنه في خدمة وطنه، فقال الميلي: "وما بلغنا أن مفكرا انسلخ عن قوميته ورمى بها جانبا وخرج من مسؤوليتها بخروجه من ترابها واندمج في سلك أمة أخرى، بدعوى أنها أرقى من أمته... فعزيز النفس حر الضمير الذي يعرف واجب الوطن لا يرضى أن يبدله بغيره أو يتبرأ منه... أنت يا أخي جزائري ذهبت من بيننا بعد نضج فكرك ووفور معلوماتك وتسكن هناك رواق المغاربة، ويوجد بإمضائك تحت العنوان كلمة التبسي، ثم يسطر قلمك هذه الجملة التي يفهم منها الجامد على الأوضاع العربية، مثلي التبري من الوطن، واليأس من حياته، والتهكم بالجزائري في أمرك... ليس من السهل عليّ أن أعتقد أنك في الواقع متبرئ من الوطن وأنا أعرف منك رجلا عزيز النفس قوي الفؤاد، كامل الإيمان وحب الوطن من الإيمان"[70]. فجمع الميلي هنا بين النقد والعتاب ومخاطبة المشاعر.

وشبه بن باديس الجماعة التي لا تؤمن بالعلم والمعرفة ويسيطر على تفكيرها الجهل وتعيش على جهل الجاهلين، بالخفافيش، فالخفافيش لا تبصر في ضوء الشمس والقمر ولا تبصر إلا في الظلام، ولا تطلب رزقها إلا فيه، وكذلك هو حال من لا يبصرون شيئا بنور الحق والعلم، ولا يفتحون مداركهم إلا في ظلام الجهل ولا يعيشون إلا على جهل الجاهلين، بل الخفافيش أفضل منهم لأنها على فطرتها السليمة، وهؤلاء فطرتهم سقيمة تسعى لإطفاء نور العلم، ناسية أن العلم نور الله، ولا بد أن يتم نوره ولو كره المبطلون[71]، وحتما المقصود هنا هم أصحاب الطرقية والخزعبلات، وكما انتقد بن باديس هؤلاء انتقد أيضا بعض الخيارات السياسية للأهالي

والتي أيضا كشفت عن غياب عقولهم، كما حدث مع أهالي عين البيضاء، الذين أتفقوا كلهم حسب ما شاع على ترشيح "م. رينكسي"، للنيابة عنهم في مجلس العمالة مما دل على فقر في الرجال؟[72].

كما انتقدت الجريدة بلسان عبد الحميد بن باديس من لا يقرؤون ولا يفهمون أو يفهمون ولا يتأملون، لكنهم يسارعون في اتخاذ المواقف والغضب محدثين ضوضاء، ويؤثرون بمواقفهم على بعض الناس من ضعفاء الشخصية، من باب التقليد، فتكون النتيجة أن تضيع الحقائق، وتعمى بصائرهم عن الحق، ثم أسدى لهذا الصنف بنصيحة فإن أرادوا الحق والإنصاف، فعليهم بالفهم وفتح عقولهم ثم اتخاذ المواقف بعد الفهم والتريث، وإن شاءوا حينها نقموا أو ثاروا، فإنهم ربما لو فهموا لما نقموا[73]، وفي مقال "عند من... عند الشيطان الساذج" هاجم عبد الحميد بن باديس الوشاة الذين يدبرون المكائد لجريدة المنتقد، ووصفهم أنهم جمعوا بين الشيطنة والسذاجة، همهم اقتطاع مقالات من المنتقد وإرسالها إلى من يوحى إليه خبثه إنه المقصود بها، وأكد بن باديس أن موقف المنتقد منهم جسده بيت شعري[74]:

يا ناطح الجبل العالي بجبهته ** أشفق على الرأس لا تشفق على الجبال

وانتقدت الجريدة في أكثر من مقال، من لا يُعمل عقله فيما يعتقد، من تقديس الرجال وتعظيمهم، وإتباع البدع والطرقيين، والابتعاد عن الدين ومجالس العلم، ومنه ما ورد على لسان مبارك محمد الميلي، في مقاله "العقل الجزائري في خطر"، إذ خاطب الجزائريين بقوله: "أما أشفقت أيها الجزائري بعد ما علمت سنة الله التي قد خلت من قبل، على ذهاب عقلك وزوال لبك، بإهمالك إياه فلم تصقله بالمعارف ولم تجمله بالاختراع... ولكنا نراك تعظم من الناس من ذهب بعقله الوسواس، ولا ترى في الوجود إلا

حكومة لم تقف ولن تقف أمامها في أي خصومة، حكومة فرضها الجهل بالدين فأجدها ضعف اليقين، تضع لها أعضاء وتجعل لهم أسماء غوثا وقطبا في ألفاظ لا أرى لسردها أربا، كل ذلك على حساب الدين وهو منه براء براء براء، نراك تقدس من الرجال من خلق من طينة...ما عرف قبيلا من دبير وتزعم أنت أنه بكل سر خبير، نراك تنفر من مجالس التدريس وتهرع إلى أماكن التدليس وهي معامل تهيئ العقول للاضمحلال وتأخذ بيدك إلى ما تحسبه أنت عين الكمال ونراه مناقضا للقرآن مخالفا لناموس العمران"[75].

ووجه الإمام ابن باديس نقدا للمتلاعبين بالحقوق مؤكدا أنه لا يتساهل معهم، ورغم أن الأمر مرتبط بجريدة المنتقد وقضية الاشتراك والتوزيع، إلا أن الفكرة العامة للمقال هي بث فكرة الاحترام، احترام الحقوق التي لا قوام للعمران إلا بها، إذ التعامل بين الناس يقوم على فكرة احترام الحقوق، ومن تساهل في حقه تساهل في أخذ حق غيره، والمنتقد بعيدة عن أخذ حق الغير أو السماح بأخذ حقها، والمشروع الإصلاحي قائم على هذه الفكرة، والمنتقد حريصة على إرغام كل صغير النفس على احترام هذا المبدأ وتقديره، وكما خدمت نفسها خدمت العموم، وختم ابن باديس ما كتبه بقوله: "وما أحسن خدمة الإنسان لنفسه إذا كان في ذلك خير للجميع"[76].

وكانت جريدة المنتقد من أنصار الحق لذا طالما وجهت النقد لأنصار الباطل عموما، خاصة أولئك الذين يعرفون الحق لكن لا يتبعونه لأنهم يفضلون مصالحهم المادية، وفي مقال "من الناس قوم..." وهو العنوان الذي ظهر أكثر من مرة على لسان عبد الحميد بن باديس، وأراد من خلاله انتقاد طائفة من الناس اتبعت سلوكا مشينا، وفي هذه المرة توجه لأولئك الذين يعرفون الحق ولا يكونون معه ومع أهله، لأنهم قلة، ويعرفون الباطل وينضمون إلى أهله لأنهم كثرة، فذم اختيار هؤلاء واعتبرهم أساؤوا لأنفسهم به[77]، كما استاء الإمام ممن نصحوه بأن يسكت عن نقد الفساد العام لأنهم

من أنصاره، من أجل ترويج وتوزيع أكثر لأعداد الجريدة، فانتقدهم مـذكرا إياهم أن هدفه الأساسي هو ترويج الحق لا ترويج الجريدة، وإذا كان الحـق لا بد له من أنصار فجريدة المنتقد هي نصـيرته، وبنصرـته ستحصـل عـلى الرواج، وفضّل التوزيع القليل لها وهي مع الحق، خير من التوزيع الكثير لها وهي مع الباطل قائلا: "ولئن تحبوا مع الحق خير لنا وأحب من أن تطير مع الباطل"[78].

وفي أكثر من مقال ومناسبة انتقد ابن باديس منتقدي المنتقد، والمتهجمين عليه، خاصة أولئك الذين يحسبون أنهم على هـدى مـن ربهـم وأنهـم هـم المفلحون كما وصفهم، لكنهم يهاجمون المنتقد وكُتّابـه الـداعين إلى طريـق الحق والإسلام الصحيح، غير الخائفين من النقد، بل طالما دعوا أن من كانت له كلمة في شأنهم فليقلها ويصرح بها فكتّاب المنتقد لا يعيبهم إلا صراحتهم وشجاعتهم في الكتابة وتحدي الظـروف، أمـا خصـومهم فـلا يملكـون إلا الإفـراط في الجـبن والادعـاء أن العامـة معهـم، ثـم لا يملكـون الشـجاعة للمعارضة الحقيقية[79]، وفي نقد الوشاة الذين حاكوا المكائد للجريدة وأرادوا من السلطات الفرنسية أن توقفهـا، أكـد بـن بـاديس أن مظهـر الصـدق والصراحة والصرامة الذي تتبعه الجريدة هو الذي جلب لهـا الأعـداء، وهـو الذي أقلق من اعتادوا التملق والكذب، وأقلقت كل منافق جبـان، وخـاطبهم بلهجة استصغار "ألا أيها الوشاة الأدنياء كنتم ولا زلتم جراثيم الفساد بـين الأمم وحكوماتها، لجوا في طغيانكم تعمهون، وانفثـوا مـن سـموم مكـركم وخبثكم ما تشاؤون، وابـذلوا في الفتنـة والفسـاد مـن جهـدكم فـوق مـا تستطيعون، فإن رجال المنتقد أعلا مما تزعمون"[80]، وأشار إلى نوعين مـن القضاة قاض يأتي لإدارة المنتقد داعما معجبـا مسرـورا، فيشـترك لنفسـه وابنه، وقاض يتراجع عن دعم المنتقد ويرفض الاشتراك بعد خمسـة أعـداد، ويحمد الإمام الله أن مثل القاضي الأول كثير، ومثل القاضي الثاني قليـل[81]،

كما انتقد أولئك الذين طالما نقموا عليه وعلى رجال الإصلاح والسبب هو قول الحق، وإنارة درب الخلق، وهذا الصنف من الناس لم تكن لهم الجرأة لقول الحق، بل عملوا على طمس طريقه، وأشار الشيخ أن هذا السلوك في البشر قديم فطالما تعرض أهل الحق لأذية أهل الباطل، واعتبر أن الإهمال وفن اللامبالاة هو علاج هؤلاء، فأهل الحق منصورون به، وهم عن أهل الباطل والجهل معرضون[82].

وانتقدت الجريدة كثيرا من السلوكيات البعيدة عن الإسلام فبالإضافة إلى إتباع البدع والخرافات والطرقية، انتشرت بعض العادات التي لا تمد للإسلام بصلة كعادة زيارة الأولياء والأضرحة، والتضرع لهم، وذبح الأضاحي باسمهم، فهذا من فساد الدين ولا يحسن بالمسلم أن يعيث في الأرض فسادا، ويتخذ من دون الله أندادا يشد إليهم الرحال، ويصرف عليهم الأموال والذبائح قصد طلب البركات وصالح الدعاء، ودعّم صاحب المقال المدعو أبو الضياء مقاله الذي حمل عنوان "لا يحسن بنا"، بالقرآن كما وظف الشعر، وأرجع شقاء الناس إلى جهلهم بالشّرع وتمسكهم بالقشور، وإهمال اللب المتمثل في القرآن والدين الإسلامي عامة، كما نبّه أن هناك الزيارة المشروعة التي لا حرج فيها، وهي ليست المقصودة بكلامه، وإنما المقصود زيارة التبدع أي التي فيها البدع والمنكرات[83].

ونشرت الجريدة أيضا عادات بعيدة عن الإسلام كانت تحدث في "سوف" رواها ولد مؤدب لم يتجاوز الثانية عشرة من العمر، شاهد بعينه في بلد من بلدان "سوف" عدة مفاسد في أهلها راسخة فيهم، والأولى متعلقة ببعض العادات في الجنائز، فإذا مات لهم ميت رجل أو امرأة، خرجوا وراء نعشه ضربوا من خلفه بالدفوف ورفعوا وراءه ألوية المحاريب، وولولوا رافعين أصواتهم بالبردة، والغريب إنهم يُعدّون هذا من الدين، وإنهم لضالون، أما الثانية فهي إذا ما مات صبي أو صبية، احتفلوا بهما غاية الاحتفال،

وطيبوهما وحنطوهما غاية التحنيط، والعجيب في هذا أنهم يعتقدون أنهم يجتمعان في قبر ويتزوج الصبي الصبية، ويكون القران شأن بني حواء في الحياة الدنيا، واستنكرت الجريدة على لسان صاحب المقال محمد القروي النابتي عن من أدخل هاته المعتقدات الفاسدة والضلال المبين، ولم تكن هذه العادة الفاسدة الوحيدة بل الراوي أكد أنه رأى الكثير من هذا القبيل، أي عددا من الانحرافات والبعد عن الدين الإسلامي[84].

وانتقدت الجريدة السياسة الفرنسية وتعاملها مع الجزائريين وعدالتها وصحافتها والكثير من تصرفاتها، واخترنا بعض المقالات التي تصب في هذا الجانب منها النقد الذي وجهه ابن باديس لبعض أعوان الإدارة الذين قاموا بتفتيش بعض الناس المحترمين فارتكبوا الكثير من التجاوزات باستخدامهم القسوة والشدة مع من فتشوهم، رغم أنهم لم يعثروا على شيء من آثار الشيوعية، الحجة المستخدمة لتفتيشهم، وخلّف تصرفهم هذا استياء في القلوب وتكديرا في الخواطر، وكان من الواجب على المفتشين أن لا يعاملوا الناس معاملة المجرمين حتى يتأكدوا منهم[85]. ورد بن باديس على الضابط الذي اتهم العربي بأنه لا يؤمن بالقوات الظاهرة المحسوسة، وهو حتما أراد رمي العربي بالنقيصة، لكن بن باديس أكد له بأن العربي يراعي حقوق جاره بمجرد الشعور الإنساني مراعاة قد لا تكون عند كثير ممن يدعون المدنية في هذا الزمان، وإن أعظم القوة لديه جيوش الإحسان، كما انتقد الكتاب الغربيين الذين يقذفون بكلمات العرب والمسلمين عامة عندما يكتبون عن "الريف المغربي"، متناسين أن الجند الذي يموت تحت رايتهم أكثره عرب مسلمون، ويتساءل بن باديس: "أفما لهؤلاء الكتاّب عقول تلطف من حماستهم حتى لا يجرحوا عواطف جنودهم وأقوام جنودهم بجزاف الكلام"[86].

واستغرب عبد الحميد بن باديس من عدالة فرنسا بعد حادثة قتل عربي على يد فرنسي، ففي **15** أفريل وبقرية المسيلة رأى الفلاح "تـروشي إيميـل" البالغ من العمر **19** سنة، رأى بحقله فلاحا أهليا اسمه مجاهد بـن الشرـقي بن عبد القادر، كان يحش العشب والقمـح معـا فاسـتدعاه إلى الـذهاب إلى حارس الحقل فوقع شجار بالأيدي بينهما، لكن تـروشي اسـتعمل مسدسـه وقتل مجاهد الذي فر بمجرد رؤية المسدس، ولما نظرت العدالة في القضية لم تدن تروشي الذي ادعي بأنه كان في حالة دفاع عن النفس، وقضـت ببراءتـه مع دفع **5000** فرنك لوالد القتيل، واغتاظ بن باديس لهـذا الحكـم وانتقـد المحكمة عليه، فالأهلي الأعزل الهارب من رؤية المسدس، والمعمر يسعى وراءه ليقتله، ومع هذا يعد في نظر العدالة الجائرة مدافعا عن نفسه، واعتبر أن هذا الجور والظلم قد أسقط الأمم من قبل، وفي الحقيقة لم تكـن هـذه الواقعـة منعزلة بل هناك عدة وقائع حدثت مثلها، فكلما كان المقتول أهليـا والقاتـل أوروبيا من أي قوم حتما نجا، وتساءل في ختام المقال: فمتى تنفذ يـا تـرى العدالة الفرنسية الحقة، وتنتصر على جور غلاة الاستعمار؟[87].

وانتقد عبد الحميـد بـن بـاديس إحـدى الجرائـد الناطقـة بالفرنسـية بقسنطينة، والتي حاولت التشبه بالجرائد الاستعمارية الكبرى، فجعلت مـن صفحاتها منبرا لأذية الأهالي والتعدي عليهم، بالكذب والزور، وقد صـفعتها المنتقد مرة صفعة قوية من خلال الرد عليها، وعقدت العزم أن تتبع تجاهها سياسة الاحتقار واللامبالاة وعدم مخاطبتها من باب التصغير مـن شـأنها، مادامت متمسكة بسياسة التعصب، فإذا رجعت يومـا إلى رشـدها، وكتبـت بشيء من التعقل فالمنتقد مستعدة لمخاطبتها كما تخاطب المتعقلين من أهـل مذهبها[88].

4- الاهتمامات الخارجية للجريدة:

كما اهتمت جريدة المنتقد بالقضايا المحلية اهتمت بالقضـايا الخارجيـة، من قضايا العالم العربي والإسلامي وحتى الغربي، وقد صـدر العـدد الأول من الجريدة والحرب مشتعلة بين الريف المغربي والطرف الفرنسي، وتتبعت الجريدة أخبار هذه الحرب وتطوراتها وردود الفعل اتجاهها، ولعلهـا أهـم حدث تتبعته حينها، وقامت بنشر ذلك في صـفحاتها، ولـم يخـل عـدد مـن أعدادها الثمانية عشر إلا وتطرقت لأمر هذه الحـرب، وأعطـت ولـو تعليقـا عنها، ففي العدد الأول والثالث نقلت مقالين بعنوان حرب الريف من توقيـع عبد الحميد بن باديس، كما أنه علق على تصريحات رئيس الوزراء الفرنسي- بشأن شروط الصلح في العدد الثامن، كما نقلت الجريدة محادثة لابـن عبـد الكريم[89]، مع مكاتب التايمس في عددها الرابـع، وخطـاب الأمـير للقبائـل المنظمة إليه في العدد السادس، وفي عددها العاشر نقلت تعليقا عـلى خطـاب لابن عبد الكريم لمجلس الأمـة الفرنسي-، وفي عـددها الحـادي عشر- نقلـت الخطاب نفسه، أما العدد الثاني عشر فقد تطرقت لتصريحات عبـد الكـريم بخصوص الخسائر الفرنسية، وفي العدد الخامس عشر نقلت مقالا للكاتـب (ريجينالد كان) بخصوص إفريقيا الشمالية الناكرة للمعـروف، وفي العـدد السادس عشر رد عليه الإمام بن باديس بخصوص المقال الـذي نشرـه، أمـا بقية الأعداد فقد تطرقت الجريدة من قريب أو بعيد بملخصـات عـن أنبـاء الريف[90].

ويبدو أن موقف الجريدة في الاهتمام بقضية حرب الريـف منطلـق مـن الشعور بوحدة الشعوب الإسلامية ووحدة قضاياها، ووجوب نصرتها، رغـم الخطر المتمثل في بطش الاستعمار الفرنسي-، فـدفاع المنتقـد ومقـالات بـن باديس خاصة في هذا الجانب تصنف في خانـة الشـجاعة، وموقفـه هـذا في نصرة الحق مع مواقف أخرى هي التي جعلت فرنسا تعطـل الجريـدة، ولا

شك أن الدور الذي لعبه بن باديس في دعم حرب الريف كان مميزا، فقد عمد إلى التعريف بها والاعتزاز بشخص الخطابي، وتوظيف الحرب النفسية لصالحه وصالح ثورته، والتشهير بقسوة المستعمرين ورفضهم لحرية الشعوب العربية والإسلامية، كما أن شهادة ودعم وتعاطف بن باديس لصالح حرب الريف وقائدها ستكسب هذا الثائر الدعم وتزيده تثبيتا على طريق الحق فإما النصر أو الشهادة[91].

ومن أهم العناوين التي وردت في المنتقد حول الحرب الريفية اخترنا ما يلي: عبد الحميد بن باديس، "الحرب الريفية"، المنتقد، ع.**1**، الخميس **11** ذي الحجة **1343**هـ الموافق لـ **02** جويلية **1925**م ونشر في العدد الثاني مقال تحت عنوان: "الحرب الريفية"، وكذلك بالعدد الثالث نفس العنوان "الحرب الريفية"، وورد بالعدد الرابع عن حرب الريف عنوان "محادثة لابن عبد الكريم مع مكاتب التايمس عن البيان"، وملخص عن أنباء الريف أنباء عن الوطن وأنباء عن حرب الريف عرضت الهدنة على بن عبد الكريم فرفضها، وفي العدد السابع مقال بعنوان: "عن الريف استأنف الريفيون الهجوم" وكذلك مقال آخر بعنوان: "هل تخشى عاقبة الصلح أم تحمد"، وفي العدد الثامن مقال بعنوان: "حول تصريحات رئيس الوزارة الفرنسوية بشأن شروط الصلح"، وفي العدد التاسع مقال تحت عنوان: "أنباء عن العالم عن الريف"، وفي العدد العاشر مقال بعنوان: "خطاب ابن عبد الكريم لمجلس الأمة الفرنسوية"، وفي العدد الحادي عشر مقال بعنوان: "خطاب ابن عبد الكريم كتاب مفتوح من الحكومة الريفية إلى مجلس الأمة الفرنسوي بباريس" وأيضا مقال: "أنباء عن العالم أنباء عن الريف"، وفي العدد الثاني عشر مقال بعنوان: "عبد الكريم يقول"، وفي العدد الثالث عشر مقال بعنوان: "أنباء عن الريف، وغيرها من المقالات التي سلطت الضوء على حرب الريف ودعمتها.

ومن اهتمامات الجريدة الخارجية أيضا ما أشارت له حول الحجاز وحكومتها التي أفادت الأنباء عنها أنها تزداد رسوخا في الحجاز[92]، وفي مقال "إيطاليا وفرنسا اهتمت الجريدة بهبوط العملة الفرنسية والإيطالية في السوق العالمية، ومع ذلك حذرت الجريدة الناس من بيع النقدين للتقلبات السريعة التي تعرفها الأسواق[93]، وخص مقال "الأمة الصينية تعلمت بسرعة واستيقظت" بالذكر تقدم الصين وخروجها من دائرة التخلف التي أحاطت بها زمنا، والأطماع التي ستحيط بها مع الإشارة إلى تمسك الصينيين بوطنهم[94].

واستعرضت المنتقد في المقال الذي يحمل عنوان: "أحرب أخرى" عن ثورة الدروز على السلطة الفرنسية بالشام فأسروا عددا من العساكر، واستولوا على آلات حربية، واحتلوا بعض المراكز[95]، وتتبعت الجريدة أخبار الدروز في عدد من أعدادها، فالعدد التاسع ورد فيه مقال بعنوان: "أنباء عن الدروز"، إذ طالبوا فرنسا: بإخلاء جبل الدروز وبناء ما خربته طائراتها، وحرية بيع السلاح في جبل الدروز، تقليل عدد الموظفين الفرنسيين الإداريين إلى خمسة، طلبات أخرى للطرش باشا، الحرية التامة لبلاد سوريا ويكون لها برلمانا وقوات عسكرية ودولة وطنية بملك أو رئيس، وقد ملئت مستشفيات بيروت ودمشق بالجرحى، وفي العدد العاشر مقال أيضا عن الدروز الذين تمسكوا بالحرب ضد فرنسا، ومساعي السلطان لطرش لتحريض الشاميين كلهم على الثورة ضد الحكم الأجنبي، وفي العدد الحادي عشر تحدثت المنتقد "عن الدروز" وعن قطع طريق صحراء الشام فصار البريد من بيروت إلى بغداد يذهب على طريق جدة القدس لبنان، وفي العدد الثالث عشر أشارت المنتقد في مقال "عن الدروز" إلى غارة القوات الفرنسية بمسفير على الثوار الدروز، فشتت شملهم وأحدثت بهم خسائر كبيرة، وأخذت القوات الفرنسية بعد هزيمة الدروز ثلاث رايات درزية، وقطعت

المواصلات بين دمشق وبغداد برا، بما أحدثه البدو من مقاطعة وإفساد الطرق الموصلة، ورجعت عن طريق البحر، وأيضا تحدث العدد الرابع عشر- والسابع عشر عن الدروز وعن حربهم ضد فرنسا.

ولا يتسع المقام هنا لتتبع كل القضايا والانشغالات التي خصتها جريدة المنتقد بالذكر، فقد تتبعت إلى جانب حرب الريف والدروز، أخبار عن الحجاز، تركيا، وانتشار الشيوعية في الشرق الأدنى، وأخبار عن المشرق العربي، ألمانيا وروسيا، فرنسا، إنجلترا، الحرب في طرابلس الغرب الثورة مندلعة اللهيب في إيطاليا، وغيرها من الأخبار، وجدير بالذكر أن جريدة المنتقد استطاعت أن تجمع بين الاهتمامات المحلية والخارجية ونقلت عددا من الأخبار لمتتبعيها، وربطتهم بقضايا العالم وبقضايا الأمة الإسلامية على وجه الخصوص، وتمكنت بذلك أن تكون حقا جريدة سياسية تهذيبية انتقاديه على العديد من المستويات.

- الخاتمة:

شكلت جريدة المنتقد واحدة من أهم الجرائد ذات التوجه الإصلاحي في الجزائر، وكانت السباقة في الإصلاح والنقد، وهي لسان حال رجال الإصلاح الذين رفعوا راية القضاء على البدع والخرافات وتنقية الدين الإسلامي مما أحدثه فيه الطرقيون وأهل البدعة والضلال، فربطت بذلك بين اسمها وعملها للقضاء على أخطر معتقد حينها وهو "اعتقد ولا تنتقد".

أسس جريدة المنتقد وترأس تحريرها زعيم الإصلاح في الجزائر عبد الحميد بن باديس، وساهم معه في إخراجها إلى النور عدد من رجال الإصلاح، وهدفوا من خلالها إلى الإصلاح والنقد، والخروج بالمجتمع الجزائري من دائرة التخلف والجمود إلى دائرة العلم والمعرفة، والتخلص من سيطرة الاحتلال الفرنسي.

اهتمت جريدة المنتقد بمختلف قضايا المجتمع الجزائري السياسية والاجتماعية والثقافية، وسعت إلى النقد في كل المجالات من أجل إصلاح الأحوال، فنقدت السياسيين، والاستعمار الفرنسي، وجمود العلماء، وانحراف الطرقيين، والوشاة ومنتقدي المنتقد، وكل من له شأن وتأثير على المجتمع الجزائري، فكانت بذلك جريدة سياسية وانتقاديه وتهذيبية.

رصدت جريدة المنتقد أهم الأخبار المتعلقة بالعالم خاصة العالم العربي والإسلامي، واهتمت بقضايا الشعوب التي ناضلت للتخلص من الاحتلال، ولم تتأخر في دعم بعض القضايا العادلة كدعمها لحرب الريف المغربية نصرة للحق، ونتيجة مواقفها الشجاعة قامت السلطات الفرنسية بإيقافها بعد صدور **18** عددا منها، ورغم عمرها القصير إلا أنها تركت بصمة في عالم الصحافة الجزائرية، مقتحمة مجال الإصلاح السياسي والاجتماعي والديني.

- قائمة المصادر والمراجع:

- المصادر:

1- جريدة المنتقد (من العدد **1** إلى العدد **18**)

- المراجع:

- الكتب المطبوعة:

1- البوعياشي أحمد عبد السلام، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، نشر عبد السلام جسوس وسوشبريس، مطبعة دار الأمل، طنجة، ج**1**، **1974**.

2- زروقة عبد الرشيد، جهاد عبد الحميد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي، ط**1**، دار الشهاب، لبنان، **1999**م.

3- الشيخ أبو عمران وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، **1995**م.

4- عمامرة رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ط**2**، دار موفم للنشر، الجزائر، **2003**م.

5- بن عمر باعزيز، ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، ط**2**، منشورات الحبر، الجزائر، **2007**م.

6- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي **1830-1954**م، عالم المعرفة، الجزائر، **2011**م.

7- مرتاض عبد المالك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر **1925-1954**م، ط**2**، الجزائر، ج**5**، **1983**م.

8- مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، تحقيق أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، **2003**م.

9- مقلاتي عبد الله، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط**1**، الجزائر، **2008**م.

10- بن ناصر محمد، الصحف العربية الجزائرية من **1847-1954**م، ط**2**، ألفا ديزاين، الجزائر، **2006**م.

- الدوريات:

1- عجناك يمينة، "المرأة والإصلاح الديني في كتابات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، حوليات جامعة الجزائر، جامعة الجزائر **1** (الجزائر)، ج**1**، ع**20**، ديسمبر **2001**م.

- رسائل الماجستير:

1- بريزة يحي، الصحافة الإصلاحية ذات الاتجاه الإسلامي في الجزائر دراسة تحليلية لجريدة المنتقد، ماجستير، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، **1999-2000**م.

2- فرحات مهدي، دور الصحافة المكتوبة في تكوين الرأي العام في الجزائر جريدة الشروق اليومي نموذجا، ماجستير، قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة وهران، **2009-2010**م.

3- منصوري الحواس، حرب الريف وأصداؤها في الجزائر **1921-1926**م، ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2**، **2011-2012**م.

- الملتقيات:

1- عبيد مصطفى، حرب الريف في كتابات ابن باديس من خلال جريدة المنتقد **1925**، مستخرج من كتاب الملتقى الدولي عبد الحميد بن باديس في الثقافة العربية والإسلامية، منشورات مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، قسنطينة، وهران، **17-18** أفريل **2015**م.

- الهوامش:

1-فرحات مهدي: دور الصحافة المكتوبة في تكوين الرأي العام في الجزائر جريدة الشروق اليومي نموذجا، ماجستير، قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة وهران، **2009-2010**م، ص**72**.

2- مفدي زكرياء: تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتحقيق أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، **2003**م، ص**11**.

3- المولود بن الصديق الحافظي الأزهري، "في عالم الصحافة"، المنتقد، ع.**4**، الخميس **03** محرم **1343**هـ الموافق لـ **23** جويلية **1925**م، (دار العلا، عين مليلة، الجزائر، **2015**م، ص**61-64**).

4- بريزة يحي: الصحافة الإصلاحية ذات الاتجاه الإسلامي في الجزائر دراسة تحليلية لجريدة المنتقد، ماجستير، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، **1999-2000**م، ص**27**.

5- المرجع نفسه، ص**28-31**.

6- عبد الرشيد زروقة: جهاد عبد الحميد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي، ط.**1**، دار الشهاب، لبنان، **1999**م، ص**178**.

7- رابح تركي عمامرة: الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ط.**2**، دار موفم للنشر، الجزائر، **2003**م، ص**91**، **92**.

8- عجناك يمينة: "المرأة والإصلاح الديني في كتابات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، حوليات جامعة الجزائر، جامعة الجزائر **1** (الجزائر)، ج**1**، ع**20**، ديسمبر **2001**م، ص**41**، **42**.

9- المقال نفسه.

10- مفدي زكرياء، المصدر السابق، ص**152**، **153**.

11 Ali Merad, le réformisme musulman en Algérie de **1925-1940**;essai d histoire religieuse et sociale, le Haye Mouton, Paris, **1967**, p.**149**.

12- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي **1830-1954**م، عالم المعرفة، الجزائر، **2011**م، ج.**5**، ص**253**، **254**.

13- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي **1830-1954**م، عالم المعرفة، الجزائر، **2011**م، ج.**5**، ص**252**، **253**.

14- ينظر: النخبة، "خطتنا مبادينا وغايتنا وشعارنا"، جريدة المنتقد، ع**1**، **1925**م، ص**5-8**.

15- أحمد بوشمال: من مواليد قسنطينة عام **1829**م وهو عضو من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأحد معاوني بن باديس، تولى إدارة وتسيير صحف ابن باديس، وبعد وفاة بن باديس تولى بوشمال إدارة شؤون جمعية العلماء المسلمين إلى جانب العديد من الأعمال والمهام، اغتالته السلطات الفرنسية ودفن في مكان سري، للمزيد ينظر: عبد الله مقلاتي، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط.**1**، الجزائر، **2008**م، ص**157**، **158**.

16- مفدي زكرياء: المصدر السابق، ص**86**.

17- محمد بن ناصر: الصحف العربية الجزائرية من **1847-1954**م، ط**2**، ألفا ديزاين، الجزائر، **2006**م، ص**60**.

18- ينظر: واجهة الجريدة وتقديم الهادي قطش.

19- باعزيز بن عمر: ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، ط**2**، منشورات الحبر، الجزائر، **2007**م، ص**49**، **50**.

20- محمد بن ناصر: المرجع السابق، ص**58-60**.

21- محمد بن صالح ناصر: المرجع السابق، ص**60**.

22- مفدي زكرياء: المصدر السابق، ص**86**، **87**.

23- محمد بن صالح ناصر: المرجع السابق، ص**60**.

24- عبد المالك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر **1925-1954**م، ط**2**، الجزائر، **1983**م، ص**99**.

25- عبد الحميد بن باديس: "النيابة عن المير"، المنتقد، ع.**2**، الخميس **17** ذي الحجة **1343**هـ الموافق لـ **09** جويلية **1925**م، ص**33**.

26- مبارك بن محمد الميلي: "الملوكية ضمن الجمهورية"، ع.**3**، الخميس **24** ذي الحجة **1343**هـ الموافق لـ **16** جويلية **1925**م، ص **4-45**.

27-المولود بن الصديق الحافظي الأزهري: "كتاب مفتوح إلى حضرات النواب المحترمين"، ع**3**، الخميس **11** ذي الحجة **1343**هـ الموافق لـ **02** جويلية **1952**م، ص**45-48**.

28-**40** تاجر من الزقم -تبسة-: "كتاب مفتوح إلى جناب الوالي العام"، المنتقد، ع**5**، الخميس **11** محرم **1344**هـ الموافق لـ **30** جويلية **1925**م، ص**92-95**.

29- مكاتبكم: "فضائع البوليس"، المنتقد، ع**12**، الخميس **28** صفر **1344**هـ الموافق لـ **11** سبتمبر **1925**م، ص**222-224**.

30- محمد بن العابد الجلالي: أنباء حول الوطن حول سطيف"، المنتقد، ع**12**، الخميس **28** صفر **1344**هـ الموافق لـ **11** سبتمبر **1925**م، ص**222**.

31- محمد بن العابد الجلالي: "وفقة ببرج أبي عريريج"، المنتقد، ع**13**، الخميس **5** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **24** سبتمبر **1925**م، ص**245، 246**.

32- محمد بن العابد الجلالي: "رسائل عن الوطن"، المنتقد، ع**16**، الخميس **26** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **15** أكتوبر **1925**م، ص**295-297**.

33- محمد الهادي: "ما سمعت وما شاهدت في قرية ريني وقرية تاملوكة مناظرها يا حسنها لأولي الجشع"، المنتقد، ع**17**، الخميس **3** ربيع الثاني **1344**هـ الموافق لـ **22** أكتوبر **1925**م، ص**314**.

34- كاتبكم بعين البيضاء: "ذكرى لأولي الألباب"، المنتقد، ع.**13**، الخميس **05** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **24** سبتمبر **1925**م، ص**244، 245**.

35- الفائزون في الانتخابات العمالية: المنتقد، ع**16**، الخميس **26** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **15** أكتوبر **1925**م، ص**297**.

36- آمال سمو الوالي العام: المنتقد، ع**17**، الخميس ربيع الثاني **1344**هـ الموافق لـ **22** أكتوبر **1925**م، ص**309، 310**.

37-عبد الحميد بن باديس: "الانتخابات وتمثيل الأمة"، المنتقد، ع**16**، الخميس **26** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **15** أكتوبر **1925**م، ص**289، 290**.

38-محمد نجار: "حسن التعليم أساس كل تقدم، المنتقد، ع**1**، الخميس **11** ذي الحجة **1343**هـ الموافق لـ **2** جويلية **1925**م، ص**13-15**.

39- محمد السعدي بن وادفل: "هلموا إلى التعليم"، المنتقد، ع**15**، الخميس **19** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **08** أكتوبر **1925**م، ص**278، 279**.

40- المولود بن الصديق الحافظي الأزهري: المقال السابق.

41- عبد الحميد بن باديس: "الصحافة العربية"، المنتقد، ع**5**، الخميس **11** محرم **1344**هـ الموافق لـ **30** جويلية **1925**م، ص**95**.

42- المولود بن الصديق الحافظي الأزهري: "تقدم الصحافة"، المنتقد، ع**9**، الخميس **07** صفر **1344**هـ الموافق لـ **27** أوت **1925**م، ص**153-154**.

43-الغريب: لا يوجد عنوان، المنتقد، ع**8**، الخميس **03** محرم **1344**هـ الموافق لـ **20** أوت **1925**م، ص**144**.

44- عبد الحميد بن باديس: "بيان لا لبس فيه إجابة لصوت الواجب"، المنتقد، ع**13**، الخميس **5** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **24** سبتمبر **1925**م، ص**231-235**.

45- مكاتبكم بعين البيضاء: "الترقي ونحن"، المنتقد، ع**14**، الخميس **12** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **01** أكتوبر **1925**م، ص**258، 259**.

46- مبارك بن محمد الميلي: "المصلحون والمرجفون"، المنتقد، ع**14**، الخميس **12** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **01** أكتوبر **1925**م، ص**253-258**.

47- الفرقد: "ذكرى وعبر"، المنتقد، ع**13**، الخميس **5** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **24** سبتمبر **1925**م، ص**236-238**.

48- مجهول: "العمارية في الجزائر العاصمة"، المنتقد، ع**10**، الخميس **14** صفر **1344**هـ الموافق لـ **3** سبتمبر **1925**م، ص**183**.

49- محمد العزوزي حوحو: "حديث الخميس أصحافي؟ أم صوفي؟"، المنتقد، ع**10**، الخميس **14** صفر **1344**هـ الموافق لـ **3** سبتمبر **1925**م، ص**186، 187**.

50- عبد الحميد بن باديس: "حول النادي لا تفاهم بغير العربية"، المنتقد، ع**9**، **07** صفر **1344**هـ الموافق لـ **27** أوت **1925**م، ص**164، 165**.

51- أمين بك ناصر: "يا معشر اللغة الفصحى"، المنتقد، ع**14**، الخميس **12** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **01** أكتوبر **1925**، ص**266**.

52- ينظر: تقديم الجريدة، أ. الهادي قطش.

53- الطيب العقبي: "إلى الدين الخالص"، المنتقد، ع**8**، الخميس **03** محرم **1344**هـ الموافق لـ **20** أوت **1925**م، ص**135-138**.

54- الغريب ف. س: "الجمود"، المنتقد، ع**15**، الخميس **19** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **08** أكتوبر **1925**م، ص**284، 285**.

55- محمد بن العابد الجلالي: "الخطوات الألى"، المنتقد، ع**6**، الخميس **16** محرم **1344**هـ الموافق لـ **06** جويلية **1925**م، ص**109، 110**.

56- بنوح بن الشيخ أحمد القاضي: "رسائل الصغار إلى الشعب الجزائري"، المنتقد، ع**15**، الخميس **19** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **08** أكتوبر **1925**م، ص**276-278**.

57- منصور فهمي: "الكرامة"، المنتقد، ع**1**، الخميس **11** ذي الحجة **1343**هـ الموافق لـ **02** جويلية **1925**م، ص**15-18**.

58- فرنك كراين: "الشجاعة هي الفضيلة الأولى"، المنتقد، ع**3**، الخميس **24** ذي الحجة **1343**هـ الموافق لـ **16** جويلية **1925**م، ص**49**، **50**.

59- محمد الهادي السنوسي الزاهري: "الإحساس والشعور"، المنتقد، ع**5**، الخميس **11** محرم **1344**هـ الموافق لـ **30** جويلية **1925**م، ص**86-89**.

60- الطيب العقبي: "الدين والاجتماع"، المنتقد، ع**6**، الخميس **16** محرم **1344**هـ الموافق لـ **06** جويلية **1925**م، ص**99-103**.

61- الفرقد: "شبيبة المستقبل"، المنتقد، ع**5**، الخميس **11** محرم **1344**هـ الموافق لـ **30** جويلية **1925**م، ص**89-91**.

62- غريب: "التربية"، المنتقد، ع**6**، الخميس **16** محرم **1344**هـ الموافق لـ **06** جويلية **1925**م، ص**107**، **108**.

63- محمد العزوزي حوحو: "كيف نعيش سعداء"، المنتقد، ع**7**، **23** محرم **1344**هـ الموافق لـ **13** أوت **1925**م، ص**119-121**.

64- إبراهيم أطفيش: "محاضرة في الاتحاد والتعاون"، المنتقد، ع**9**، الخميس **07** صفر **1344** هـ الموافق لـ **27** أوت **1925**م، ص**155-158**.

65-المقتطف: "الدستور الأدبي"، المنتقد، ع.**09** الخميس **07** صفر **1344**هـ الموافق لـ **27** أوت **1925**م، ص**161-163**.

66- الغريب ف. س: "الأسبوعيات الاغترار بالنفس"، المنتقد، ع**14**، الخميس **12** ربيع الأول **1344** هـ الموافق لـ **01** أكتوبر **1925**م، ص**267**، **268**.

67- عن السائح: "الطمع والحرص علة الإنسان"، المنتقد، ع**4**، الخميس **3** محرم **1343**هـ الموافق لـ **23** جويلية **1925**م، ص**69**، **70**.

68- عبد الحق: "أفكار معقولة وأراء منقولة، المنتقد، ع**15**، الخميس **19** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **08** أكتوبر **1925**م، ص**274**، **275**.

69- عبد الحميد بن باديس: "من الناس قوم..."، المنتقد، ع**1**، الخميس **11** ذي الحجة **1343**هـ الموافق لـ **02** جويلية **1925**م، ص**19**.

70- مبارك بن محمد الميلي: "هذه جزائركم تحتضر"، المنتقد، ع**18**، الخميس **10** ربيع الثاني **1344**هـ الموافق لـ **29** أكتوبر **1925**م، ص**322-326**.

71- عبد الحميد بن باديس: "من الناس قوم... هم خفافيش البشر"، المنتقد، ع**6**، الخميس **16** محرم **1344**هـ الموافق لـ **06** جويلية **1925**م، ص**113**.

72- عبد الحميد بن باديس: "أليس فيكم رجل واحد؟"، المنتقد، ع**12**، الخميس **28** صفر **1344**هـ الموافق لـ **11** سبتمبر **1925**م، ص**226**.

73- عبد الحميد بن باديس: "من الناس قوم ..."، المنتقد، ع**3**، الخميس **24** ذي الحجة **1343**هـ الموافق لـ **16** جويلية **1925**م، ص**55**.

74- عبد الحميد بن باديس: "عند من.؟ عند الشيطان الساذج"، المنتقد، ع**3**، الخميس **24** ذي الحجة **1343**هـ الموافق لـ **16** جويلية **1925**م، ص**55**.

75- مبارك بن محمد الميلي: "العقل الجزائري في خطر"، المنتقد، ع**6**، الخميس **16** محرم **1344**هـ الموافق لـ **06** جويلية **1925**م، ص**103-107**.

76- عبد الحميد بن باديس: "نقدات"، المنتقد، ع.**6**، الخميس **16** محرم **1344**هـ الموافق لـ **06** جويلية **1925**م، ص**111**.

77- عبد الحميد بن باديس: "من الناس قوم..."، المنتقد، ع**9**، الخميس صفر **1344**هـ الموافق لـ **27** أوت **1925**م، ص**168**.

78- عبد الحميد بن باديس: "عند من... عند الناصحين"، المنتقد، ع**9**، الخميس صفر **1344**هـ الموافق لـ **27** أوت **1925**م، ص**168**.

79- عبد الحميد بن باديس: "من الناس قوم..."، المنتقد، ع**10**، الخميس **14** صفر **1344**هـ الموافق لـ **03** سبتمبر **1925**م، ص**183**، **184**.

80- عبد الحميد بن باديس: "المنتقد والوشاة"، المنتقد، ع**14**، الخميس **12** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **01** أكتوبر **1925**م، ص**251-253**.

81- عبد الحميد بن باديس: "همّة قاضيين"، المنتقد، ع**10**، الخميس **14** صفر **1344**هـ الموافق لـ **03** سبتمبر **1925**م، ص**183**، **184**.

82- عبد الحميد بن باديس: "عند من...؟ عند الناقمين"، المنتقد، ع**10**، الخميس **14** صفر **1344**هـ الموافق لـ **03** سبتمبر **1925**م، ص**184**.

83- أبو الضياء: "لا يحسن بنا"، المنتقد، ع**18**، الخميس **10** ربيع الثاني **1344**هـ الموافق لـ **29** أكتوبر **1925**م، ص**334**، **335**.

84- محمد القروي النابتي: "الضلال المبين"، المنتقد، ع**15**، الخميس **19** ربيع الأول **1344**هـ الموافق لـ **08** أكتوبر **1925**م، ص**279**، **280**.

85- عبد الحميد بن باديس: "فتشوا ولا تشوشوا"، المنتقد، ع**4**، **03** محرم **1343**هـ الموافق لـ **23** جويلية **1925**م، ص**74**.

86- عبد الحميد بن باديس: "عند من...؟"، المنتقد، ع**7**، **23** الخميس محرم **1344**هـ الموافق لـ **13** أوت **1925**م، ص**129**، **130**.

87- عبد الحميد بن باديس: "عند من...؟ عند العدالة الاستعمارية"، المنتقد، ع**6**، الخميس **16** محرم **1344**هـ الموافق لـ **06** جويلية **1925**م، ص**112**، **113**.

88- عبد الحميد بن باديس: "لا تجعلوا للحقير شأنا"، المنتقد، ع**12**، الخميس **28** صفر **1344**هـ الموافق لـ **11** سبتمبر **1925**م، ص**226**.

89- محمد بن عبد الكريم الخطابي: سليل أسرة عريقة في العلم والوطنية، ولد في قبيلة بني وريغيل في أجدير في الريف المغربي بين مليلية وتطوان عام **1883**م، والده عبد الكريم الخطابي من الفقهاء البارزين، تعلم محمد ونشأ بالمغرب وبعد أن أنهى دراسته في فاس التحق بمدينة مليلية المحتلة، وهناك عمل كصحافي في جريدة تلغراف الريف ثم مدرسا للغة العربية والريفية للإسبان، وأخيرا قاضي قضاة المسلمين، وبفطنته وعلاقاته تمكن من التعرف على الأطماع الاسبانية العسكرية والمدنية في بلاده، خلف محمد والده بعد وفاته في الحكم عام **1920**م وحمل مشعل الثورة والذود عن البلاد، فتحرك في ماي **1921**م لمنع تقدم الاحتلال الاسباني الذي تمكن من احتلال الريف الغربي والريف الشرقي، وأعد العدة لاحتلال الريف الأوسط، وخاض الخطابي عدة معارك تمكن خلالها من دحض القوات الإسبانية مما عجّل فرنسا بدخول الحرب لإنقاذ هيبة الاستعمار والقضاء على الخطابي، فقاوم الخطابي من جديد الاستعمار الفرنسي مقاومة لا تقل عن مقاومة الإسبان، وجندت كل من إسبانيا وفرنسا أكثر من مليون ونصف المليون الجندي تحت قيادة ثلاثة مارشالات للقضاء نهائيا على الخطابي، وفي **26** ماي **1926**م وضعت الحرب أوزارها وسلم ابن عبد الكريم نفسه للقوات الفرنسية، ونفي بعدها إلى جزيرة في المحيط الهندي وبقي هناك **20** سنة وفي سنة **1947**م قررت فرنسا نقله إلى جنوب فرنسا لأغراض سياسية، ولكن أثناء مروره ببور سعيد بمصر نزل إلى البر وطلب اللجوء السياسي، وتمّ له ذلك، ومن القاهرة جددّ الخطابي نشاطه بالدعوة إلى تحرير شمال إفريقيا كله، وله إسهامات سياسية هناك، توفي الخطابي في **06** فبراير **1963**م ودفن بمقابر الشهداء بالقاهرة. للمزيد ينظر: أبو عمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، **1995**م، ص**186-190**؛ وأيضا أحمد عبد السلام البوعياشي، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، نشر عبد السلام جسوس وسوشبريس، دار الأمل، طنجة، ج**1**، **1974**م.

90- الحواس منصوري: حرب الريف وأصداؤها في الجزائر **1921-1926**م، ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2**، **2011-2012**م، ص**106**.

91- عبيد مصطفى: حرب الريف في كتابات ابن باديس من خلال جريدة المنتقد **1925**م، مستخرج من كتاب الملتقى الدولي عبد الحميد بن باديس في الثقافة العربية والإسلامية، منشورات مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، قسنطينة، وهران، **17-18** أفريل **2015**م.

92- عبد الحميد بن باديس: "شيء عن الحجاز"، المنتقد، ع**2**، الخميس**17** ذي الحجة **1343**هـ الموافق لـ **09** جويلية **1925**م، ص**32**، **33**.

93- مجهول: "إيطاليا وفرنسا"، المنتقد، ع**7**، الخميس **23** محرم **1344**هـ الموافق لـ **13** أوت **1925**م، ص**122**.

94- مجهول: "الأمة الصينية تعلمت بسرعة واستيقظت"، المنتقد، ع**7**، الخميس **23** محرم **1344**هـ الموافق لـ **13** أوت **1925**م، ص**123**، **124**.

95- مجهول: "أحرب أخرى"، المنتقد، ع**7**، الخميس **23** محرم **1344**هـ الموافق لـ **13** أوت **1925**م، ص**123**.

موقف بن يوسف بن خدة
من بعض أزمات حركة انتصار الحريات الديمقراطية (1946-1954م)

✍ الدكتور: رشيد مياد
رئيس قسم التاريخ

- Summary:	- الملخص:
The Movement for the Triumph of Democratic Liberties came to replace the People's Party following a general amnesty granted by the colonial authority on **16**th March **1946**. A decision that allowed the return of political activity. The Triumph Movement however faced a lot of issues that became over the course of time crises that were threatening its very existence and undermining its future. The shadow of doubt was cast over the national unity that was about to be torn apart. At the top of these	عرفت حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي ظهرت كبديل لحزب الشعب بعد قرار العفو العام والسماح بعودة النشاط السياسي الصادر من طرف السلطات الاستعمارية بتاريخ **16** مارس **1946**م، العديد من المشاكل والتي تحولت بمرور الزمن لأزمات كادت أن تعصف بمستقبلها، وتعرض الوحدة الوطنية لخطر التمزيق، وعلى رأس هذه الازمات نجد النزعة البربرية سنة **1949**، وأزمة الحزب سنة **1953**، هذه الأخيرة كان لها الأثر الكبير على تطور الاحداث

السياسية وتسارعها حتى اندلاع الثورة التحررية المباركة في الفاتح نوفمبر **1954**م، لذا سنحاول من خلال هذه الهذا العرض التعرف على هذه الأزمات، ومن ثم معرفة موقف بن يوسف بن خدة من هذه الأزمات، وكيف تعامل معها؟	crises was the Berber crisis of **1949** and the party's crisis in **1953**. This latter had a major impact on the development and acceleration of political events that eventually led to the blessed liberation war on November **1st 1954**. Throughout this presentation, we shall try to identify those crises, know the position of Benyoucef Benkhedda, and the way he dealt with each one of them
– الكلمات المفتاحية:	- Keywords:
بن يوسف بن خدة؛ الازمة البربرية؛ ازمة حركة انتصار؛ مصالي الحاج؛ الثورة التحررية؛ الوحدة الوطنية.	Benyoucef Benkhedda; the Berber crisis; Triumph Movement crisis; Messali El-Hadj; Liberation War; National Unity

– مقدمة:

عرفت حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي ظهرت كبديل لحزب الشعب بعد قرار العفو العام والسماح بعودة النشاط السياسي الصادر من طرف السلطات الاستعمارية بتاريخ **16** مارس **1946**م، العديد من المشاكل والتي تحولت بمرور الزمن لأزمات كادت أن تعصف بمستقبلها، وتعرض الوحدة الوطنية لخطر التمزيق، وعلى رأسها الأزمة أو النزعة البربرية سنة

1949، وأزمة الحزب سنة **1953**، وكان على الأثر الكبير على تطور الأحداث السياسية وتسارعها حتى اندلاع الثورة التحررية المباركة في الفاتح نوفمبر **1954**م، لذا سنحاول من خلال هذه المداخلة التعرف على هذه الأزمات، ومن ثم معرفة موقف بن يوسف بن خدة من هذه الأزمات، وكيف تعامل معها؟

- أولا: الأزمة البربرية **1949**م أسبابها وأطرافها:

إن الاستعمار الفرنسي لبلادنا لم تكن له أبعاد سياسية واقتصادية فحسب بل قد كانت له أبعاد دينية حيث اعتبر امتدادا للحروب الصليبية، ولذلك فإن الجيش الفرنسي المسلح بالبنادق والمدافع قد صحبه جيش آخر من المنصرين مسلح بالإنجيل والمال، ولقد اعتمدت فرنسا لبث الفرقة في البلاد والتمكين للفرنسة والتنصير برامج كثيرة خبيثة، وكان من أخبثها غرس النزعة العنصرية والتفرقة بين المسلمين في الجزائر، باسم الثقافة البربرية المعتمدة على اللغة الأمازيغية والديانة النصرانية، وقد بدأت فور حط رحالها في البلاد بإنجاز دراسات حول اللهجات المستعملة في الجزائر، دراسات كان الهدف منها إداريا فيما يبدو، قام بها مجموعة من المستشرقين والضباط والإداريين، لكنها لم تكن بريئة، فإن المستشرقين كانوا ولا يزالون خداما للمخططات الاستعمارية، ففي سنة **1856**م أعطى وزير الحرب الفرنسي أمرا لجيسلان (Geslin) بإعداد تقرير مفصل عن اللهجات المحلية المستعملة في الجزائر.

ولما جاءت سنة **1880** كان الفرنسيون قد ألفوا دراسات في أغلب اللهجات المستعملة في الجزائر فألف الجنرال "هانوتو" قاموسا سماه "نحو اللغة التمشقية" (لهجة الطوارق) وألف هو و"دوماس" في لهجة قبائل زواوة، وألف "إيميل ماسكري" في اللهجة الشاوية، وألف "موتيلانسكي" في الميزابية، وغيرهم في غيرها، ثم بدأت السياسات التطبيقية لتلك الدراسات

تظهر على أرض الواقع شيئا فشيئا، وتجلت نيات فرنسا من وراء اهتمامها بدراسة لهجات أهل الجزائر وعادات أهلها وأصولهم وأعراقهم.

لقد كانت سياسة التفرقة بين العرب والقبائل جزءا لا يتجزأ من سياسة الحرب على الإسلام والعربية في الجزائر، تلك الحرب التي قادها المنصرون والمستشرقون والإعلاميون ووجدت -مع الأسف الشديد- من أبناء الجزائر من يصدقها، بل ومن يتحمس لنشرها والدعوة إليها ونصرتها، وخاصة من الشيوعيين الذين كانوا يؤمنون بأن الأمة الجزائرية أمة في طريق التكوين، وهي تتألف من عناصر قبائلية وميزابية وشاوية وعربية وتركية وفرنسية وإيطالية وإسبانية ومالطية ويهودية، ومن أبرز المحطات المهمة نجد الأزمة البربرية داخل حركة انتصار للحريات الديمقراطية سنة **1949**، التي تكشف لنا حقيقة دعاة النزعة العرقية الأوائل في هذه البلاد.

1- جذور الازمة:

تعود جذور المشكلة البربرية إلى سنة **1946**م، حيث برز بشكل واضح نفوذ العناصر اليسارية المنحدرة من أصول قبائلية داخل حركة انتصار للحريات الديمقراطية، واستطاعت هذه العناصر السيطرة على اللجنة المركزية وعلى خلايا الحزب بفرنسا، ومن أبرز هده العناصر واعلي بناي وعمر ولد حمودة وبشكل خاص رشيد علي يحيى الذي تمكن بدعم من واعلي بناي من أن يصبح عضوا باللجنة المركزية -تربطه به علاقة قرابة- في نوفمبر **1948**م، ثم رئيسا لتحرير جريدة "النجم"، مستغلا أعمدتها للترويج لأفكاره اللائيكية[1]. بادر اليساريون إلى إنشاء حركة شعبية للبربرية بعد سيطرتهم المطلقة علة فيدرالية الحزب في فرنسا، وأقر أعضاء الفدرالية بأغلبية **28** صوت من جملة **32** استخدام القوة ضد اللجنة المركزية، ورفض

أي فكرة لاعتبار الجزائر عربية إسلامية، وعارضوا فكرة جمع التبرعات لمساعدة فلسطين بالرغم من قرارات قيادة الحزب.

يذكر يوسف بن خدة أن النزعة البربرية ظهرت بين سنتي (**1946-1947**م) كإحدى مضاعفات أحداث **08** ماي **1945**م وانعكاساتها بمنطقة القبائل وصعود عدد كبير من المناضلين ممن رفضوا الاستسلام للعدو إلى الجبال، منهم الثانويين علي العيمش، وأيت أحمد وعمر أو صديق وعمارة ولد حمودة من مدرسة المعلمين ببوزريعة، وكان هؤلاء على علاقة بالمناضل واعلي بناي بالعاصمة، ثم توسعت هذه النواة لتشمل طلبة أخرين منهم مبروك بلحسين ويحي حنين والصادق هجرس وأخرين، حيث تمكنت النواة القيادية للحركة البربرية من التسلل إلى قيادة الحزب[2].

2- أهداف دعاة البربرية:

كان دعاة النزعة البربرية يلحون على الهوية البربرية وينكرون في الوقت ذاته الإسهام الحضاري العربي والإسلامي متأثرين بالأفكار التي روجها منظرو الإيديولوجية الاستعمارية والشيوعية معا، الذين كانوا ينكرون أن تكون هناك "أمة جزائرية" قد تشكلت من قبل بناء على ثوابت العروبة والإسلام، بل كانوا يدافعون عن الفكرة القائلة بأن الأمة الجزائرية مازالت في طور التكوين، بفضل تعايش عدد من الجماعات العرقية المختلفة فوق نفس الأرض الجزائرية من بينها العرب والبربر والإيطاليون واليهود والمالطيون والإسبان والفرنسيون[3].

3- موقف حركة انتصار للحريات الديمقراطية من الأزمة:

كانت قيادة حركة انتصار للحريات الديمقراطية على علم بالأفكار التي نشرها أنصار النزعة البربرية، ولكنها لم تتخذ أي قرار لأنها لم تكن تملك الأدلة الكافية، إلى غاية حصولها على رسالة بعث بها عمر اوصديق من

السجن بالجزائر العاصمة إلى واعلي بناي، أين اكتشف في هذه الرسالة وجود حزب باسم الشعب القبائلي (PPK)، الذي كان يتهيكل داخل حركة انتصار، وبعد التحقيق تم التوصل إلى منشطي هذا العمل، وهم واعلي بنـاي، وعمـر اوصديق، وعمار ولد حمودة، وصادق هجرس، وتـم معـاقبتهم عـلى هـذه المحاولة لتجزئة وتقسيم الحزب[4].

كان من انعكاسات هذه الازمة إبعاد حسين أيت أحمد من رئاسة المنظمة الخاصة، وإبعاد الأمين دباغين من الحركـة في **02** ديسـمبر **1949**، كمـا أن اللجنة الفيدرالية بفرنسا أصـبحت تعـين ولا تنتخـب، فالمسـؤولون فيهـا أصبحوا يخضعون اللجنة المركزية للحـزب الموجـودة بـالجزائر العاصـمة والقاعدة لا يحق لها انتخاب قادتها بطريقة ديمقراطية[5]، وينبغي الإشـارة إلى أن القضاء على الأزمة البربرية تولت الدور الأساسي فيها عناصر قبائليـة من أمثال راجف بلقاسم، كـريم بلقاسـم، شـوقي مصـطفاوي، وسـعيدي الصادق، وهذا ضمن استراتيجية مدروسة من قيادة الحزب، ومـن نتائجهـا السلبية.

وفيما يخص وجهة نظر قادة ح. إ. ح. د (M.T.L.D) اتجاه هذه الأزمة، جاء على لسان زعيم الحزب مصالي الحاج قوله: "إنما يسمى بالأزمة البربرية لم تكن سوى مؤامرة إمبريالية"[6]، فهذا الصراع حسبه أوجدته الامبرياليـة الفرنسية غداة أوجدته الإمبريالية الفرنسية غداة الاحتلال وتطـور لينفجـر عام **1949**م، لأنه وجد إعانة وحماية من طرف المجموعات والتكـتلات منـذ سنة **1946**م[7].

أما اللجنة المركزية للحـزب فقـد تعرضـت للقضـية في تقريرهـا أمـام المشاركين في مؤتمرها الثاني المنعقد بالجزائر في أفريل **1953**م وجاء فيه مـا يلي: "لقد كانت انحرافا جهويا ذات طابع عنصري وشـيوعي"، أمـا السـيد

الأمين دباغين فقد اعتبرها انحرافا جهويا لمسيرة الكفاح واتهم كل من أيت أحمد والصادق هجرس الأعضاء المنخرطين في ح. إ. ح. د، بالانضمام إلى هذه الحركة، وكانوا يعرفونها على أنها من أجل الجزائر العربية[8]، وعلى العموم فإن هذه الازمة كانت عواقبها سلبية على حركة انتصار بصفة خاصة و على الحركة الوطنية الجزائرية.

4- موقف بن يوسف بن خدة من الأزمة:

قبل الحديث عن موقف بن يوسف بن خدة من هذه الازمة، ينبغي الإشارة ان بن خدة يرجع أسباب تكوين هذه النزعة إلى عاملين هما:

- العامل الأول: أن دعاة النزعة البربرية من ذوي التكوين الفرنسي المحض، ولم يكونوا يتحدثون اللهجة القبائلية سوى في الوسط العائلي، وكانوا يجهلون بصورة تكاد تكون كاملة أسس الثقافة العربية الإسلامية، مما سهل انزلاقهم بسرعة من معاداة الاسلام[9]، مع العلم حسب بن خدة أن التحدث بالقبائلية كان مسموحا به ولم يطرح أي مشكل داخل الحزب، وخطباء الحزب من أبناء المنطقة كانوا يستعملون اللهجة القبائلية، وكذلك ترديد الأغاني والأناشيد التي تثير الحماسة والنشاط داخل التجمعات الشعبية أو اجتماع المناضلين[10].

- العامل الثاني: الإخفاق الذي لحق بالعرب وفلسطين ومواقفهم المخزية أمام الكيان الصهيوني أحدثت في نفوس الشبيبة القبائلية نوعا من النفور إزاء العرب وميلا إلى فك الارتباط بالعالم العربي[11].

أما عن موقف بن خدة من هذه الأزمة، فيؤكد أن موقفه كان واضحا من الأزمة فهي حسب رأيه افتعلها الاستعمار واستغلها تطبيقا لمبدأ فرق تسد، فقد كان من أهداف الاستعمار الفرنسي في الجزائر القضاء على كل مقومات الشخصية الجزائرية من لغة العربية والدين الإسلامي، ولا أدل على ذلك ما

قاله "موريس لوجلاوي" أحد موظفي الإقامة الفرنسية بالمغرب من خلال مقال نشره سنة **1921**م بعنوان: المدرسة الفرنسية لدى البربر، جاء فيه: "يجب أن نحذف تعاليم الديانة الإسلامية واللغة العربية من مدارس البربر، وأن نكتب اللهجات البربرية بحروف لاتينية"[12]، لذلك حاول الاستعمار أن يختلق باي ثمن صراعات وهمية بين العرب والقبائل لضرب بعضها ببعض. وهذه الأزمة دلت على أن الاختراق الفرنسي داخل الحزب شمل كل الأطراف.

والجدير بالذكر ان الأغلبية الساحقة من سكان منطقة القبائل لم تتأثر بهذه المحاولة التخريبية ذات الصبغة الإيديولوجية، وهذا بسبب تشبع السكان بالروح الدينية التي بثتها الزوايا باعتبارها أحسن المدافعين عن الدين الإسلامي واللغة العربية.

- ثانيا: أزمة حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية 1950-1953م:

1- حقيقة الأزمة:

إن التيار الاستقلالي ومنذ أن ظهر خلال العشرينات وهو يتعرض لمشاكل وأزمات داخلية وخارجية، وكان الضغط الاستعماري عليه شديدا وقاسيا، ولذلك حاول أن يتكيف مع هذه الظروف، وبعد الحرب العالمية الثانية واجهته العديد من الأزمات أبرزها أزمة الأمين دباغين والأزمة البربرية وعالجهما بالشكل الذي أشرنا اليه سابقا، ولكنهما تركا أثارهما السلبية التي لم تنتهي إلا مع اندلاع الثورة التحررية شهر نوفمبر **1954**.

في مارس **1950**م وخلال اجتماع اللجنة المركزية للحزب طلب مصالي الحاج منحه الرئاسة الدائمة للحزب والتمتع بحق النقض والاعتراض[13]، وكان رد اللجنة المركزية هو رفض كلي لهذه الاقتراحات ومن هنا بدأت تظهر الأزمة بين مصالي واللجنة المركزية.

وفي شهر سبتمبر **1950**م بدأ سوء التفاهم بشأن مبالغ مالية و ضعت تحت تصرف الرئيس مصالي الحاج و نشب اول حادث بين الرئيس و عضو اللجنة المركزية حسين لحول[14]، وفي اجتماع اللجنة المركزية شهر ديسمبر من نفس السنة تم طرح اقتراحين للدراسة والتفكير:

- العودة للعمل السري.

- العمل الشرعي القانوني.

وتقرر العمل بهما وفق المؤتمر الأول للحزب سنة **1947**م ، ولكن مصالي الحاج لم يرتح لهذا القرار والاتجاه، وأخذ يعارض ويضايق أعضاء اللجنة المركزية وخاصة امينها العام حسين لحول[15]، الذي قدم الاستقالة من الأمانة العامة للمرة الثانية بعد تلك التي قدمها في مارس **1950**م، وبعد شهرين من ذلك خرج من الحزب شوقي مصطفاوي وشنتوف وعمراني، بعد تشاجر الأول مع مصالي الحاج[16].

قدم مصالي على خطوة أخرى شهر سبتمبر **1951**م، فبعد أدائه فريضة الحج وفي طريق عودته مر بمصر ثم قطه رحلته متجها لفرنسا شهر نوفمبر بحجة شرح القضية الجزائرية لوفود الأمم المتحدة في دورتها السادسة، ولم يكن هذا هو رأي الحزب الذي كان يأمل منه أن يقوم بجولة في البلدان العربية لشرح القضية الجزائرية ، ويتكفل القياديين الاخريين للحزب بشرح القضية في باريس[17]، وفي منتصف فيفري سنة **1952**م عاد مصالي إلى مقر إقامته في بوزريعة.

منتصف شهر مارس **1952**م اجتمعت اللجنة المركزية للحزب في مزرعة أحد المناضلين بقرية الأربعاء وتم الاتفاق على تحديد أيام **12**، **13**، **14** جويلية **1952**م لعقد مؤتمر الحزب ولكن مصال الحاج تعرض لتحرشات

السلطات الاستعمارية التي قامت بنفيه إلى نيوز (niort)، مما أدى إلى تأخير انعقاد المؤتمر إلى تاريخ **4، 5، 6** أفريل **1953**م[18].

انعقد المؤتمر في التاريخ المحدد وفي غياب زعيم الحزب الذي كان منفيا في نيوز، وانتهى بنظام محكم بعد أن صوت على اللوائح والقوانين التي قدمتها اللجنة المركزية، ولم تظهر المشاكل إلا بعد أيام، خاصة بشأن تعيين القادة طبقا للقوانين، لكن مصالي الحاج لم تعجبه القرارات التي خرج بها المؤتمر وثارت ثائرته، وهذا بتشجيع من أحمد مزغنة الذي أبعد من المكتب السياسي، ومولاي مرباح الذي كان اعجابه وخضوعه لمصالي لا يضاهي إلا طموحه اللامحدود[19].

من هنا تظهر الأزمة بصفة واضحة، ففي شهر سبتمبر **1953**م قدم مصالي الحاج مذكرة ينتقد فيها السياسة الإصلاحية للقيادة ويعلن عن سحب الثقة من الأمين العام و يطالب بمنحه السلطات المطلقة قصد تقويم الوضع، وكان رد اللجنة المركزية رفض هذا الطلب وأبقت ثقتها في القيادة وأمينها العام وأرسلت شهر أكتوبر وفد يتكون من أربعة أعضاء لشرح أسباب رفض الطلب ولم يحصل الوفد على شيء[20]، وقدم مصالي على تصعيد التوتر حينما أرسل رسالة شهر جانفي **1954**م، يؤكد فيها سحب الثقة من أعضاء القيادة جمعيهم ويجدد طلبه بمنحه السلطة المطلقة ويهدد بطرح النزاع على القاعدة، فتمسكت اللجنة المركزية بموقفها الأول ودعت مصالي إذا رأى ذلك ضروري طرح المشكل أما المؤتمر، ولكن مصالي رفض استقبال وفد اللجنة المركزية و بذلك تمت القطيعة.

لقد استفحل الخلاف واحتد إلى درجة الاصطدام بين المناضلين المؤيدين لمصالي والمناصرين للجنة المركزية -المصاليين والمركزيين- وكان الأغلبية من

مسؤولي الدوائر والولايات من مناصري اللجنة المركزية، أما أغلبية مناضلي القادة فقد انضمت لمصالي[21].

في الواقع أن غياب مصالي عن الساحة الوطنية بفعل عوامل النفي والسجن، إضافة إلى الدور السلبي الذي لعبه بعض المقربين منه وعلى رأسهم مولاي مرباح هي عوامل أدت إلى تغليطه وعزله، وكل هذا الخلاف نستطيع أن نختصره في مسألة واحدة وهي نوعية القيادة هل تكون جماعية أم فردية يتولاها مصالي وحده، بالإضافة إلى اختلافات في السياسات المتبناة من طرف اللجنة المركزية.

نستطيع القول أن انقسام الحزب في هذه الظروف بمثابة ضربة قاسية للحركة الوطنية الثورية بحيث كادت مسألة الانشقاق أن تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه لولا الفريق الحيادي المتكون من قدماء المناضلين في المنظمة الخاصة الذين سعوا إلى التوفيق بينهما على أساس العمل والثورة في إطار اللجنة الثورية للوحدة والعمل التي تشكلت في **23** مارس **1954**م[22]، ولكنها لم تجد أذانا صاغية فشقوا الطريق وحدهم نحو تفجير الثورة.

2- موقف بن يوسف بن خدة من الأزمة:

عين بن خدة أميتا عاما لحركة انتصار وهو لايزال طالبا في قسم الصيدلة في جامعة الجزائر، وجاء تعينه خلفا لحسين لحول، الذي اشتد خلافه مع مصالي الحاج في عدة أمور خاصة التنظيمية منها، فلم يعد يحتمل انتقادات ومضايقات رئيس الحزب، وقد بن خدة لهذه المسألة في كتابه جذور أول نوفمبر بقوله: "أن الأزمة التي برزت بين لحول ومصالي تعود اجتماع اللجنة المركزية في البليدة سنة **1950**م، حين حاول مصالي استصدار لائحة ترشحه رئيس مدى الحياة، هذا المشروع لم يحصل على الأغلبية التي حرصت على القيادة الجماعية"[23]، وبخصوص تعيين بن خدة في هذا المنصب، فالصفات

التي يتميز بها بن خدة اهلته لذلك، ومنها أخلاقه العالية بالإضافة إلى هدوءه وانضباطه، كما أن مصالي الحاج كان يعرف فضل بن خدة في تنظيم الحزب بعد مجازر **08** ماي **1945**م، فقد ضحى بالدراسة سنتين كاملتين للتفرغ لأمور الحزب.

3- خلافه مع مصالي الحاج:

بعد انعقاد المؤتمر الثاني لحركة انتصار سنة **1953**م أعيد انتخاب بن خدة على رأس امانة الحزب، وفي شهر جويلية قام بزيارة إلى مدينة نيوز أين التقى بمصالي واطلعه على النتائج والتوصيات التي خرجت بها اللجنة المركزية في اجتماعها الأخير، وتم مناقشة بعض المسائل التي كانت مطروحة بحدة، كإعادة إحياء المنظمة الخاصة والتحضير للعمل الثوري، ولكن لم يتلقى الإجابة الشافية، وفي نفس الوقت طلب من مصالي تقديم اقتراحاته على شكل تقرير إلى اللجنة المركزية، وكان رد مصالي هو طلب تأجيل اجتماع اللجنة المركزية.

في شهر أوت **1953**م قام بن خدة بزيارة ثانية إلى مصالي، أين عرض عليه مختلف القضايا المتعلقة بالحزب، وطرح بن خدة من جديد فكرة إحياء المنظمة الخاصة، وكان رد مصالي من جديد تأجيل هذه القضية بحجة ضيق الوقت وعدم تمكنه من دراسة كل المسائل المطروحة، وأثناء انعقاد اجتماع اللجنة المركزية بتاريخ **12/09/1953**م تفاجأ الجميع برسالة من رئيس الحزب يقرأها مولاي مرباح وصف فيها السياسة المتبعة بالنهج الإصلاحي والانحراف على المبادئ الثورية للحزب، وبالتالي قرر سحب ثقته من بن خدة، وفي نفس الوقت طالب الجميع تخويله السلطة المطلقة من أجل إصلاح الحزب[24].

يذكر بن خدة أنه لم يكن عنيفا مع مصالي، بل عرض استقالته على اللجنة المركزية التي رفضت بالأغلبية، ما عدا مزغنة ومرباح، وبالتالي لم يبق له إلا الخضوع لرأي الأغلبية، كما نجد أن بن خدة كان له تخمين واضح من الأزمة حتى قبل وقوعها بقوله: "لئن كان أعضاء اللجنة المركزية ونحن منهم، ينزعجون في بعض الأحيان من افراط مصالي الحاج في الدوس على قواعد التحاكم الديمقراطي داخل الحزب، فإن الأمر لم يصل بهم بعد إلى حد اعتبار تلك التجاوزات مؤشرا على جنون العظمة الذي استولى على لبه، ولم يكونوا واعين بعد بحجم المخاطر المبطنة"[25].

- الخاتمة:

ما يمكن قوله في الأخير أن بن خدة الرجل الشاب الذي وهب شبابه للقضية الجزائرية، أبلى في سبيل ذلك البلاء الحسن، فقد تميز بالبساطة والتواضع، وهذا ما نلمسه من خلال مواقفه، فقد واجهته إحدى أكبر الأزمات التي عرفتها الحركة الوطنية، وفي كل مرة كان الرجل الحكيم الحريص على الوحدة، فكان من اشد المعارضين لعبادة الشخصية، متمسكا بفكرة القيادة الجماعية، كما تفطن لسياسة الاستعمار فرق تسد التي أرادت تطبيقها من خلال ما اصطلح عليه الأزمة البربرية، فكان حريصا على وحدة الأمة، من خلال موقفه الواضح من هذه الأزمة.

- قائمة المصادر والمراجع:

- بن خدة بن يوسف، جذور أول نوفمبر **1954**، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، ط**2**، **2012**.

- بوعزيز يحي، سياسية التسلط الاستعماري والحركة الوطنية **1830-1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **2007**م.

- بوعزيز يحيى، الاتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني **1946-1962**، دار هومة، الجزائر، **2003**م.

- حاروش نور الدين، مواقف بن يوسف بن خدة النضالية والسياسية قراءة في تاريخ الجزائر الحديث، ط**1**، الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، **2011**م.

- الزبيري العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج**1**، اتحاد الكتاب العرب، **1999**م.

- صاري الجيلالي، قداش محفوظ، الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية **1900-1954**، الطريق الإصلاحي والثورة، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **1987**م.

- العلوي محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام **1830** حتى ثورة نوفمبر **1954**، ط**1**، دار البعث، قسنطينة، **1985**م.

- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب، القاهرة، مطبعة الرسالة، **1948**م.

- معمري مؤمن، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني **1926-1954**، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة، **2003**م.

- ملاح عمار، محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر **1954**م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، **2007**م.

- Ait Ahmed Hosine, Mémoire D'un Combattons,L'esprit D'independance (**1942-1952**) ,Edition Bouchene, Alger, **1990**.

- الهوامش:

(**1**)- الزبيري العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج**1**، اتحاد الكتاب العرب، **1999**، ص**165-171**.

(**2**)- حاروش نور الدين، مواقف بن يوسف بن خدة النضالية والسياسية قراءة في تاريخ الجزائر الحديث، ط**1**، الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، **2011**.

(**3**)- بن خدة بن يوسف، جذور أول نوفمبر **1954**، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، ط**2**، **2012**.

(**4**)- حاروش نور الدين، المرجع السابق، ص**206**.

(**5**)- حاروش نور الدين، المرجع السابق، ص**32**

(**6**)- Ait Ahmed Hosine, Mémoire D'un Combattons,L'esprit D'independance (**1942-1952**) ,Edition Bouchene, Alger, **1990**.p**99**

(**7**)- بوعزيز يحيى، الاتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني **1946-1962**، دار هومة، الجزائر، **2003**، ص**36**، **37**.

(**8**)- Hosine Ait Ahmed, Mémoire, p**99**.

(**9**)- بن خدة بن يوسف، المرجع السابق، ص**241**.

(**10**)- حاروش نور الدين، المرجع السابق، ص**207**.

(**11**)- بن خدة بن يوسف، المرجع السابق، ص**241**.

(**12**)- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب، القاهرة، مطبعة الرسالة، **1948**، ص**16**.

(**13**)- بوعزيز يحي، سياسية التسلط الاستعماري والحركة الوطنية **1830-1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **2007**، ص**57**.

(**14**)- صاري الجيلالي، قداش محفوظ، الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية **1900-1954**، الطريق الإصلاحي والثورة، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **1987**، ص**110**.

(**15**)- بوعزيز يحي، سياسية التسلط الاستعماري والحركة الوطنية **1830-1954**، ص**58**.

(**16**)- صاري الجيلالي، قداش محفوظ، المرجع السابق،ص**110**.

(**17**)- بوعزيز يحي، سياسية التسلط الاستعماري والحركة الوطنية **1830-1954**، ص**58**.

(**18**)- المرجع نفسه، ص**59**.

(**19**)- ملاح عمار، محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر **1954**م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، **2007**، ص**112**.

(**20**)- صاري الجيلالي، قداش محفوظ، المرجع السابق، ص**112**.

(**21**)- العلوي محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام **1830** حتى ثورة نوفمبر **1954**، ط**1**، دار البعث، قسنطينة، **1985**، ص**247**.

(**22**)- المرجع نفسه.

(**23**)- بن خدة بن يوسف، المرجع السابق، ص**270**.

(**24**)- معمري مؤمن، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني **1926-1954**، دار الطليعة للنشر والتوزيع، قسنطينة، **2003**، ص**214**.

(**25**)- بن خدة بن يوسف، المرجع السابق، ص**270**.

صورة الثورة التحريرية في المسرح الجزائري (1954-1962م)

الدكتور: حميد قريتلي
جامعة يحي فارس - المدية

- Summary:	- الملخص:
The liberation revolution had an echo in the Algerian theater, which was represented by many texts and theatrical scenes, the latter was deriving its material from the facts related to the revolution, and transmitting its events and values on the stage of representation, and thus the theater was a manifestation of sensitization and awareness of the national issue, and an expression of rejection of the forms of colonialism and dependence It also formed an aspect of the cultural and political formation, and was able to reflect the reality and	كان للثورة التحريرية صدى في المسرح الجزائري، وهوما مثلته العديد من النصوص والمشاهد المسرحية، هذه الأخيرة كانت تستمد مادتها من الوقائع المرتبطة بالثورة، وتنقل أحداثها وقيمها على خشبة التمثيل، وبذلك شكل المسرح مظهرا من مظاهر التحسيس والتوعية بالقضية الوطنية، وتعبيرا عن رفض لأشكال الاستعمار والتبعية، كما شكل أيضا وجها من أوجه التكوين الثقافي والسياسي، واستطاع أن يعكس واقع وطموح الثورة من خلال تأسيس فرقة جبهة التحرير الوطني، وكانت بذلك وسيلة من

ambition of the revolution through the establishment of the National Liberation Front band, and it was thus one of the means that conveyed the concerns and aspirations of Algerians and deepened the implications of the revolutionary project to meet the challenge of the colonial project, from here questions can be raised Next: To what extent has the theater contributed to the representation of the facts of the liberation revolution? What are the implications of this on the reality of the Algerian issue?	الوسائل التي نقلت هموم وتطلعات الجزائـــريين وعمقـــت مـــن دلالات المشرـوع الثـوري لمواجهــة تحــدي المشروع الاستعماري، من هنا يمكن طرح التساؤلات التالية: الى أي مدى ساهم المسرح في تمثيل وقائع الثورة التحريرية؟ وما هي انعكاسات ذلك على واقع القضية الجزائرية؟
- Keywords:	– الكلمات المفتاحية:
The scene; Liberal révolution; The algérian Issue; Hype; The culture.	لمسرح، الثورة التحريرية، القضية الجزائرية، الدعاية، الثقافة.

- مقدمة:

ظهرت الكثير من الأعمال المسرحية خلال الثورة الجزائرية والتي صورت بعمق وقائعها وقيمها ، وبالتالي استطاعت أن تخلدها من خلال حضورها في الفن المسرحي، هذه الأعمال المسرحية استطاعت أن تتجاوز كل مظاهر التضييق والابادة لتكون مادة اعلامية وآلية وقفت أمام التعتيم الاستعماري، كما سمحت بنقل وقائع الثورة على جميع المستويات العربية والدولية.

من خلال هذا المقال سنحاول ابراز صدى الثورة الجزائرية من خلال المصادر المسرحية التي نقلت بطولاتها وقيمها خلال الفترة ما بين (**1954-1962**م).

1- عوامل ظهور المسرح الجزائري:

ترجع بدايات ظهور المسرح الجزائري الى تأثير الأعمال الوافدة إلى الجزائر، ويمكن أن نخص بالذكر الفرق المسرحية المشرقية التي تعتبر بمثابة بداية لاكتشاف الأعمال المسرحية مع مطلع القرن العشرين، كما نستطيع القول أيضا أن ببداية المسرح الجزائري كانت بدافع بما كان تابعا للمؤسسة المسرحية الكولونيالية، فكانت المحاولات الأولى مع بداية الحرب العالمية الأولى وتمثلت في النشاط المسرحي الذي كان يقدمه كل من رشيد قسنطيني وعلالو ومحي الدين بشطارزي وتجسدت هذه البدايات مع المشاهد الهزلية التي كان يقدمها "علالو" سنة **1921**م، ثم ظهرت مبادرة أخرى تمثلت في انشاء مسرح باللغة العربية الفصحى سنة **1922**م، وظهرت خلالها بعض المسرحيات مثل "ألسنا بعد المحنة"، "في سبيل الوطن"، "قاضي الغرام". ويمكن القول أن العامل الآخر الذي شجع على بروز المسرح الجزائري كان بعد زيارة المسرحي "جورج الأبيض" إلى الجزائر سنة

1921م (وقبلها فرقة القرداحي التي زارت الجزائـر سـنة **1908**م وقـدمت عروضا مسرحية).

أ/ فرقة جورج أبيض:

قدمت عروضا مسرحية سـنة **1921**م بـالجزائر العاصـمة، وعرضـت خلالها مسرحيتين: "صلاح الدين"، "ثورات العرب"، غير أن هـذه الزيـارة المسرحية لم تعكس نجاحها بالشكل المطلوب، وذلك لاعتمادهـا عـلى اللغـة العربية الفصحى، اضافة الى كونها أول تجربة تلتقي جمهورا تحت ظروف استعمارية، ورغم ذلك إلا أنها شكلت محطة هامة كان لها انعكاس ايجابي على المسرح الجزائري ، وعن هذا يقول عبد المالك مرتـاض: "كانـت بمثابـة هزة كبيرة للمثقفين من الشباب الجزائري يومئذ مما أفضى بعد ذلك الى قيام فرقة التمثيل العربي بـالجزائر..."[1]، ومـن نتـائج هـذه الزيـارة ظهـور "جمعية الآداب والتمثيل" التي ترأسها "علي الشريف الطـاهر"، بالإضـافة إلى "جمعية الموسيقى المطربية" التي ظهرت في **22** ديسمبر **1922**م، وقدمت مسرحيتين: الأولى بعنوان: "في سبيل الوطن" من تأليف "أحمد فارس"، غير أن الادارة الاستعمارية أقدمت على منعها من العرض نظرا لأبعادها الوطنية، أما المسرحية الثانية بعنوان: "فتح الأندلس"، غير أن نشاط هذه الجمعية لم يستمر طويلا نظرا للعجز المالي.

تذهب أغلب الدراسات التي تناولت المسرح الجزائري أن هذا الأخـير لـم ينطلق بشكل فعلي إلا مع بـروز نخبـة رائـدة في المسرـح أمثـال: "رشـيد القسنطيني" الذي عكست تمثيلياته نماذج من الحياة اليوميـة للجزائـريين تحت الاحتلال، وفي نفس الاتجاه نجد: "سلالي عـلي" (علالـو)، الـذي قـدم مسرحية "جحا" في أفريل **1926**م وكانت بالعامية، وباش تارزي، وما ميـز هؤلاء أن موضوعاتهم كانت مستمدة من الـتراث الشـعبي، كمـا أن لغـتهم

المسرحية كانت العامية، وذلك لاعتبارات ترتبط بطبيعة الجمهور الذي كان يعيش ظروفا استعمارية، إلى جانب نقص الثقافة المسرحية لديه، والتجاوب الذي لقيته هذه التمثيليات يكمن أيضا في كونها جاءت معبرة عن الواقع الاجتماعي للجزائري في ظل الاستعمار[2].

جاءت الانطلاقة الفعلية للمسرح الجزائري الناطق بالعامية مع ما كان يقدمه رشيد قسنطيني بطريقة ناقدة للأوضاع، ورافقتها نشاطات مسرحية أخرى بالعامية نظرا لمنع استعمال اللغة العربية من طرف الادارة الاستعمارية، ولأن هذه الأعمال المسرحية تضمنت دعوة غير صريحة للنضال السياسي، كان رد فعل الاستعمار بغلق قاعات المسرح خلال الحرب العالمية الثانية، وقامت بمنع زيارة المسرحيين العرب إلى الجزائر.

في سنة **1946**م أسس "رضا حاج حمو" فرقة "مسرح الغد" كما أسس "أحمد رضا حوحو"[3] فرقة المزهر القسنطيني" سنة **1949**م، و"فرقة هواة المسرح" التي أنشأها "محمد الطاهر فضلاء" بالعاصمة سنة **1947**م، ومن أعماله المسرحية "الصحراء" ومسرحية "شياح المكي"، وكتب العديد من المسرحيات التي قدمها في بسكرة والعديد من المدن الأخرى[4].

كانت هناك محاولة أخرى لاستئناف النشاط المسرحي بعد مجازر **08** ماي **1945**م، وظهرت خلالها مجموعة أخرى من المسرحيين مثل: محمد التوري، مصطفى بديع، وقزدرلي، وأنشأوا الموسم المسرحي العربي تحت اشراف بشطارزي وساعدة مصطفى كاتب إلا أن السلطة الاستعمارية قامت بطرد المسرح العربي من دار الأوبرا وألغت الموسم المسرحي.

من هنا يمكن القول، أن المسرح الجزائري ارتبط أيضا بالنضال السياسي خلال فترة الحركة الوطنية، وذلك باعتباره من ضمن وسائل التعبئة ونشر التوعية التي تساهم في اعداد أرضية للعمل المسلح، فالكثير من المسرحيات

تضمنت نصوصا تدعوا بشكل ضمني الى ضرورة الانخراط في مشروع المقاومة والثورة.

2- البعد الثوري للمسرح الجزائري قبيل اندلاع الثورة التحريرية:

ارتبط المسرح الجزائري بالنضال السياسي للشعب الجزائري حيث كان الالتزام بالقضية الوطنية أحد خاصياته الأساسية ، وأصبح شكلا من أشكال النضال الذي ساهم في التعبئة والتوعية تمهيدا للمشروع الثوري، وانطلاقا من هذا جاءت الكثير من المسرحيات والتمثيليات معبرة عن المواقف الوطنية، ترجمتها القطع المسرحية على خشبة المسرح، من خلال اللغة المستعملة .

عرف المسرح الجزائري مراحلا عديدة من خلاله نشاطه ، منها ما تميز بالركود نتيجة عوامل كثيرة في مقدمتها السياسة الاستعمارية الموجهة لمحاربة كل ما من شأنه التعبير عن ثقافة المحتل، ويمكن أن نقول أن المرحلة التي سبقت اندلاع الثورة التحريرية اختلفت عن سابقتها ، لأنها المرحلة التي جاءت بعد مجازر **08** ماي **1945**م، ومن مآلاتها صدور مراسيم موجهة نحو فتح نشاط الأحزاب والجمعيات ، وهو ما ظهر مع صدور مرسوم في **16** مارس **1946**م، ونتيجة لذلك تم انشاء الكثير من الفرق المسرحية حملت في نشاطها مشروعا أكثر مقاومة للأهداف الاستعمارية، ويمكن أن نذكر منها:

أ/ فرقة المسرح الجزائري:

أسسها مصطفى كاتب (**1920-1989**م)، وبعض الفنانين منهم: عبد الله ناقلي ، علال المحب ، سيد علي كويرات... الخ، وقدمت مجموعة من الأعمال المسرحية منها: "البورجوازي الظريف"، وهي مقتبسة عن المسرحي الفرنسي "موليير"، ومسرحية "طارق بن زياد" لسراج أمين، وتم عرضها سنة **1950**م[5] ومن نشاطاتها المسرحية الأخرى التي كانت تهدف إلى

الدعاية للقضية الجزائرية ما قامت به من جولات في العالم العربي والغربي، حيث شاركت في مهرجان الشبيبة العالمي المنعقد في برلين سنة **1951**م وبوخاريست سنة **1953**م، وفارسوفيا سنة **1955**م، كما سافرت الى تونس لعرض مسرحية "أبناء القصبة" للكاتب عبد الحليم رايس في **06** جانفي **1959**م.

ب/ الفرقة الفنية لجبهة التحرير الوطني:

أنشئت سنة **1958**م بقيادة مصطفى كاتب[6]، إلى جانب لجنة مصغرة تضم أربعة أعضاء يقومون بالاشتراك في تسييرها حيث ضمت كل من مصطفى كاتب وعبد الحليم رايس، أحمد وهبي وحسن الشافعي، تأسيس هذه الفرقة لم يكن وليد الفراغ بل كان نابعا من كونه وسيلة من الوسائل التي يمكن الاعتماد عليها في التأثير على الجماهير وكسب التأييد الشعبي، وهو ما يوضحه مصطفى كاتب بقوله: "... إن فكرة تأسيس الفرقة الفنية لجبهة التحرير الوطني قد أثمرت بعد مشاورات سنتي **1956**م و**1957**م، مع الأخ أحمد بومنجل حول مشاركة المسرح الجزائري في الثورة التحريرية خاصة وأن كل أعضاء فرقة المسرح الجزائري قد انخرطوا في صفوف الجبهة على مستوى الأحياء التي يقطنوها، وفي نوفمبر **1957**م دعي مصطفى كاتب من طرف أحد مسؤولي جبهة التحرير بفيدرالية فرنسا (سي عبد القادر)، والذي كلفه بجمع كل الفنانين لتأسيس الفرقة الفنية لجبهة التحرير الوطني..."[7].

وعن أهداف تأسيس هذه الفرقة جاء على صفحات جريدة المجاهد: "المسرح بالنسبة الينا هو طرقتنا الخاصة لخوض الكفاح والمسرح الملتزم هو في صلب الثورة، فنحن مسرح لشعب مكافح، فمن الطبيعي جدا أن نفكر نحن معشر الفنانين ونعمل مثل المناضلين"[8]، وتضيف عدد آخر: "ان

دورنا هو التعبير عما يحدث، والوضع الراهن هو الكفاح والثـورة، وعنـدما نعبر في المسرح عن الواقع الجزائري الحالي فإننـا نتحمـل مسـؤولية ثقيلـة تجاه الجماهير الأجنبية حتى تكون على معرفة جيدة وادراك أفضـل لعمـل الجزائر وهذا من خلال أنشطتنا"[9].

وجمعت هذه الفرقة بين قسمين قسم للمسرح وقسم للموسيقى والغناء، وكان مصطفى كاتب وعبد الحليم رايس[10] يسّيران القسم المسرحي في حين أحمد وهبي وحسن الشـافعي يسـّيران القسـم الغنـائي، كـان أول عمـل موسيقى تقدمه الفرقة الفنية هي أغنية "يا أمي ما تخافيش"، مـن تـأليف أحمد وهبي وأداء الهادي رجب ، قدمت الفرقة أناشيد جد ثرية ومتنوّعـة، تتراوح بين التراث الوطني والمغاربي، وبين الإبداع في مواضيع وطنية كانت مستوحاة من حب الوطن و الحنين ، الشرف و تمجيد الجزائري في المعركة، وحب الغير والتضامن والسلام، مثل: "قسما"، "جزائرنا"، "فداء الجزائـر" وغيرها[11].

قامت الفرقة بعروض مسرحية في الصـين والاتحـاد السـوفياتي منهـا: مسرحية "الخالدون" التي كتبها عبد الحليم رايـس التـي حضرـها آنـذاك "شوان لاي".

3- البعد الثوري للمسرح الجزائري:

تفاعل المسرح الجزائري مع تفاصيل الثورة، فكـان مـن الفنـون التـي خدمت الثورة من خلال النصوص والتمثيل المسرحي التي كانت موجهـة الى الجماهير، كما كان أداة لتحريض على الثورة قبل وبعـد انـدلاعها، وبمـا أن منطلق المسرح كان هو الكفاح ومحاربة الاسـتعمار، وبـذلك فـان الأعمـال المسرحية عبرت عن الكفاح والمقاومة، وفي هذا يقول عبد الحليم رايـس: "إن المسرح الجزائري مسرح ملتزم يعمل في صميم الثورة، واننا نمثـل مسرـحا

شعبيا يعيش في حالة حرب، ومن الطبيعي بالنسبة لنا كفنانين أن نفكر كمناضلين، وفي هذه المرحلة وفي هذه من الكفاح الوطني فان مسرحنا الواقعي يجب أن يكون مسرح جبهة التحرير الوطني، إننا نترجم عبره واقع الشعب الجزائري"[12].

ومن الخطأ الاعتقاد أن المسرح لم يكن أداة للتحريض على الثورة، فأغلب النصوص المسرحية قدمت للجمهور في أشكال مختلفة، أما عرضت على خشبة المسرح أو كمادة نصية موجهة للقراء، ويعبر عن الدور الذي أداه المسرح خلال الثورة عبد المالك مرتاض: "إن من الناس من يعتقد اليوم في الجزائر أن ثورة فاتح نوفمبر **1954**م لم يكن وراءها مفكرون، ولنكرر ذلك، فهي ثورة شعبية وكفى، نحن لم نرى أخطأ من هذا الرأي قيلا. ذلك بأن هذه الفكرة تحمل مغالطة تاريخية وفكرية لا تقبل، إنا لنعلم أن الفكر مصدره الدماغ وأن الدماغ من الوجهة العلمية، هو المتحكم في كل حركة من حركات الجسم، فالجسم أبدا يتلقى الأوامر من هذا الجهاز العجيب، واذا تعطل الدماغ تعطلت الأوامر المصدرة إلى الجسم فيتوقف عن الحركة، ويعجز عن النهوض بأي وظيفة مادية، ولا يعقل أن تكون حركة ثورية عظيمة كثورة التحرير العارمة، ولا يكون وراءها عقول مفكرة، وأدمغة مدبرة قبلها وأثناءها"[13].

أ/ النصوص المسرحية باللغة الفرنسية:

كما شكل المسرح باللغة الفرنسية أداة من الأدوات التي نقلت وقائع الثورة ونضالات قادتها وظهرت في النصوص المسرحية التي قدمها "كاتب ياسين"[14]، والتي عبرت بعمق عن الأحداث التي شهدتها الجزائر المستعمرة ويمكن أن نذكر منها: "الجثة المطوقة" والتي نشرت على صفحات الجريدة الفرنسية (l'esprit)، بين ديسمبر **1954**م وجانفي **1955**م، وعرضت على

خشبة المسرح لأول مرة في بروكسل في **25** و**26** نوفمبر **1958**م ثم في باريس في أفريل **1959**م، ومن خلال هذه المشاهد المسرحية استطاع "كاتب ياسين" أن ينقل مآسي الجزائريين أمام الرأي الأوربي، كما تضمنت المسرحية مشاهد عن مجازر **08** ماي **1945**م حيث نقل تفاصيلها من خلال ما شاهده وهو طالب في احدى ثانويات سطيف، بل كان من الذين شاركوا في هذه المظاهرات، وتعرض على اثرها للسجن والتعذيب، وتحمل تبعات ذلك من خلال طرده من الثانوية بسبب مشاركته في المظاهرات، كما تعرض والده الى الفصل عن العمل بسبب انتماءه الى نشاط المظاهرات، وأصيبت أمه بالجنون بعد أن وصلها خبر قتل ابنها في هذه المظاهرات، كل هذه المعاناة ولدت في نفسية كاتب المسرحية تحديا فنيا لكل مظاهر الاستعمار، فكانت من الأعمال المسرحية الرائدة التي نقلت آلام الشعب الجزائري الى الرأي العالمي.

ظهر في نفس الاتجاه نص مسرحي لمصطفى الأشرف والتي عنونها "الباب الأخير"، ونشره سنة **1957**م بمجلة الفكر في تونس، وكتب "أبو القاسم سعد الله" معلقا عن هذه المسرحية:" مسرحية تحمل سمات جديدة للواقع وللكفاح معا، انها تصور الشعب الجزائري وقد تخلص من حيرته وبدأ يتحسس طريقه الشاق الذي يؤمن بأن اجتيازه لن يكون سهلا، والمسرحية تعطي الاشارة الى بداية المعركة الفاصلة"[15].

وتم تمثيل النص المسرحي من طرف الطلبة الجزائريين بالزيتونة تحت اشراف صالح خرفي.

وظهرت إلى جانب هذا مسرحيات جزائرية أخرى، أمثال الجزائري "هنري كريا"، الذي كتب عدّة مسرحيات نذكر منها "الزلزال"، ومسرحية "أصوات في القصبة" للكاتب "حسين بوزاهر" التي ظهرت سنة **1960**م[16].

ويمكن القول أن النص المسرحي باللغة الفرنسية كان إلى جنب النص المسرحي باللغة العربية، لكونه تضمن خطاب يدين الاستعمار، ودعا الى تبني مشروع الثورة، ووظف اللغة الفرنسية كي تكون أداة للتعبير عن طموحات الأمة الجزائرية، والدفاع عن القيم التي أراد الاحتلال الفرنسي- تحطيمها.

ب/ النصوص المسرحية باللغة العربية:

- مسرحية "حنين الى الجبل": من تأليف الكاتب "صالح خرفي" جاءت هذه المسرحية في أربعة فصول صورت من خلالها مظاهر كفاح الشعب الجزائري للاستعمار خلال الثورة التحريرية ، عرضت سنة **1957**م ضمن الأعمال المسرحية للطلبة في تونس.

- مسرحية "مصرع الطغاة": وهي مسرحية كتبت سنة **1958**م من طرف الكاتب "عبد الله ركيبي"[17] وطبعت بتونس، كتبت باللغة العربية الفصحى، جاء موضوع المسرحية يجسد مرحلة الاعداد للثورة ثم انطلاقها وردود فعل الاستعمار منها، ضمت المسرحية أربعة فصول ، ارتكزت فكرتها الأساسية على تصوير نضال الرجل الثوري، الذي حمل مشروع محاربة الاستعمار، ودعوته إلى الانخراط في الثورة، ويعلق المؤرخ "أبو القاسم سعد الله" حول المسرحية كما يلي: "مسرحية سياسية كتبها عبدالله ركيبي تتألف من أربعة فصول هي يقظة الضمير الثوري والشعور بالواجب الوطني، وافلاس الأحزاب السياسية، ويأس الجيل الجديد والشعب من الأحزاب، والتضحية من أجل حب الوطن والحبيبة، وأخيرا فشل الاستعمار الفرنسي في وضع حد للثورة، وفي المسرحية لوحات فنية جميلة وتعبير صادق"[18].

إلى جانب هذه المسرحيات كانت هناك مسرحيات أخرى في نفس الاتجاه أشرفت عليها الفرقة الفنية لجبهة التحرير الوطني التي تأسست سنة

1958م بتونس، ويمكن أن نذكر بعض النماذج للمسرحيات من ضمن النشاط المسرحي منها:

- مسرحية "نحو النور" والتي ألفها "مصطفى كاتب" في ماي سنة **1958**م، وتبرز هذه المسرحية بعض المشاهد لمظاهر التعذيب التي يتعرض لها شاب جزائري يطمح الى الحرية والمستقبل.

- مسرحية الخالدون: وهي مسرحية من تأليف عبد الحليم رايس في أفريل **1960**، تنقل بعض المشاهد من المعارك الثورية التي يخوضها جيش التحرير الوطني هذه المشاهد عبرت عن مختلف الأحداث في مسيرة الثورة.

- الخاتمة:

من خلال ما سبق ذكره يمكن القول أن المسرح استطاع التكيف مع مرحلة الثورة التحريرية، وكان من ضمن الوسائل التي كان لها الدور في التعبئة للثورة، واستطاع نقل معاناة الجزائريين التي عكسها الواقع الذي فرضه الاستعمار في جميع المجالات، وشهد المسرح الجزائري التزامه بالقضية الوطنية وما يمليه مشروع الثورة من قيم ومبادئ، غير أن هذه الحركية التي شهدها المسرح كانت لها ردود فعل من الادارة الاستعمارية من خلال فرض الرقابة والمنع، غير أن هذا الأمر لم يحد من الارادة في رفع القضية الوطنية خارج الجزائر، فجاء نشاط فرقة جبهة التحرير الوطني ملبية للنداء، وتمثيليات مسرحية في فرنسا وغيرها، استطاعت هذه الفعاليات المسرحية أن تنقل الواقع اللاإنسانية الذي فرضته الممارسات الاستعمارية.

- قائمة المصادر والمراجع:

1/ أحمد الحاج أنيسة، المسار النقدي لدى عبد الله ركيبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **2012**.

2/ ثليلاني أحسن، المسرح الجزائري والثورة التحريرية دراسة تاريخية وفنية، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، **2007**.

3/ بن دعماش عبد القادر، الفرقة الفنية لجبهة التحرير الوطني (**1958-1962**)، ترجمة أحمد فضيل، منشورات أنترسيني، الجزائر، **2007**.

4/ لمباركية صالح ، المسرح في الجزائر، دار بهاء الدين، قسنطينة،**2007** .

5/ مرتاض عبد المالك، أدب المقاومة الجزائرية (**1830-1962**)، ج**1**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**، مطبعة دار هومة، الجزائر، **2003**.

6/ مرتاض عبد المالك، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **1982**.

7/ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج**6**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، **2007**.

8/ سعد الله أبو القاسم، دراسات في الأدب الجزائري، ط**3**، الدار التونسية للنشر، **1985**.

9/ نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، **1980**.

1/ مسعودي مباركة، "المسرح الجزائري، التأسيس والريادة"، مجلة البدر، جامعة بشار، ع**12**، **2017**.

2/ ميرات العيد، الأصول التاريخية لنشأة المسرح الجزائري دراسة في الأشكال التراثية، انسانيات، ع**12**، سبتمبر- ديسمبر **2000**.

- الهوامش:

(**1**) عبد المالك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **1982**، ص**89**.

(**2**) العيد ميرات، الأصول التاريخية لنشأة المسرح الجزائري دراسة في الأشكال التراثية، انسانيات، ع**12**، سبتمبر- ديسمبر **2000**، ص**10**.

(**3**) ولد في **15** ديسمبر **1910**م بقرية سيدي عقبة ببسكرة، التحق بالكتاب وهو في سن مبكرة، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية، انتقل الى سكيكدة لمواصلة دراسته، غير أنه لم يكمل دراسته نظرا للسياسة الاستعمارية التي كانت تطبق على الجزائريين في الميدان التعليمي، ويعود الى الجنوب ويعمل في بريد بسكرة، في سنة **1935**م هاجر وأسرته الى الحجاز، والتحق بكلية الشريعة لإتمام دراسته وتخرج منها، وفي سنة **1946**م عاد الى الجزائر بعد وفاة والديه، وانضم الى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفي سنة **1956** تعرض للإعدام، ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، **1980**، ص**129**.

(**4**) نفسه.

(**5**) مباركة مسعودي، "المسرح الجزائري، التأسيس والريادة"، مجلة البدر، جامعة بشار، ع**12**، **2017**، ص**692**.

(**6**) ولد في **08** جويلية **1920** بمدينة سوق أهراس، كانت بدايته في الميدان المسرحي مع الأستاذ محي الدين باشتارزي، قام بتكوين فرقة مسرحية سماها "المسرح الجزائري" وقادها الى غاية **1947**م، كلف سنة **1957**م بإنشاء الفرقة الفنية لجبهة التحرير الوطني ينظر: عبد القادر عبد القادر بن دعماش، الفرقة الفنية لجبهة التحرير الوطني (**1958**-**1962**)، ترجمة أحمد فضيل، منشورات أنترسيني، الجزائر، **2007**، ص**41**.

(**7**) أحسن ثليلاني، المسرح الجزائري والثورة التحريرية دراسة تاريخية وفنية، الطباعة الشعبية والجيش، الجزائر، ص**94**.

(**8**) عبد القادر بن دعماش، المرجع السابق، ص**27**.

(**9**) نفسه.

(**10**) ممثل ومؤلف مسرحي اسمه الحقيقي بوعلام رايس ولد سنة **1924**م،بدأ حياته المهنية كعون كهرباء بمدينة الجزائر، ثم التحق بعالم الفن وبدأ ببث التمثيليات الإذاعية، ثم انضم إلى فرقة المسرح العربي الجزائري عام **1950**م،قام بعدة ادوار مسرحية، كما اخرج مجموعة من التمثيليات الإذاعية، في عام **1956**م توجه عبد الحليم رايس إلى باريس إلى غاية **1958**م حيث انضم إلى الفرقة الفنية بتونس، وعرف بمؤلف الفرقة بكتابته لمعظم نصوص مسرحياتها، بعد الاستقلال، ترك عبد الحليم المسرح وتقلد منصب رئيس مصلحة الإنتاج في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الجزائرية، توفي في نوفمبر **1979**م، أنظر: عبد القادر بن دعماش، المرجع السابق، ص **46** وما بعدها.

(**11**) عبد القادر بن دعماش، المرجع السابق، ص **21**.

(**12**) صالح لمباركية، المسرح في الجزائر، دار بهاء الدين، قسنطينة، ص**37**.

(**13**) عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الجزائرية (**1830**– **1962**)، ج**1**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**، مطبعة دار هومة، الجزائر، ص**369**.

(**14**) ولد سنة **1929** بقسنطينة، اعتقل خلال مجازر **08** ماي **1945**م وفقد الكثير من أقاربه وأصيبت والدته بانهيار عصبي لاعتقادها بموت ابنها جراء هذه المجازر، نشر أعماله في سن مبكرة وهي أعمال شعرية جاءت بعنوان: "مناجاة"، نشر ديوان "دائرة الانتقام" الذي يضم أربعة مسرحيات منها: "الجثة المطوقة"، توفي في **28** أكتوبر **1989**م بفرنسا عن عمر يناهز الستين سنة، ينظر:

(**15**) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، ط**3**، الدار التونسية للنشر، **1985**، ص**63**.

(**16**) نفسه.

(**17**) هو عبد الله خليفة ركيبي، ولد ببسكرة سنة **1928**م، تلقى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه، ثم واصل تعليمه المتوسط والثانوي في تونس، وانتقل الى القاهرة لمواصلة دراساته العليا، وتحصل منها على شهادات الليسانس والماجستير والدكتوراه في الأدب العربي الحديث، سجن سنة **1956**م في معتقل آفلو بالأغواط، وفرضت عليه الاقامة الجبرية، لكنه فر منها والتحق بجبال الأوراس، وانتقل إلى تونس سنة **1958**م بمساعدة بعض المجاهدين، وعمل مدرسا بالمدرسة الصادقية، وفي سنة **1960**م تحصل على منحة دراسية

من طرف الحكومة المؤقتة، وتخرج من القاهرة سنة **1964**م، توفي في **19** أفريل **2011**م عن عمر ناهز **83** سنة. أنظر: أنيسة أحمد الحاج، المسار النقدي لدى عبدالله ركيبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **2012**، ص**237**.

(**18**) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج**6**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، **2007**، ص**355**.

محطات ثورية للشيخ إبراهيم بيوض من خلال مذكراته: (أعمالي في الثورة) ودورها في عملية التوثيق لتاريخ الثورة

✍ الأستاذ الدكتور: يمينة بن رحال

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

- Summary:	- الملخص:
Historical sources of all kinds and various forms are essential for historical writing and documentation among historians and scholars. Personal diaries and writings are among the most prominent sources of history after archival documents. They are related to biographies of their leaders who, with their own pens, record their achievements and their life experiences with its all-surrounding events. They were the creators of the event or those who came close to it, they were	تعتبر المصادر التاريخية على اختلاف أنواعها وتعدد أشكالها مادة أساسية مهمة في الكتابة التاريخية والتوثيق لدى المؤرخين والباحثين وتعد المذكرات والكتابات الشخصية من أبرز مصادر التاريخ بعد الوثائق الأرشيفية وهي تتصل بالسيرة الذاتية من حيث أنها تروي قصة حياة روادها وتسجل منجزاتهم وعن طريقها يخلد أصحابها بأقلامهم مآثرهم وتجارب حياتهم وما يحيط بها من أحداث، وهم من صناع الحدث أو ممن اقتربوا منها فكانوا شهود عيان

eyewitnesses, or they got the information from trustworthy people. The record of personal information of activists, whether politicians or leaders, military leaders or journalists, who contributed to the creation of historical events is considered an important tool in the process of historical research and study. I took Sheikh Bayoud's diary as a reference model for my work in the revolution because it provides the historian with the necessary material for the process of historical documentation of the war of independence.	عليها أو التي حملت إليهم من رواة ثقات معاصرين لهم ، وبالتالي فهي تعتبر مدونة المعلومات الشخصية للفاعلين سواء أكانوا سياسيين أو زعماء وقادة عسكريين وإعلاميين وهم الذين ساهموا في صنع الأحداث التاريخية لتكون بذلك أداة هامة في مسار العملية البحثية والدراسة التاريخية وقد اتخذنا من مذكرات الشيخ بيوض أعمالي في الثورة أنموذجا للمذكرات التي تمد المؤرخ بالمادة الضرورية في عملية التوثيق التاريخي.
- Keywords:	– الكلمات المفتاحية:
Personal diaries; the revolution of independence; valley of BeniMizab; El Sheikh Ibrahim Bayous; French colonization.	مذكرات شخصية، الثورة، الشيخ بيوض، أعمالي في الثورة، وادي ميزاب.

- مقدمة:

لكتابة تاريخ الثورة التحريرية يجد الباحث نفسه مجبرا على البحث عن مختلف المصادر التي لها صلة بالموضوع المراد دراسته وذلك بالاعتماد على مختلف الوثائق التاريخية بالإضافة الى جمع المذكرات الشخصية وهي عبارة عن ثورة معرفية كبيرة وشاهد عيان تعطينا حقائق عن الوقائع التي صنفها أصحابها وتمد الأحداث التاريخية بمادة علمية داعمة وأفكار وأراء ووجهات نظر جديدة وحقائق تاريخية تكشف لنا خبايا وأسرار مسكوت عنها.

ولعل من أهم المذكرات الشخصية التي ساهمت في إثراء تاريخ الثورة في منطقة الجنوب خاصة وادي ميزاب مذكرة أعمالي في الثورة للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض هذا الأخير الذي جسد لنا من خلالها مسيرته النضالية في المنطقة أثناء الثورة وكشف لنا عن أحداث ووقائع هامة ساهم في صنعها بنفسه.

والسؤال المطروح ماهي أبرز المحطات النضالية في الثورة للشيخ إبراهيم بيوض من خلال مذكراته؟ وكيف ساهمت في عملية التوثيق لتاريخ الثورة التحريرية؟ وهل يعول عليها في كتابة تاريخها؟

يستعين الباحثون في دراساتهم التاريخية بمادة علمية متنوعة خاصة منها المصادر التي تعد حيز معين للكتابة التاريخية، حيث يهدف الباحث للحصول على معلومات أو حقائق أولية التي يستقي منها مادة بحثية، فبدونها لا يمكن التوصل إلى استنتاجات أو أحكام وبانعدامه لا يتأتى لنا رسم صورة للتصورات والأحداث الماضية[1] كما أن في غيابها لا يمكن للمؤرخ أن يخطو أية خطوة فعلية في هذا العلم المهم وفي هذا الصدد يقول العالم توماس وودس: "أنه دون المصادر الأولية سوف يصبح التاريخ سردا فارغا لا يعني شيئا..."[2].

1- تعريف المذكرات الشخصية ودورها في عملية التوثيق:

تعرف أيضا بالكتابات الشخصية أو اليوميات[3] وهي من المصادر الهامة التي تعتبر كأداة أساسية لكتابة التاريخ فهي تدخل ضمن الوثائق الرسمية المنشورة والمطبوعة، لها صلة مباشرة بأصحابها حيث تعطينا حقائق تاريخية عن الوقائع التي صنعوها، وهي مادة تاريخية أصلية تتمتع بأهمية خاصة لما ترسمه من صورة حية لأحداث عاشها أصحابها ودونوها وهم قاصدين إيصال أفكارهم وآراءهم ومعلوماتهم لقرائها، يتحدثون فيها عن الأحداث التي اشتركوا فيها فعلا أو شاهدوها مباشرة أو التي حملت إليهم من طرف رواة ثقات معاصرين لهم كما أنها نوع من النصوص الذاتية التي يبوح كاتبها من خلالها بأسراره وأفكاره وتأملاته الخاصة علما بأنه لا توجد قاعدة أو خطوات معينة لكتابة المذكرات لأنها ببساطة هي عبارة عن نشاط إنساني عفوي تحتوي على معلومات قل ما نجدها في كتب أخرى وبالتالي لا يمكن الاستغناء عنها في أي حال من الأحوال فلها أهمية خاصة في عملية التوثيق يمكن ذكرها في النقاط الآتية:

1- تعتبر كمرجعيات أساسية لكتابة التاريخ لكونها ثروة معرفية كبيرة ومخزون هام للأحداث التاريخية والأفكار عبر مختلف المراحل. فالمؤرخ لا يخترع الحوادث التي يقصها من ذهنه وخياله بل يستقيها من ينابيعها الأصلية[4].

2- للمذكرات الشخصية أهمية بالغة في إعادة بناء الحدث التاريخي ودراسته وتسجيله ذلك لقرب أصحابها من الأحداث ومعايشتهم لها في الزمان والمكان فهم يعدون من المساهمين في التاريخ وبالتالي فإن إنتاجهم الفكري والأدبي هو صورة صادقة للفترة التي عاشوها، ورغم التباين في بعض وجهات نظرهم في بعض القضايا[5].

3- توفر الكتابات الشخصية معلومات تاريخية ثرية للمؤرخ حيث تساعده في فهم مجموعة من الوقائع والمواقف ربما كان من الصعب حل رموزها في غياب هذه الشهادات.

4- تكشف لنا المذكرات عن الكثير من الحقائق والأحداث وخبايا الثورة التحريرية المجيدة التي نجهلها ومنها وجهات النظر المختلفة لقادة ومسؤولي الثورة الجزائرية في بعض الولايات والصراع بينهم، مما أدى إلى التشكيك في بطولة أبرز زعمائها[6].

5- المذكرات الشخصية لها أهمية كبيرة لدى الباحثين والمهتمين بدراسة التاريخ لما تتميز به من محاولات جادة لإثراء وتوثيق مجموعة من الوثائق والصور والمراسلات والأخبار... فهي تحمل معلومات تفصيلية مهمة يرغب صاحبها في كتابتها أو في إيصالها ونقلها إلى الآخرين لسد بعض الثغرات أو النقص الحاصل في المادة العلمية.

6- تصور لنا بدقة مجريات الأحداث وتفصيلات الحقبة التي عاصرها صاحب المذكرات من جوانبها السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفكرية وهو الأمر الذي يساعد المؤرخ في فهم مجريات الحادثة التاريخية بالتحليل والمقارنة والتركيب.

7- المذكرات تفيدنا في تحليل ودراسة أبعاد شخصية كاتبها حيث تلقى الضوء على جوانب دقيقة لم تتعرض لها الوثائق التاريخية كما تعطينا الخلفيات والأبعاد والظروف التي يتم فيها الحدث وهي أمور قد تغفل عنها الوثائق الرسمية.

8- المذكرات الشخصية هي اعترافات وتبريرات واتهامات وتأملات شخصية وذاتية قد تعكس بصمات المؤلف والزمن الذي عاش فيه فهي تثري الكتابة التاريخية وترد على بعض المغالطات التاريخية[7].

1.1- التعريف بالمؤلف صاحب المذكرات:

هو إبراهيم بن عمر بيوض ولد بمدينة القرارة بوادي ميزاب عام **1899**م[8] والده أحد أعيان الإصلاح في المنطقة[9]، عرف بسداد الرأي والمشاركة في الشؤون الاجتماعية[10] كان حريصا على تربية أبنائه خاصة إبراهيم حيث كان يبقيه في مجالسه بغية الاستفادة منها وما يتداول فيها، فغرست فيه هذه المجالس حب الإصلاح ومعرفة أهله وأغراضه الطبية.

دخل إبراهيم بيوض المدرسة القرآنية في سن مبكرة فاستظهر القرآن سنة **1911**م وعمره **12** سنة، فحفظه وأتقنه رسميا وقراءة وتجويدا عند شيخه محمد بن الحاج يوسف العطاوي ثم توجه لأخذ مبادئ الفقه والعربية على يد مشايخ بلده. لازم إبراهيم بيوض شيخه عمر بن يحي فأخذ عنه الكثير ورافقه في كل أسفاره مطلعا ومحررا، وبعد وفاة شيخه عام **1921**م إثر الوباء الذي أصاب القرارة خلفه الشيخ ابراهيم بيوض الذي رشحه أهل المنطقة لتبني الحركة العلمية والنهضة الإصلاحية في القرارة ثم في ميزاب[11].

وفي عام **1922**م فضل إبراهيم بيوض الالتحاق بحلقة "إيروان"[12] وكان أصغر عضوا وبعد عامين عين شيخا يتولى مهمة الوعظ والتدريس بالمسجد الكبير سنة **1924**م[13] وفي سنة **1925**م أنشأ معهد الشباب الذي صار فيما بعد معهد الحياة وجعله منارا للإشعاع المعرفي والإصلاح الاجتماعي. وقد ساهم معهد الحياة في إنارة الفكر الإسلامي وإنماء الشعور الديني وإذكاء الحس الوطني في نفوس الشباب. وقد تولى الشيخ إدارته والتدريس فيه.

دخل الشيخ بيوض معترك العمل السياسي حين شارك في جمعية العلماء المسلمين سنة **1931**م وكان من واضعي قانونها الأساسي[14] ومن أعضاء إدارتها البارزين حيث أسندت إليه نيابة أمين مالها[15] غير أن معهد الحياة

شغله لذلك خلفه في الجمعيـة عميـد الصـحفيين الجزائـريين الشـيخ أبـو اليقظان الحاج إبراهيم[16].

تمكن الشيخ بيوض من تأسيس جمعية الحياة الخيريـة بـالقرارة عـام **1937**م وهي رائدة النهضة العلمية والإصلاحية بالجنوب[17] حيـث اهتمـت بالتعليم على مختلف مستوياته وتحملـت أعبائـه الماديـة إلى جانـب إنشـاء مؤسسات تربوية وثقافية كالكشافة ونادي ومكتبـة الحيـاة التـي مازالـت تؤدي رسالتها المنوطة بها إلى يومنا هذا.

وفي سنة **1939**م أسندت إليه رئاسة حلقة العزابة وظل في هـذا المنصـب يرأسه بجدارة وإلى جانب مسؤوليات أخرى إلى أن ترأس مجلس عمي سعيد عام **1962**م وهو الهيئة العليا لعزابة مـدن وادي ميـزاب وورجـلان، وقـد انتخب له رئيسا بالإجماع وظل به إلى غاية وفاته[18].

قام الاستعمار الفرنسي بسجن الشيخ لمدة أربع سنوات[19] ووضعه تحت الإقامة الجبرية داخل القرارة سنة **1940**م إثر تحريضـات شـديدة اللهجـة ضد رجال العلم وعند تأسيس هيئة عليا لإعانة فلسطين كان الشـيخ واحـد من بين الأربعة الممضين على برقيات ورسائل التأييد باسم اللجنة الجزائريـة الفلسطينية المؤيدة للقضية في الهيئات والحكومات (الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة) حيث كان عضوا بارزا في لجنة إغاثة فلسـطين رفقـة الطيـب العقبي والإبراهيمي وفرحات عباس[20].

عارض الشيخ بيوض مشروع الحكومة الفرنسية الـذي يقضي- بفصـل الصحراء على الشمال فرغم الإغراءات والتهديدات التي لحقتـه إلا أنـه بقـي صامدا ومكافحا فإليه يعود الفضل في الإبقاء على وحدة التراب الوطني.

وبعد الحرب العالمية الثانية انتخب بالأغلبية الساحقة عام **1948**م ممثلا في المجلس الجزائري رغم رفضه الشـديد للترشـح ثـم أعيـد انتخابـه عـام

1951م وكان الصوت المدوي الذي طالما دافع عن القضايا العربية والإسلامية في الجزائر لا سيما منطقة الجنوب[21].

بعد اندلاع الثورة التحريرية واصل الشيخ نضاله الوطني وكانت له إسهامات كثيرة ودور بارز في الثورة، حيث كان محورا للنشاط الثوري في ميزاب عامة والقرارة بشكل خاص وكانت له اتصالات ومراسلات سرية بقيادة جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في المهجر إضافة إلى تموين المجاهدين بالمال والعتاد واللباس فكان ذلك من بين أعماله رفقة أبنائه الشباب من تلاميذته.

بعد اتفاقية إيفيان وإيقاف القتال في **19** مارس **1962**م تشكلت لجنة تنفيذية مؤقتة وأسندت إليه مهمة الشؤون الثقافية "وزارة التربية" تقديرا لكفاءته إلى غاية يوم تسليم السلطة لأول حكومة جزائرية في سبتمبر **1962**م، وفي عام **1963**م بعث مجلس عمي السعيد الهيئة العليا لعزابة مساجد وادي ميزاب فانتخب رئيسا إلى يوم وفاته وفي السبعينيات اعتمدته وزارة الشؤون الدينية في إصدار الفتوى بالعمل بالحساب الفلكي في إثبات المواسم الدينية إلى أن وافته المنية رحمه الله في **14** جانفي **1981**م عن عمر يناهز **83** سنة.

2.1- شكل المذكرات وأسلوبها:

جاءت المذكرات بعنوان: "أعمالي في الثورة" كتبها الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض سنة **1964**م بعد الاتهامات والمضايقات التي تعرض لها في نفسه وماله وعرضه ممن كانوا يسعون للوصول إلى الزعامة والرئاسة، ونشرتها جمعية التراث بالقرارة وطبعت بمطبعة الزيتونة للإعلام والنشر حي كشيدة باتنة سنة **1990**م وهي من الحجم المتوسط تحتوي على **150** صفحة، إضافة إلى جزئية غير مرقمة تضمنت أدلة تاريخية ووثائق قاطعة تشهد على

نشاطه الثوري وتهدف إلى تسليط الضوء والكشف عـن مسـيرته النضـالية التي اكتنفها التضليل والمغالطات عـن الحقيقـة والتأويـل الباطـل في حـق وطنية مجاهد.

ولقد دونت المذكرات باللغة العربية وجاءت بأسلوب سلس سليم ومفهوم لا غموض فيه ذلك أن الشيخ كان يهدف من خلالها تبيان كل الأحداث التـي شارك في صنعها بنفسه أو أمر بها أو تمت تحت مرآه كما نلتمس من خلال مذكراته الإحساس بالحماس والتفاعل الشديد مع حيثيـات الأحـداث التـي يرويها، حيث بين كفاحه في حرب التحرير الجزائرية من خلال تصرـيحاته وشهادات معاصريه الحية.

3.1- افتتاحية المذكرات:

بدأت مذكرات الشيخ بيوض ببسملة ثم مقدمـة قـدما الـدكتور محمـد ناصر بتاريخ **21** جويلية **1990**م وهو يعـد أحـد كبـار مـؤرخي الجزائـر المعاصرين وكان ذلك بمناسبة الذكرى التاسعة لوفاة الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، وفيها انتقد الموقف التنكري لعدم الاحتفاء بذكرى الشيخ الذي أفنى حياته في خدمة الوطن وتربية الأجيال في سبيل الحفـاظ عـلى ثوابـت الأمـة وحمايتها، معتمدا في ذلك على التقرير الفرنسي الصادر عن الحاكم الفرنسيـ لمنطقة وادي ميزاب في فترة الخمسينات والمتضمن للمعارضـة التـي أبـداها الحزب الوطني الإصلاحي بزعامة الشيخ بيوض، كما ذكرهم محمـد نـاصر بالشهادة التاريخية للرئيس يوسف بن خدّة هذا الأخير الذي أشـاد بالـدور الكبير والمشرف للزعيم الروحي والسياسي المحنك المجاهد الشيخ بيوض الذي كان له الفضل في فضح مخططـات فرنسـا ومؤامراتهـا مـن أجـل فصـل الصحراء عن الشمال من خلال مقال نشرـ في جـانفي **1962**م. وقـد أوكـل

محمد ناصر الله في نفاق الكثير من المشككين الذين كانوا يجاملون الشيخ ويدعونه لمناسباتهم تشريفا وتعظيما، ويشيدون بأعماله أمام الملأ.

وفي ختام التقديم بين محمد ناصر فضل جمعية التراث وإسهاماتها في الحفاظ على ذاكرة المنطقة من خلال وصفها للوثائق التاريخية بين أيدي المهتمين بدراسة تاريخ منطقة القرارة ووادي ميزاب عامة، فعن طريقها ظهرت وتبينت مآثر الشيخ بيوض ومسيرته النضالية وكفاحه لأجل إعداد الأجيال وبناء الوطن وهو العمل الخالد الذي لا يزول بزوال الرجال ولا يحتاج إلى شهادة جهاد أو نضال. كما أكد محمد ناصر بأن الشيخ بيوض قد مضى وترك وراءه البراهين الصادقة والدلائل الحية الشاهدة على صدق جهاده وكفاحه المرير ضد الغزاة[22].

4.1- المحتوى العام للمذكرات:

حملت مذكرات الشيخ بيوض قيمة تاريخية كبيرة حيث قدمت لصاحبها حقائق وصور حية لنضاله إبان الثورة التحريرية في منطقة الصحراء وبالضبط وادي ميزاب، وكان الشيخ يهدف إلى تبيان كل الأحداث التي شارك في صنعها بنفسه، حيث افتتحها بإعطاء نبذة تاريخية عن حياته (مولده، تعليمه، نشاطه داخل الوطن وخارجه) ثم بين موقف السلطة الفرنسية عن نشاطه. آثاره ووفاته[23].

2- نشاط الشيخ بيوض:

1.2- النشاط الثوري للشيخ بيوض في منطقة الجزائر والتل:

لقد وضح صاحب المذكرات النشاط الدؤوب الذي كان يقوم به في الثورة التحريرية وبالضبط منطقة الشمال (الجزائر والتل)[24] حيث ذكر بأن الثورة اندلعت وهو متواجد بالجزائر وكان على اتصال دائم بإخوانه الميزابين

الذين يعملون على جمع المال وإيجاد أماكن الإيواء ومراكز البريد والاتصال[25] وشراء عتاد عسكري (ألبسة، نعال، قماش، أسلحة...) وبقي على هذا النشاط كلما أتيحت له فرصة الإقامة في الجزائر وبهذا يكون الشيخ قد استطاع تكوين خلية ثورية ميزابية قدمت خدمات جليلة للثورة، كما ذكر المؤلف بأن الميزابيين في الشمال كانوا أخلص مساندي الثورة بفضل نصائحه وتوجيهاته لدرجة أن بعض الميزابين قد خاطروا بحياتهم وقاموا بنقل بعض المؤن كالأسلحة والذخائر ووثائق مختلفة من مكان لآخر في سياراتهم الخاصة فهم يعتبرون صورة ناصعة للمناضل الجزائري الوفي[26].

كما بين في مذكراته اتصالاته الوثيقة بالسيد الحاج أيوب إبراهيم بالحاج من بداية الثورة إلى غاية القبض على هذا الأخير الذي فتح منزله للقاء المجاهدين مثل رباح الأخضر وأطلعه على ما جمعه من مؤونة لدعم الثورة وكان الشيخ بيوض على اتصال دائم بالسيد أسماوي الحاج إسماعيل وإخوته في دكانهم منهم الدكتور ترولار، وهو تاجر مناضل بارز في صفوف جبهة التحرير الوطني وكانت وقت ذاك تدعو هذه الأخيرة إلى الوحدة الوطنية لجمع كل فئات الشعب في الصورة ضد الاستعمار الفرنسي. وفي هذا الصدد يقول السيد بن خدة: "خاطبنا الشيخ بيوض وطلبنا منه المضاعفة والمزيد من مشاركة إخواننا الميزابين في العمل ضمن جبهة التحرير الوطني خاصة في ميادين التجنيد ومراكز الإيواء طلبنا منه بالخصوص في الجزائر العاصمة حيث كنت أقوم تحت مسؤولية عبان رمضان بمهام قيادية ضمن جبهة التحرير"[27].

ويذكر المؤلف في مذكراته بأنه كان على اتصال وثيق مع كبار قادة الثورة حيث وقف شخصيا رفقة شاعر الثورة مفدي زكريا في عرض أول شريط تلحين للنشيد الوطني لتجريبه أمام المرحوم عبان رمضان والسيد يوسف

بن خدّة ورباح لخضر وكان ذلك مع بداية **1956**م، كما أنه شارك في وضع تقارير لشرح وضع الجزائر والتي كانت ترسل إلى الحكومة بتونس[28].

وقد شرح الشيخ علاقته بعمر بوسحابه وهو أحد تجار سطيف ومحمد الطاهر وقيامهم بنقل الجند والسلع، إضافة إلى نشاطه مع الريحاني في الأوراس والمناضل داودي محمد في القليعة ويؤكد المؤلف بأنه كان يحث سكان التل (البليدة، العلمة، باتنة) على ضرورة الانضمام إلى صفوف الثورة والعمل من أجل النصر.

2.2- نشاطه الثوري بمنطقة الصحراء وميزاب على وجه الخصوص:

جاء في المذكرات بأن بداية العمل الثوري في منطقة ميزاب كان أواخر **1955**م بصورة بسيطة من خلال قيام بعض التجار بشراء الأسلحة سرا ونقلها إلى بسكرة عن طريق تقرت وأولاد جلال وكان الشيخ بيوض يساعدهم من خلال تحريض من كانوا يمتلكون سلاحا ليعيلوا به الثورة، ويذكر الشيخ بأنها كانت كميات كبيرة.

وتوضح المذكرات اتصالات الشيخ بيوض بجغابة محمد بواسطة أولاد الخبزي من بسكرة ومساعدته من أجل فتح مركز للاتصالات بمنطقة متليلي وكان يرسل له الإعانات وكانت تجمعهم ثقة كبيرة[29]. وكان الشيخ بيوض مسؤول خلية بني ميزاب رفقة الحاج سلامة مسؤول خلية العرب بتكليف من قائد الثورة بالصحراء السيد زيان وبهذا التكليف تمكن الشيخ من تأسيس ما يعرف بجماعة الصفاء أغلب أعضائها من تلامذته.

كما ساهم الشيخ في دعم الثورة من ممتلكاته الخاصة حيث تبرع بمنظار مكبر من أحسن المناظر الألمانية، وكان الحاج سليمان مسؤول جمع الذخيرة والمؤونة يعتبر الجهاز ذو أهمية كبيرة في العمل الثوري لأن الجنود يفضلون المنظار عوض قطعة سلاح حسب رأيه. ويذكر المؤلف في مذكراته بأنه كان

يقوم بتنظيم خلايا ثورية في كل من مدن بريان غرداية، العطف، وكان على اتصال دائم لعقد اجتماعات كل أسبوع في هذه المدن. وكان العمل في ميزاب يتميز بالتنظيم وهو تحت إشرافه[30]، كما وضح اتصاله الدائم مع إخوانهم الأغواطيين بواسطة المجاهد البليدي الصالح الذي كان يقوم بإيواء بعض المجاهدين ويحميهم من قبضة الاستعمار الفرنسي. كما أن الشيخ كان يعمل على إعداد مجموعة من قدماء تلامذته لخدمة المجاهدين، ويروي لنا حادثة تطويق إحدى البلديات من طرف الاستعمار غير أن العملية باءت بالفشل الذريع بعدها تم إيصال الأسلحة إلى أصحابها.

ومن بين إسهاماته أيضا في العمل الثوري أنه كان يتحصل على جريدة المجاهد التي كانت تدخل من تونس بطريقة سرية منظمة فبعد قراءتها يهديها للجند المثقفين وكانت الهدية تسرهم وتفيدهم وتسليهم حسب ما يذكر.

وجاء في مذكراته بأنه كان ممثل الأغلبية الساحقة من بني ميزاب وإن ميزاب والصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر وهي فكرة قديمة لم تتغير ولن تتغير، وقد دافع بشدة عن توحيد السياسة الإدارية بين الجنوب والشمال لأنها قطر واحد وكان ذلك بخطب ونشريات ودعايات قبل صدور الدستور الجزائري[31].

وقد دافع الشيخ عن الفكرة ضد الانفصالين من فوق منبر المجلس الجزائري وكان موقف فرنسا إرسال لجنة بحث إلى ميزاب بعد عام ثم أرسلت لجنة برلمانية ثانية لدراسة الوضع وتم التأكيد على أن ميزاب لا يريد الانفصال عن الجزائر ولا يوجد من يتكلم باسمه سوى من اختارته الأمة بنفسها. كما كان له دور في صد بني لونيس عن ميزاب والفضل يعود إلى رؤساء الحركة الثورية بميزاب.

ولما أصدر ديغول في **07** ديسمبر **1960**م أمره بفصل الصحراء عن الجزائر وربطها رأسا بفرنسا حاولت بعض الشخصيات الفرنسية مدنية وعسكرية إقناع الشيخ بيوض لفائدة انفصال الصحراء عن الجزائر وربطها بفرنسا وجعلها جمهورية مستقلة تحميها فرنسا وتحتضنها[32] وقد قدموا عدة مغريات في سبيل تحقيق ذلك. وردّ عنهم الشيخ بأن جذور حياة ميزاب متغلغلة في أعماق أرض الجزائر وأن عروق اقتصاده ضاربة في كل بقعة من بقاع أرض الجزائر منذ قرون.

وقد أشارت المذكرات إلى كارثة حرق الوثائق في القرارة بتاريخ **28** أكتوبر في دكان لبيع المواد الغذائية. كما أن الشيخ كان يجتهد في نشر التعليم الإسلامي العربي بمختلف مستوياته (ابتدائي - ثانوي)، ولما ألقي القبض على بعض الطلبة لأعمالهم الثورية فقد سعى الشيخ سعيا حثيثا وبمختلف الوسائل من أجل الإفراج عنهم خاصة في باتنة[33].

وتذكر المذكرات في قضية فصل الصحراء بأن المستعمرون وأذنابهم من الانفصالين قد أشعلوا فتنة بين الميزابين والعرب في ورقلة وقاموا بالسطو على دكاكين الميزابين وممتلكاتهم وبساتينهم، فقتلوا وجرحوا وسلبوا ونهبوا وأشعلوا النار وأفسدوا غلل النخيل وكانت فتنة عمياء لم يشهد لها مثيل منذ قرون. وكان الفرنسيون يقولون أنظروا هذا ما سيفعله بكم العرب بعد الاستقلال إذا تخلينا عنكم... أنتم لا تفهمون ولا تفيقون من سباتكم وتصرون على البقاء معهم... الخ[34]. وظن الفرنسيون أن هذه العملية هي أنجع وسيلة لحمل الميزابين على قبول فكرة فصل الصحراء ويقول الشيخ في هذا الصدد أفسدت عليهم حنطتهم بفضل الله سبحانه وتعالى.

3- مناورات في الصحراء: تذكر المذكرات بأنه بتاريخ **05** جويلية **1961**م برهن الشعب الجزائري على أنه يقف وقفة واحدة بين الشمال والجنوب ضد

كل محاولات التقسيم والتجزئة وبتر الصحراء في الجنوب التي كان الاستعمار الفرنسي يحاول إقرارها حيث كانت المنظمة السرية هي الوجه الآخر للاستعمار[35]. وتم تنظيم عمليات وحشية بلغت قمة الفظاعة تمهيدا لإقرار التقسيم بين الشمال والجنوب وهي من مشاريع باريس الرسمية التي حاولت حرماننا من أجزاء هامة من ترابنا الوطني على حدّ تعبيره.

وكان الاستعمار الفرنسي قد جعل من حمزة بوبكر أداة لخدمة أغراضه، هذا الأخير الذي قام بمحادثات طويلة مع رئيس الحكومة الفرنسية ديبري حول قضية الصحراء، ويعود نشاط حمزة إلى سنة **1959**م عندما وضع مشروع بتر الجنوب تحت عنوان "الجمهورية الصحراوية المستقلة"[36] ولتجسيد المشروع اجتمع حمزة بوبكر لأول مرة بشخصيات صحراوية في بلدة الأغواط ثم اجتمع مرة أخرى في ضواحي العاصمة وبالضبط في "سان أوجين"، فرغم تهديداته ومغرياته فإن الشخصيات الصحراوية رفضت المشروع وعارضت فكرة التجزئة للوطن. وقد تقدم أحد رؤساء الزاوية التيجانية وطلب من الحكومة الفرنسية أن يعينه بصفة مباشرة على ترسيم فكرة فصل الصحراء هذا بالإضافة إلى أن "ديبري" قد زار الصحراء بنفسه لتجسيد المشروع غير أن الفشل الذريع كان من حليفه.

وتذكر المذكرات بأن الاستعمار الفرنسي- فكر في طريقة أخرى وهي التعاون بين الحكومة الفرنسية والمنظمة السرية من أجل قضية الصحراء، واستعمل الضغط المادي على كل التجار الصحراوين المستقرين في الشمال وأشرف على ذلك مدير بنك الجزائر وهو صديق الجنرال "شال" وكان من ممولي تمرد **22** أفريل، وقد شهدت العملية تهديد التجار بالإفلاس، تم إفلاسهم وقد تضرر من ذلك أبناء وادي ميزاب في الوقت الذي رفضت البنوك تغطية مصاريفهم وإعطائهم التسهيلات وطالبت تسديد الديون. كما تم

تحطيم متاجر التجار بالقنابل حوالي **90** متجرا من متاجر الصحراويين بالعاصمة.

وتذكر المذكرات بأن الإدارة الاستعمارية قد عمدت إلى القمع المباشر وقد تعرض لهذه العملية أكثر من **1500** عامل من عمال البترول بورقلة، وتم نقلهم إلى الشمال كما قامت الحركة بجمع جنود الحركة وإرسالهم إلى مسجد ورقلة أين داسوا حرمته ومزقوا المصاحف القرآنية والكتب الموجودة في مكتبته وأطلقوا إشاعة على أن العملية ارتكبها جمع من أبناء وادي ميزاب[37]. لكن الجزائريين تفطنوا للمناورة وعرفوا الحقيقة بعدما قام رئيس بلدة ورقلة بسجن كل الشخصيات الصحراوية وانتزاع أملاكها، وبعدها قام حمزة بوبكر بزيارة النيجر معتبرا نفسه ممثلا لسكان الصحراء ورافقه في ذلك الوزير السابق "ماكس لوجون" ووالي البوليس "بايلو" والمحامي "بياجي" (لقاء بين المنظمة السرية والحكومة الفرنسية)، وكان ذلك من أجل استمالة رئيس النيجر السيد "حماني ديوري" من أجل مشروع الجمهورية الصحراوية المستقلة غير أن الرئيس عارض الفكرة بشدة. ذلك بأنه أدرك بأن الاستعمار يريد أن يجعل بلاده أداة لفصل الصحراء عن الجزائر حتى يتمكن من احتكار ثرواتها[38].

4- التقسيم الجديد للصحراء:

جاء في المذكرات بأن الجنرال وصل إلى الحكم بفرنسا في ديسمبر **1958**م وعين "ميشال دوبري" في منصب الوزير الأول بعدها توجه إلى الجزائر لدراسة أوضاعها لمدة أسبوع من **08-12** فيفري **1959**م، وعند عودته تكلم أمام المجلس الوطني بفرنسا حول القضية الجزائرية وقال: "إن من الضروري المساواة الحقيقية لحقوق الجزائريين"[39]، وفي **12** جوان **1959**م قام "جاك سوستيل" بزيارة ميزاب لمدة **04** أيام لدراسة أوضاع الصحراء

فاستقبله السكان وأعضاء الهيئات في الملعب البلدي، وسرعان ما اجتمع في سوق غرداية بالممثلين والسكان عشية الجمعة والسبت وطلب مقابلة الشيخ بيوض في مكتب الوالي المسيو "بيشوف"، وأثناء الاجتماع صرّح له قائلا: "قبل قدومي لزيارة ميزاب درست جميع التقارير المقدمة من طرفكم عن قضية الصحراء". وعلى ضوئها تم تنفيذ إلغاء الحكم العسكري على ترابها وعوضناه بالحكم المدني وجعلنا من قراكم السبع بلديات تتمتع بجميع حقوق البلديات ابتداء من انتخابات **08** مارس **1959**م، وقسمنا الصحراء إلى عمالتين: عمالة الواحات – عمالة الساورة[40].

كان موقف الشيخ بيوض هو أن شكره على الزيارة وقال له لقد اقترحت إلحاق ميزاب بالجزائر رأسا، أخذت بعين الاعتبار كون الغالبية العظمى من سكان ميزاب كانت وجهتهم نحو الشمال في جميع عملياتهم التجارية ومعاملاتهم الأخرى وحركاتهم الدينية والمادية والأدبية كالمساجد والمقابر والمحاكم الشرعية وليس لها شيء من ذلك في الجنوب، فأجابه الوزير المفوض قوله سوف نرى (Nous verrons)[41] وبذلك تمت المقابلة.

أما في قضية فصل الصحراء فلقد طالب الجنرال المحنك دراسة ملف الصحراء رفقة صديقه الحميم ومستشاره المخلص الميسيو "أوليفي فيشار" الذي نجح في تنصيبه رئيسا لجمهورية فرنسا، كما وجه وزيره الأول "ميشال دوبري" إلى الجزائر لدراسة أوضاعها عامة ودراسة أوضاع الصحراء خاصة، فكانت زيارة "جاك سوستيل" إلى ميزاب لدراسة أوضاعها ودراسة علاقتها بالصحراء.

وتذكر المذكرة بأنه في **22** جويلية **1959**م قام الجنرال "ديغول" بتعديل في وزارته وعين "لوي جوكس" كاتب دولة في مكتب الوزير الأول، فاختص بدراسة القضية الجزائرية خاصة قضية فصل الصحراء. فتم تقديم الملف

إلى مستشار "ديغول" "أوليفي فيشار" وأوكلت له مهمة فصل الصحراء بعد الاتصال بـــ: "جاك سوستال" في الجزائر فرأى بأنه يجب الاتصال بأحد المفاوضين فوقع الاختيار على الشيخ بيوض الذي قابلوه في غرداية وقد خاطب مسيو فيشار الشيخ بيوض على أساس أنه مبعوث إليه من طرف رئيس الجمهورية آنذاك الجنرال ديغول لأجل التفاوض معه في شأن مستقبل الصحراء واستقلالها. إذ ذكره أن الصحراء تملك موارد مهمة مثل الغاز والبترول وهي متاخمة للجمهورية الإسلامية المستقلة موريتانيا ويمكن أن تكون جارة وصديقة لها، ودعا فيشار الشيخ بيوض للاتصال بالجنرال ديغول عن طريق خط هاتفه المفتوح في الإليزيه[42].

وقد ردّ الشيخ بيوض عنه قائلا: هل من حقي تقرير مصير شعب كامل؟ فأجابه بنعم. فقال له: هذا حق من حقوق الشعب لذلك فمن الحكمة يجب استفتاء شعبي في هذا الشأن... وقد ذكر الشيخ هذا في مذكراته حيث قال أشهد أنني قد قمت بواجبي أمام الله وأرضيت ضميري وأحمد الله وأشكره على توفيقه[43].

كانت هذه بعض المحطات الثورية والنضالية للمجاهد إبراهيم بن عمر بيوض التي وردت في مذكراته مرفوقة ببعض الوثائق التاريخية والشهادات الحية التي أثرت الموضوع فكانت بمثابة أدلة وبراهين على إسهامات الشيخ في الثورة التحريرية.

5- احتياطات التعامل مع المذكرات الشخصية:

مما لاشك فيه أن الكتابات الشخصية أو المذكرات لها أهمية خاصة باعتبارها مصدرا رسميا وأساسيا للمرحلة التي عاشها مؤلفها، فهي شهادة حية على أحداث عصره التي صنعها بنفسه، لذلك لا يمكن الاستغناء عنها في أي حال من الأحوال في كتابة التاريخ، فرغم القيمة التاريخية للمذكرات

الشخصية إلا أن توظيفها والاستفادة منها بما يخدم التاريخ، فضروري جدا أن نتخذ بعض الحيطة والحذر في طريقة التعامل معها، فقد يكون صاحب المذكرات في كتابته للأحداث التاريخية بعيدا عن الموضوعية فتطغى بذلك النزعة الذاتية وعليه يجب أن تكون الدراسة متعمقة للمذكرات حيث يسعى الباحث الى الكشف عن أهداف كتابتها، لذلك ينبغي أن تتوفر في المؤرخ بعض الشروط كالكفاءة والقدرة الهائلة التي تؤهله للحكم على موضوعيتها[44] وذلك من خلال القراءة المتأنية وإخضاعها للتحليل الدقيق المقارن وللنقد التاريخي الخادم للكتابة التاريخية، فدور المؤرخ يكمن في التدقيق وغربلة الأحداث بالتحليل والمقارنة مع مصادر وشواهد أخرى[45].

كما يجب التحرر من النزعة الذاتية والابتعاد عن الأهواء والعواطف والمواقف التي قد تبعد الباحث عن الموضوعية لأن هذا النوع من الكتابة تتحكم فيه مجموعة من المعطيات كالتوجه السياسي والخصوصية الفكرية والعقائدية والذاتية، خاصة وأن الإنسان بطبيعته عندما يكتب أو يتحدث عن نفسه فإنه كثيرا ما يلجأ إلى تلميع صورته بتمجيد نفسه وإبراز دوره المحوري وتدوين ما يرفع من شأنه ويعزز دوره في الأحداث التي أسهم في صنعها أو كان شاهدا عليها، لذلك ينبغي على الباحث أن ينتهج المنهج العلمي الصحيح ويقوم بالإلمام بتاريخ الكاتب وتفاصيل حياته الخفية[46] فقد تكون توجد أحداث لم يبح بها في مذكراته وهي تساعد في تقصي الحقائق.

إن المصدر الرئيسي لصاحب المذكرة هو ذاكرته الشخصية، فمهما كانت قوية فهي معرّضة للنسيان قد تضيع منها أحداث مهمة ولها قيمة في حياته الخاصة أو تهم الأخرين فتكون قد ضاعت لذلك لا نكتفي بما تختزنه الذاكرة. بل يجب على الباحث أن يقرأ المذكرات بتمعن مقارنا الحقيقة أو الحدث التاريخي لمصادر ومراجع أخرى وإن اقتضى الأمر العودة إلى الوثائق

الأرشيفية إن وجدت، أما إذا لم توجد فعليه أن يقارن الحقائق بالأحداث المعاصرة للمؤلف[47].

ضرورة معرفة الظروف العامة التي أحاطت بالمؤلف صاحب المذكرات بمعنى استحضار الظروف التي انتجت فيها المذكرات أو قيلت فيها الشهادات، فقد يكون المؤلف قد وجد نفسه في وضع اضطره إلى البوح بوقائع تاريخية قد تكون مزيفة أو يكون مدفوعا بدافع البغضاء والكراهية لجماعة من الجماعات الدينية أو الوطنية... أو بدافع الاختلاف في الرأي مع مبدأ من مبادئ حزب من الأحزاب، فيميل في هذه الحالة الى تمجيد مبادئه أو مبادئ حزبه أو جماعته والحط من قيمة خصومه وتزييف أقوالهم.

على المؤرخ الانتباه الى نزعة التفاخر والمباهاة التي تسيطر على النفس البشرية، ذلك أن الأشخاص الذين يستسلمون لهذه النزعة يستغلون كل الفرص لأجل إثبات فاعلية دورهم في الإحداث والوقائع الواردة في المذكرات مع أنه قد يكون دورهم ضئيلا، فوجب النظر بعين ثاقبة ودقيقة في مضمون المذكرات.

في الأخير نخلص إلى القول بأن المذكرات والكتابات الشخصية مصدر هام من مصادر الكتابة التاريخية والتوثيق لذلك فإن البحث التاريخي مرهون بقوة تلك المصادر التي توفر عليها الباحث واعتمدها في عمله. فالمؤرخ الجاد الناجح يجب عليه أن يتمعن في الأحداث وأن يقرأ ما بين السطور ليتحرى صدق الأحداث الواردة في المذكرات وذلك من خلال التحليل والمقارنة مع الكتابات الأخرى والعودة إلى الوثائق الأرشيفية التي تتناول نفس الموضوع.

- قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم مروان عبد المجيد: أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، ط**1**، مؤسسة الوراق، عمان، **2000**م.

2- أبو العلا محمد سليمان: صفحات من الكفاح خاص بالشيخ بيوض والاستعمار الفرنسي في الجزائر، ط**1**، جمعية التراث، **2012**م.

3- بالحاج عيسى بن محمد الشيخ: "البعد التربوي عند الشيخ بيوض من خلال تفسيره لقصة موسى"، مجلة الحياة، ع**1**، جمعية التراث، **1998**م.

4- بلقاسمي بوعلام وآخرون: موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة **1** نوفمبر **1954**، الجزائر، **2007**م.

5- بيوض إبراهيم بن عمر: أعمالي في الثورة، جمعية التراث، باتنة، **1990**م.

6- حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ط**7**، دار المعارف، القاهرة، **1976**م.

7- حمو محمد عيسى النوري: دور الميزابين في تاريخ الجزائر، مج**4**، دار البعث، قسنطينة، د. ت.

8- سعيدوني ناصر الدين: أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة، الجزائر، **2000**م.

9- الشيخ عبد الرحمن عبد الله: مدخل إلى علم التاريخ، ط**2**، جامعة الملك سعود، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، د. ت.

10- بوضياف محمد: التحضير لأول نوفمبر، تقديم عيسى بوضياف، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، **2011**م.

11- علاوة عمار وآخرون: نصف قرن من البحث العلمي بالجامعة الجزائرية، منشورات كلية الأدب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، **2013**م.

12- غنيم عادل حسن و جحر جمال محمود: في منهج البحث التاريخي، ط**2**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، **1993**م.

13- لونيسي رابح: "منهج التعامل مع الشهادات والمذكرات عند كتابة تاريخ الثورة شهادة بن يوسف بن خدة نموذجا"، مجلة العصور، ع**6-7**، وهران، **2005**م.

14- المدني أحمد توفيق: حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، **1977**م، ج**2**.

15- بن موسى بابا عمي محمد وآخرون: معجم أعلام الإباضية.

16- بن موسى بابا عمي محمد: الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض معالم شخصيته وآثاره وما كتب عنه (**1899-1981**)، الكشافة الإسلامية الجزائرية القيادة العامة والمحافظة الولائية، غرداية، **1996**م.

17- ناصر محمد صالح: الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما، مكتبة الريام، الجزائر، د. ت.

18- هلال عمار: الملقى المغاربي الأول المصادر والمراجع العربية لتاريخ الجزائر (**1830-1962**م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **1992**م.

19- ياغي إسماعيل أحمد: مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مكتبة الكعيبان، الرياض، د. ت.

- الهوامش:

1- ناصر الدين سعيدوني: أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة، الجزائر، **2000**م، ص**37**.

2- مروان عبد المجيد إبراهيم: أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، ط**1**، مؤسسة الوراق، عمان، **2000**م، ص**147**.

3- حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ط**7**، دار المعارف، القاهرة، **1976**م، ص**30**.

4- عادل حسن غنيم وجمال محمود جحر: في منهج البحث التاريخي، ط**2**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، **1993**م، ص**161**.

5- عمار هلال: الملقى المغاربي الأول المصادر والمراجع العربية لتاريخ الجزائر (**1830-1962**م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **1992**م، ص**100**، **101**.

6- علاوة عمار وآخرون: نصف قرن من البحث العلمي بالجامعة الجزائرية، منشورات كلية الأدب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، **2013**م، ص**23**.

7- محمد بوضياف: التحضير لأول نوفمبر، تقديم عيسى بوضياف، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، **2011**م، ص**08**.

8- محمد بن موسى بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ص**20**.

9- إبراهيم بن عمر بيوض: أعمالي في الثورة، جمعية التراث، باتنة، **1990**م، ص**13**.

10- محمد صالح ناصر: الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما، مكتبة الريام، الجزائر، ص**12**.

11- محمد سليمان أبو العلا: صفحات من الكفاح خاص بالشيخ بيوض والاستعمار الفرنسي في الجزائر، ط**1**، جمعية التراث، **2012**م، ص**17**.

12- حلقة إيروان : هي جمع لكلمة "إيرو" أي الذي يرتوي العلم، وهي هيئة دينة في ميزاب، تندرج ضمن نظام العزابة وهي هيئة طلبة العلم والحافظين لكتاب القرآن الكريم، فانضمام العضو إليها هو تشريف له وتقدير لما يحمله في صدره من كتاب الله.

13- عيسى بن محمد الشيخ بالحاج: "البعد التربوي عند الشيخ بيوض من خلال تفسيره لقصة موسى"، مجلة الحياة، ع**1**، جمعية التراث، **1998**م، ص**510**.

14- حمو محمد عيسى النوري: دور الميزابين في تاريخ الجزائر، مج**4**، دار البعث، قسنطينة، د. ت، ص**53**.

15- محمد بن موسى بابا عمي: الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض معالم شخصيته وآثاره وما كتب عنه (**1899-1981**م)، الكشافة الإسلامية الجزائرية القيادة العامة والمحافظة الولائية، غرداية، **1996**م، ص**18**.

16- أبو اليقظان (**1888-1973**م) في القرارة بغرداية، عالم وأحد الإصلاح بالجنوب تعلم مبادئ العلوم الأولى بمسقط رأسه ثم سافر إلى المشرق لاستكمال دراسته ثم تونس، دخل معترك النضال السياسي حيث انظم إلى المنظمة السرية النضالية **1917**م، أصدر ثمانية جرائد وطنية إسلامية في سنوات (**1926-1939**م) انتخب لعضوية المجلس الإداري لجمعية العلماء عام **1932**م ثم منصب أمين مال سنة **1934**م له عدة مؤلفات.

17- الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص**15**.

18- محمد ناصر: الشيخ بن عمر بيوض مصلحا وزعيما، المرجع السابق، ص**16**.

19- بوعلام بلقاسمي وآخرون: موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، **2007**م، ص**58**.

20- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر، **1977**م، ج**2**، ص**388**.

21- الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص**16**.

22- إبراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص**12**.

23- المصدر نفسه، ص**13-18**.

24- المصدر نفسه، ص**19**.
25- أنظر أيضا شهادة بن يوسف بن خدة في حق الشيخ بيوض حررت الوثيقة بالجزائر في **09** مارس **1987**م. نقلا عن: حمو بن محمد عيسى النوري، المصدر السابق، ص**92**.
26- إبراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص**20**.
27- شهادة بن يوسف بن خدّة، المصدر السابق.
28- إبراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص**20**.
29- المصدر نفسه، ص**22**.
30- المصدر نفسه، ص**24**.
31- المصدر نفسه، ص**26**.
32- المصدر نفسه، ص**38**.
33- المصدر نفسه، ص**39**.
34- المصدر نفسه، ص**45**.
35- المصدر نفسه، ص**49**.
36- المصدر نفسه، ص**50**.
37- المصدر نفسه، ص**50**.
38- المصدر نفسه، ص**53**.
39- المصدر نفسه، ص**61**.
40- المصدر نفسه، ص**62**.
41- المصدر نفسه، ص**63**.
42- المصدر نفسه، ص**64**.
43- نفسه.
44- الموضوعية: هي إحدى أبرز خصائص الباحث العلمي الجاد والمنضبط وتعني البعد عن الذاتية وذلك بتجنب الباحث التحيز الشخصي وعدم إصدار الأحكام إلا بعد فحص دقيق لما يمتلكه من أدلة وبراهين بتجرد وشفافية حتى يصبح البحث نزيه، بمعنى آخر أن يضع الباحث ميولاته واتجاهاته ومصالحه الشخصية جانبا.
45- رابح لونيسي: "منهج التعامل مع الشهادات والمذكرات عند كتابة تاريخ الثورة شهادة بن يوسف بن خدة نموذجا"، مجلة العصور، ع**6-7**، وهران، **2005**م، ص**27**.
46- إسماعيل أحمد ياغي: مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مكتبة الكعيبان، الرياض، ص**42**.
47- عبد الرحمن عبد الله الشيخ: مدخل إلى علم التاريخ، ط**2**، جامعة الملك سعود، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، د. ت، ص**89**.

البعد الشعبي
في نشاط جبهة التحرير الوطني (1954-1962م)

✍ الأستاذ الدكتور: حكيم بن الشيخ
جامعة يحيى فارس - المدية

- Summary:	- الملخص:
The activity of the liberation revolution was based on the popular effort through the involvement of the various social groups in the revolutionary fields, and this appeared on the military and civil side, where these efforts emerged in the health, educational, political, military and other fields in which the popular contributions emerged, and this was expressed in the revolutionary charters that the people It is the source of the strength of the revolution, and through it it derives its survival and	ارتكز نشاط الثورة التحريرية على المجهود الشعبي من خلال انخراط الفئات الاجتماعية المختلفة في الميادين الثورية، وظهر ذلك في الجانب العسكري والمدني حيث برزت هذه الجهود في النشاط الصحي والتعليمي والسياسي والعسكري وغيرها من المجالات التي برزت فيها الاسهامات الشعبية، وعبرت عن ذلك المواثيق الثورية على أن الشعب هو مصدر قوة الثورة، وتستمد من خلاله بقاءها واستمراريتها، وهو ما عبرت عنه بعمق المقولة التي خلدها التاريخ

للشهيد العربي بن مهيدي عندما أكد على أن الشعب هو مصدر نجاح الثورة حيث قال: "ألقوا بالثورة الى الشارع يلتقطها الشعب"، سنحاول من خلال هذا المقال ابراز مدى اسهام الفئات الاجتماعية في الثورة التحريرية؟ وانعكاسات ذلك على واقع الثورة ورد الفعل الاستعماري منها؟	continuity, which is deeply expressed by the saying immortalized in history by the martyr Didush Murad when he emphasized that the people are the source of the success of the revolution, as he said: “Throw the revolution into the street and the people will pick it up.” We will try through this article to highlight The extent of the contribution of social groups in the liberation revolution? And the repercussions of this on the reality of the revolution and the colonial reaction from it?
– الكلمات المفتاحية:	- Keywords:
البعد الشعبي، مواثيق الثورة، بيان أول نوفمبر، التعبئة، الحرب النفسية.	The popular dimension; the charters of the revolution; the statement of the first of November; mobilization; psychological warfare.

- مقدمة:

سعت إدارة الاحتلال الفرنسي ما في وسعها لإنجاح مخططاتها الرامية إلى عزل الجزائري عن ثورته إلا أن قيادتها أدركت منذ الوهلة الأولى ضرورة دخول المعركة بكتلة موحدة واسعة ومحددة الأهداف، ممثلة في جبهة التحرير الوطني التي أخذت على عاتقها مسؤولية تفجير الثورة تنظيم فئات الشعب الجزائري، وتسخيرها لخدمة القضية الوطنية، من خلال وضع استراتيجية محكمة لانطلاقة فاعلة ومؤثرة وذلك لبعث الكفاح المسلح في الداخل الخارج.

من خلال هذه الورقة البحثية أحاول دراسة مختلف الجهود التي تنم عن التضامن الشعبي في إطار حزب جبهة التحرير المعبر والناطق الرسمي للثورة الجزائرية، وأبين تأثيرها الايجابي على توفير الدعم والمؤازرة، وسأنطلق من إشكالية رئيسية مفادها معرفة حجم الثقل الشعبي لثورته وأثره على دعمها سياسيا وعسكريا، ونهدف من خلال ذلك إلى توضيح حقيقة التضامن الشعبية المكرسة في ظل المواجهة الشرسة من قبل المستعمر، الذي شكك منذ البداية في نجاحها واحتضانها عبر مراحلها المختلفة، وخلصت الدراسة إلى رصد نتائج مهمة منها أن حركة التضامن الشعبية كانت عفوية وفعالة في دعم المسار الثوري، رغم تدخلات الإدارة الاستعمارية بمخططاتها ورجالاتها السياسيين والعسكريين للتأثير عليها ولو بشكل معنوي في ظل الضربات القوية لجيش التحرير، الذي أظهر عن قوة غير مسبوقة وعزم راسخ على التحرر نهائيا من ربق هذا الأسر الذي طال أمده.

وقد صدقت مقولة الشهيد العربي بن مهيدي حين قال: "ألقوا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب" في إشارة إلى مدى ما بلغته الثورة في نفوس

الجزائريين وكان ذلك خلال اجتماع مجموعة الاثنين والعشرين والذي خلص إلى نص بيان أول نوفمبر **1954**م الـذي راهـن منـذ البدايـة عـلى التفـاف واحتضان الشعب لها.

هذا في حين كان يعتقد أنصار الحزب الليبرالي وعلى رأسهم السيد فرحات عباس قبل انضمامه للثورة عام **1956**م [1] حين قال أنه بمقدور الفرنسـيين القضاء على الثورة الجزائرية في مهدها، إن هـم أنجـزوا قبـل فـوات الأوان بعض الإصلاحات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعيـة السـخية. حقيقـة أكدها جان لاكوتير (JEAN LA COUTURE) الذي يعتبر واحد من أنصار فرحات عباس مصرحا ما يلي: "إن ما كـان يقـول، حينئـذ السـيد عبـاس لمحدثيه الباريسيين، لم يكن يتضمن ضرورة التعامل مـع جبهـة التحريـر الوطني (FLN)، أو ضرورة الاعتراف باستقلال الجزائر، أو ضرورة الإسراع في سحب الجنود الفرنسيين من الجزائر: أنه كان يطلب بدلا مـن النصـوص الخاصة بدعم المجهود الحربي، إعداد، وإقرار نصوص تؤكد المساواة التامـة بين المجتمعات الأوروبية، والإسلامية في الجزائر، كان يؤكد أن تحقيـق مثـل هذا النظام يمكن أن ينهى، أو يعطي صفة أخرى للثورة"[2].

وعلى هذا الأساس عملت جبهة التحرير الـوطني عـلى إقنـاع الجمـاهير الشعبية بضرورة الانضمام للكفاح المسلح وحتمية تسـخير كافـة الوسـائل الممكنة التي تتماشى وتطـورات الثـورة الجزائريـة مـن أجـل توحيـد كـل الطاقات، كما عملـت عـلى تعزيـز الانخـراط الجمـاعي لمختلـف المكونـات الاجتماعية، وانعكست مظاهر ذلك في مختلف الآليات والوسـائل المسـخرة، حيث شملت الكثير من الميادين والمجالات، وهـو مـا نصـت عليـه مختلـف مواثيق الثورة والمناشير، التي تؤكد للجميع أن تجنيد الطاقات الشعبية هـو بمثابة نقطة الارتكاز لنجاح مشروع الثورة وتحقيق أهدافها، وازداد التمسك بهذا المبدأ بالنظر إلى السياسة الاسـتعمارية التـي كانـت موجهـة لضرـب

التلاحم الشعبي والثورة، والذي ظهر ذلك بشكل واضح في اطار الحرب النفسية التي اعتمدها الاستعمار القائمة على تشويه صورة الثورة ومن خلالها جبهة التحرير الوطني، كما لم تتوقف الاستراتيجية الاستعمارية عند هذا الحد بل سخرت كل الوسائل العسكرية من قمع وتشريد بهدف إفشال منظومة التعبئة الشعبية لجبهة التحرير الوطني.

ولعرض محاور المقال يمكن تقسيمه الى العناصر التالية:

- دور المكونات الاجتماعية في الثورة التحريرية من خلال المواثيق الثورية.

- أهم الهياكل التنظيمية في التعبئة الشعبية.

- رد فعل الاستعمار من نشاط المؤسسات الشعبية.

1- دور المكونات الاجتماعية في الثورة التحريرية من خلال مواثيقها:

برزت الحاجة إلى الدعم الشعبي للثورة من خلال مواثيقها، ويمكن أن نستشف ذلك من خلال أدبيات بيان أول نوفمبر، حيث أكدت على الحضور الشعبي في العمل الثوري، فكان الخطاب موجها على وجه الخصوص إلى الشعب ونجده في عبارة: "أيها الشعب الجزائري"، كما حمل مفجرو الثورة مصير المشروع المسلح إلى الشعب وهو ما جاء في البيان كما يلي: "أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا نعني الشعب بصفة عامة والمناضلين بصفة خاصة"[(3)] وقد كانت جبهة التحرير مفتوحة لكل الجزائريين باختلاف انتماءاتهم السياسية، ولعل بيان أول نوفمبر قد فصل منذ اللحظة الأولى في طبيعة الثورة وشكل مطالبها، بهدف إبعاد أي غموض أو تشكيك في حقيقتها وبعدها الاجتماعي والوطني، ويظهر ذلك في الشكل التالي: "... بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا...، ورغبتنا أيضا أن نجنبكم

الالتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الامبريالية وعملائها وبعض محترفي السياسة الانتهازية".

ولقد استخدم الجيش الفرنسي أعنف وأعتى الوسائل كالاعتقال وتحطيم المحلات التجارية والتعذيب والاغتيالات من أجل كسر وتعطيل الإضراب والوقوف في وجه الفدائيين، هذا ما سُمي بمعركة الجزائر. وقد كانت أداة القمع والتسلط الفرنسي ووحشيته فائقا لكل التصورات، مما تسبب في الإساء وبصفة كبيرة ومباشرة إلى الشرطة والجيش الفرنسيين لاسيما لدى الرأي العام العالمي، حيث قتل الكثير من الجزائريين، والآلاف من المفقودين والمعتقلين في السجون ومراكز الاعتقال، وقد أبرز سكان الحضر دعمهم للثورة على غرار سكان البادية منذ أوت **1955**م، فقد فتحت فيدرالية جبهة التحرير بفرنسا جبهة ثانية، وتقرر الهجوم على مراكز الشرطة بتاريخ **25** أوت **1957**م، وكذا حرق مستودعات النفط، وتخريب معامل التكرير، وقد أسفرت حصيلة هذه المعركة التي دامت بضعة أسابيع عن تنفيذ حوالي **242** هجوماً ضد **181** هدفاً و**56** عملية تخريب ونقلت على إثره الحرب إلى الأراضي الفرنسية.

وفي داخل البلاد تضاعف واتسع نشاط القتال في الجبال ومواقع أخرى، وعلى وجه الخصوص بالجنوب حيث فتحت في نهاية سنة **1957**م جبهة صحراوية. وقد كان العمل بمقتضى مواثيق الثورة من أنجع الطرق وبل أهمها على الإطلاق لبعث التنظيم والمنهجية في صفوفها والتي منها بيان أول نوفمبر، وثيقة الصومام ووثيقة مؤتمر طرابلس. هذه المواثيق، التي تؤرخ لمراحل حاسمة ومنعطفات مفصلية في مسار الثورة، تعكس في مجملها الصراعات الداخلية، بين قادة الثورة حول الخيارات السياسية والإيديولوجية من جهة، وحول شرعية من يحكم في الجزائر المستقلة من جهة ثانية، ومن هذا المنطلق وجب التعرض إلى مجالات هذا التنظيم وهو كالآتي:

- تنظيم التعبئة السياسية والمدنية للجماهير الشعبية:

عملت جبهة التحرير الوطني على انشاء نظام سياسي واداري يهتم بالشؤون السياسية والمدنية لجيش التحرير بهدف تنظيم عملية التعبئة الشعبية في مشروع الثورة، حيث أوجدت المحافظ السياسي في هرم قيادة جيش التحرير، وبالمقابل أوجدت مجالس الشعب في التنظيم الإداري.

لقد كان هدف القيادة الثورية من إعادة الهيكلة أن استهدفت تغيير الوضع السيئ للشعب الجزائري ومواجهة فرنسا الاستعمارية. كما تصدت لمختلف الإجراءات الفرنسية بإجراءات مضادة عسكريا وسياسيا مما زادها دعما وقوة وانتشارا وانتصارا، واختيار الكفاءات لإنجاز المهمات التي تتطلبها الثورة، بالإضافة إلى هيكلة المنطقة بشقيها السياسي والإداري وفق المعطيات التي أحدثتها وأفرزتها مراحل الثورة، وجعلها تتماشى والمستجدات الجديدة على الساحة السياسية والعسكرية وبالخصوص بعد أن غطت الثورة مناطق واسعة من البلاد ودخلت كل فئاته في معركة التحرير الوطني، وبقيت بذلك وحدة النظام للهياكل السياسية والعسكرية للثورة، كما وضعت الترتيبات اللازمة والتنظيمات المختلفة سياسيا وعسكريا، وكذا العمل على تصعيد عمليات الكفاح المسلح، وتقييم كل مرحلة من مراحل عمر الثورة، مما تمخض عنه عدة قرارات سياسية وتنظيمية واجتماعية زادت الثورة قوة وتنظيما وشمولية مكنتها من إحراز الانتصارات الداخلية والخارجية المتتالية، وبإيجاد وانتهاج باستراتيجية تضمن استمرار الثورة وتتجاوز النقائص وتحدد الأولويات من جهة، ومن جهة ثانية تحدي للضغوطات المستجدة للاستعمار الفرنسي، وتحقيق الاستقلال التام[4].

أ/ المحافظ السياسي في التعبئة الشعبية:

أكدت جبهة التحرير الوطني على حتمية المشاركة الشعبية الواسعة في الثورة التحريرية من خلال مواثيقها، ولذلك يعتبر بيان أول نوفمبر **1954**م، أول وأهم وثيقة إعلامية تصدرها الثورة حيث حرص صناع أول نوفمبر من خلالها على الاتصال مع الهيئات والمنظمات السياسية وغير السياسية، والمناضلين، وكافة أفراد الشعب الجزائري عبر مختلف مناطق الجزائر حتى يؤكدوا حقيقة هذه المنظمة الجديدة التي كانت وراء تفجير الثورة، فضلا عن شرح وتفصيل الأهداف المتوخاة من العمل المسلح[5].

عملت جبهة التحرير على انشاء المراكز وتنظيم اللجان الشعبية وذلك بهدف تجسيد الأهداف الاستراتيجية لمشروع الثورة والتي حددها بيان أول نوفمبر[6]، كما يسمح هذا التنظيم بتوفير الامكانيات المادية والمعنوية للثورة في جوانب عدة، خاصة ونحن نعلم أن انطلاق الثورة كان بإمكانيات بسيطة، وعن دور الشعب في انجاح المشروع الثوري يقول العربي بن مهيدي: "إننا سندخل مرحلة جد خطيرة وشاقة طالما نادى بها المناضلون، انها ليست بالأمر السهل فعليها يتوقف مصير الوطن...، فإن صمدنا وقاومنا، وحسنت تصرفاتنا وعملنا على احتضان الشعب لثورته في الأرياف والقرى والمدن، نكون قد بلغنا الأمانة وأدينا الرسالة والنصر حليفنا مهما كانت الأحوال"[7].

ومن المهام التي أوكلت اليه نذكر:

- جمع التبرعات والهبات وفرض الغرامات: وتتم هذه العملية من خلال تحديد مساهمة مالية توجه الى الثورة وتخص كل الرجال الذين يصل سنهم **18** سنة، وحددت هذه المساهمة بشكل يتلاءم مع وضعية كل فرد، حيث تم اعفاء الفقراء وتحديد قيمة مالية خاصة بالأغنياء.

- السهر على عملية الحراسة ومتابعة عمل المسبلين: من المهام الموكلة إلى المحافظ السياسي الاشراف على المراقبة الليلية على مستوى الدواوير، كما توكل اليه مهمة اختيار المسبلين الذين تتوفر فيهم شروط القيام بالمهمات الموكلة اليهم، والذين يتوفرون على الصحة الجيدة والمعفون من الالتزامات العائلية، لأن العمليات الموكلة اليهم ترتبط بتدمير الجسور والطرق والمسارات والسكك الحديدية وحرق المزارع، وتنفيذ الغارات والمشاركة في الكمائن، كل هذا يقتضي استعدادات خاصة من طرف المسبلين.

- المجالس الشعبية: يتكون مجلس الشعب في كل دوار من **05** أعضاء ومسؤول، ينتخبون من طرف الجماهير الريفية، وهم مكلفون بجمع المال، التموين، الأخبار، الأمن، ويساعدهم في ذلك مسؤولو المداشر.

مسؤول المجلس: من مهامه ما يلي:

- السهر على تنفيذ التعليمات والتوجيهات المقدمة من طرف القيادة العليا لجبهة التحرير الوطني.

- القيام بتنشيط ومراقبة الهياكل النظامية في الدوار.

- السهر على تطبيق قرارات المجلس الشعبي.

- تنظم ويترأس اجتماعات المجلس.

- مراقبة نشاطات الشرطة.

- مسؤول الدعاية والأخبار:

لم تقتصر مهمة قيادة الثورة التحريرية على القيام بشن العمليات العسكرية ضد جيش الاحتلال وفقط وانما تعدته إلى مهمة أخرى، تتجسد في توعية وتعبئة الجماهير بمختلف فئاتها وشرائحها الاجتماعية إقناعها بحتمية العمل المسلح كوسيلة لتحقيق الاستقلال[8]، وبالتالي أكدت جبهة

التحرير الوطني أن تحرير الجزائر مسؤولية جميع الجزائريين، ولا مسؤولية لطائفة من الشعب الجزائري، مهما كانت أهميتها، وقد أدركت الحكومة الفرنسة هذه الحقيقة وعرفت أن اتحاد الشعب وراء قادة الثورة هو الذي أعطاها هذه القوة والصرامة وهذا الصمود[9].

هذا وقد تولى مسؤول الدعاية مهام جمع المعلومات ونقلها إلى القيادة، وكان يتم ذلك عن طريق المسبلين، الذين كانوا يقومون بجمع المعلومات والأخبار من العروش والدواوير.

- يقوم بالإشراف على البريد وتنظيم شبكة الاستعلامات.

- مراقبة تحركات العدو من حيث العدد والعتاد.

- إحصاء الشهداء والمساجين.

- إحصاء المجندين في صفوف الجيش الفرنسي.

- كشف هوية الخونة بهدف ملاحقتهم من طرف قيادة جيش التحرير الوطني.

مسؤول المالية:

- يقوم بجمع الاشتراكات والتبرعات من مسؤولي المداشر والقرى، ويقدم تقارير شهرية لقيادة جبهة التحرير الوطني.

- صرف منح أسر الشهداء وعائلات المجاهدين المنكوبين والفقراء ، ويتم ذلك عن طريق مسؤول الدشرة.

مسؤول الأمن: من المهام الموكلة إليه:

- الاشراف على تحديد الأماكن الملائمة لجيش التحرير الوطني.

- تنظيم المرور ومراقبة الرخص وتحديد الطرق لقوافل التموين وحتى للأفراد.

- تنظيم ومراقبة الحراسة الشعبية و مساعدة مسؤولي الدشرة.

مسؤول التموين:

يعتبر التموين من النشاطات الاستراتيجية خلال الثورة التحريرية، حيث اعتمد عليه جيش التحرير الوطني بهدف انجاح النشاط الثوري، فلا يمكن نجاح الثورة دون سلاح أو مؤونة... الخ.

وتم تحديد الاشتراكات لدعم جيش التحرير الوطني، وبذلك كانت مهمة مسؤول التموين تتلخص في:

- جمع المؤونة وتوزيعها على مراكز جيش التحرير الوطني.

- جرد أملاك الثورة من: حبوب مواد غذائية وحبوب وغيرها.

مسؤول الدشرة: من المهام التي أسندت لمسؤول الدشرة نذكر:

- جمع الاشتراكات والتبرعات والزكاة.

- تنظيم الحراسة الشعبية.

- مراقبة الخونة والمشبوهين وتحركات العدو.

- تأمين مأوى جيش التحرير الوطني.

- تحضير قوافل التموين والسهر على حفظ المؤونة.

- توزيع المنح العائلية على أسر الشهداء والمجاهدين.

- حل المشاكل بين الأفراد والعائلات المتنازعة.

كل هذه الرتب التابعة لجيش التحري الوطني كان يهـدف نشـاطها إلى توجيه الشعب وتجنيدهم لصالح الثورة.

وقد عملت جبهة التحرير الوطني على حشد الجماهير الشعبية للالتفاف حول الثورة من خلال العديد من الوسائل والأساليب، من بينهـا المظـاهرات الشعبية، التي أثبتت نجاعتها في دعم القضية الوطنيـة إدراكـا منهـا لمـدى أهمية البعد الشعبي في إنجاح الثورة الوطن وخارجه.

كما عمل وفد جبهة التحرير من خلال إذاعة صوت العرب بالقاهرة عـلى دعوة الجماهير الجزائرية للقيام بواجب الجهاد في سـبيل الـوطن، وحـاول إقناع الشعب الجزائري بمبادئ الثورة وأهدافها وتكذيب ادعاءات السـلطات الاستعمارية وأجهزتها الإعلامية والدعائيـة، قصـد احتضـانها مـن جميـع شرائح المجتمع عن طريق نشر البيانات والنداءات المختلفة ولقد اسـتطاعت هذه الإذاعة أن تعطي نفسا جديدا للثورة الجزائرية، وأن تعمق وجودهـا في نفوس الجماهير الجزائرية، ومثال ذلـك توجيـه العديـد مـن الرسـائل إلى الشباب الجزائـري المقـيم بفرنسـا تـدعوهم فيهـا للانضـمام إلى الجبهـة ومساندتها بكل الوسائل الممكنة[10].

اعتمدت جبهة التحرير الوطني على المسرح والسينما للتعبير عن الثـورة واستغلتهما كفضاء جامع للفنانين الجزائريين للتعبير عن رسالة الثـورة، في مواجهة الاحتلال الفرنسي وهي فرصة أتيحت لهم لأداء أدوارهم التعريفيـة والتعبوية عن طريق الكلمة المباشرة والتي عبرت بهدف وعمق عـن معانـاة الشعب الجزائري ودعوته للانضمام إلى الثورة ومؤازرتها.

وبالتالي يمكننا أن نقول بكل روية أن المحافظون السياسيون قد تمكنوا من شحذ همم المواطنين ودفعهم للالتفاف حول الثـورة، وبعـدما أصـبحوا مسؤولين على إذاعة ونشر أخبار وأوامر جبهة التحرير ومطبوعاتها، وأدركت

سلطة الاحتلال أهمية الخطر الذي بات يشكله المحافظون السياسيون عليها، من حيث تأثيرهم الإيجابي على تماسك صفوف الثورة، وهو ما يجعل مهمة التأثير على المدنيين من طرف سلطات الاحتلال لاستمالتهم لتوظيفهم في مهمات تضر بسير حركة الثورة أمرا مستبعدا وبل بعيد المنال.

- الخاتمة:

يمكننا من خلال هذا العرض المقتضب أن نبين واقع الاستعمار الفرنسي وسياسته حيث كتبت جريدة المنار في هذا السياق قائلة: "فالنظام الاستعماري قائم على أسس واهية لا تعتمد إلا على القوة الوحشية وهي لا تدوم، وهو عاجز عن فرض نفسه على العقول بالقوة المنطقية وسريع الانهزام أمام مقتضيات العقل.

فمن الوجهة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فالنظام الاستعماري هو عين الفوضى لخلوه من التوازن وعدم اعتماده على مقياس صحيح: ففي الجزائر لم يراع فيها معاملة سكان البلاد، فأقام امتيازات تستند إلى العنصرية حتى أداه ذلك إلى تسوية مليون فرنسي بعشرة ملايين عربي.

ومن الوجهة الروحية فالنظام الاستعماري إنكار للحقائق الروحية إذ ينتج عنه الباطل والظلم والاستعباد والحقد والعنف.

لكن جبهة التحرير تمكنت بفضل قياداتها رغم كل الادعاءات والممارسات والمغالطات الاستعمارية من كسب انضمام الشعب إلى مشروع الثورة، وذلك من خلال تعبئة الشعب وتنظيمه وتوظيفه في هيئات الثورة، وتحديد مهامه كل ذلك شكل سندا حقيقيا للأداء الثوري وبالمقابل سهام في الدعم اللوجستيكي من خلال المشاركة المالية والاعلامية والدعائية.

ولعل مرحلة الثورة وتداعياتها يمكن القول حولها إنما هي تبدل في نفسية الجزائري الذي رفض الخنوع لسياسة المستعمر، فغير سياسته واستراتيجيته التي أضاءت له ما حوله، وكشفت عن مؤامرات ودسائس دبرت في الخفاء حتى يكون التخطيط ناجعا والجرم أكبر.

فجاءته بالتالي مرحلة الانعطاف التي عبر عنها المؤرخون: "أنه هناك في التاريخ شيء اسمه (نقطة الانكسار) وهي تصيب الأفراد وتصيب الجماعات، ترغمهم على أن يتمردوا في لحظة من اللحظات حتى وإن بدا تمردهم يائسا".

ومهما يكن من أمر فإن التاريخ محطات زمنية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يأتي عليها كلها ولكن يكفي أن نشير إلى بعضها حتى نعبر أن نكاد نعبر عن جلها.

- قائمة المراجع:

- أحمد حمدي، الثورة الجزائرية والإعلام دراسة في الإعلام الثوري، وزارة الثقافة، الجزائر، **2007**م.
- أحسن بومالي، استراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى (**1954**-**1962**م)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، **1984**م.
- الطاهر الزبيري، نصف قرن من الكفاح مذكرات قائد أركان جزائري، ط**1**، الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، **2011**م.
- بسام العسلي، الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر، ط**2**، دار النفائس للنشر، بيروت، **1986**م.
- محمد عباس، النخبة والغاشي، مشكلة النخبة المستلبة، منشورات مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، **2004**م.

- محمد بوضياف، التحضير لأول نوفمبر **1954**م، ط**2**، دار النعمان، الجزائر، **2011**م.
- منظمة المجاهدين، النصوص الأساسية لثورة نوفمبر **1954**م، منشورات، الجزائر.
- كركب عبد الحق، التنظيم السياسي والإداري لجبهة وجيش التحرير الوطني وانعكاساته على مسار الثورة الجزائرية بمنطقة سيدي بلعباس (**1954-1962**م)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية في شمال افريقيا، ع**2**، مج**3**، سنة **2020**م.
- قندل جمال، إشكالية تطور وتوسع الثورة الجزائرية **1954-1956**م، ج**2**، وزارة الثقافة للنشر، د. ت.
- عبد القادر نور، الإعلام عبر الوسائل السمعية للثورة الجزائرية، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر**1954**.
- عمار بن عودة: تصريح لجريدة الخبر يوم: **11/12/2014**م، ع**7639**.
- Lacouture, Jean, Cinq Hommes Et La France, ed la seuil, paris, **1961**.

- الهوامش:

1- في حديث لرجال السياسة الفرنسيين الذين قابلهم أنداك في باريس، وبخاصة "جاك سوستيل" والذي الذي ارتبط معهم بعلاقات شبيهة بالصداقة.

2- Lacouture, Jean, Cinq Hommes Et La France, ed la seuil, paris, **196**, p **315**. أنظر كذلك محمد عباس، النخبة والغاشي، مشكلة النخبة المستلبة، منشورات مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، **2004**م، ص**21**.

3- منظمة المجاهدين، النصوص الأساسية لثورة نوفمبر **1954**م، منشورات أناب، الجزائر، **2016**م، ص**9**.

5- كركب عبد الحق، التنظيم السياسي والإداري لجبهة وجيش التحرير الوطني وانعكاساته على مسار الثورة الجزائرية بمنطقة سيدي بلعباس (**1954-1962**م)، مجلة العبر للدراسات التاريخية و الاثرية في شمال افريقيا، ع**2**، مج**3**، **2020**م، ص**350**.

5- قندل جمال، إشكالية تطور وتوسع الثورة الجزائرية **1954-1956**م، ج**2**، وزارة الثقافة للنشر، **2013**م، ص**174**.

6- التعريف ببيان أول نوفمبر **1954**م: وهي وثيقة أصدرت الجماعة التي اضطلعت بتفجير الثورة التحريرية الجزائرية، في الفاتح من نوفمبر **1954**م، تزامن خروجها مع العمليات الأولى للثورة التحريرية، سواء داخل الوطن أو خارجه؛ فلقد كُلف محمد بوضياف، المنسق بين الداخل والخارج، بنقل هذه الوثيقة إلى القاهرة أين الوفد الخارجي للثورة، أين قام أحمد بن بلة من الوفد الخارجي للثورة بتلاوتها في الإذاعة المصرية بالقاهرة، وقد كان تأثير البيان حاسما لأنه يؤكد على قوة الحركة الشعبية كحركة واحدة لا تتجزأ، تحت لواء جبهة التحرير الوطني، كواجهة تمثل الشعب وتنبع منه، لا تقصي أحدا، ويعتبر الانضمام إليها تعبيرا عن إرادة الشعب في التحرر، أنظر: محمد بوضياف، التحضير لأول نوفمبر **1954**م، ط**2**، دار النعمان، الجزائر، **2011**م، ص**69**؛ الطاهر الزبيري، نصف قرن من الكفاح مذكرات قائد أركان جزائري، ط**1**، الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، **2011**م، ص**26**.

7- أحسن بومالي، استراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى (**1954-1962**م)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، **1984**م، ص**10**.

8- أحمد حمدي، الثورة الجزائرية والإعلام دراسة في الإعلام الثوري، وزارة الثقافة، الجزائر، **2007**م، ص**38**.

9- بسام العسلي، الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر، ط**2**، دار النفائس للنشر، بيروت، **1986**م، ص**103**.

10- عبد القادر نور، الإعلام عبر الوسائل السمعية للثورة الجزائرية، الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر**1954**م، الجزائر، **24** و**25** سبتمبر **2009**م، ص**213**.

الطالب العربي قمودي واستراتيجية الثورة الجزائرية في منطقة الحدود الشرقية الجنوبية (1955-1957م)

✍ الأستاذ الدكتور: عبد الله مقلاتي

مدير مخبر تاريخ الثورة الجزائرية

- الملخص:	- Summary:
يتناول هذا المقال المسار النضالي والجهادي للشهيد الطالب العربي، الشخصية السوفية والوطنية المجهولة، وذلك على الرغم من دورها الفعال في قيادة الثورة وتنظيمها على جبهة الحدود التونسية، حيث نهض بالتجنيد وإنشاء القواعد الخلفية وتمرير السلاح وربط الاتصالات، وكان له موقف من الصراع الناشب بين قيادة الثورة في الداخل وقيادة الثورة في الخارج، حيث وقف إلى جانب الوفد الخارجي في معارضة لجنة التنسيق والتنفيذ، وهو ما تسبب في محاكمته واغتياله،	This article deals with the struggle and jihad path of the etaleb Arabi martyr, the unknown Soviet and patriotic figure, despite her effective role in leading and organizing the revolution on the Tunisian border front, as he promoted recruitment, establishing rear bases, passing weapons and linking communications, and he had a position on the conflict between the leadership of the revolution At home and leading the revolution abroad, as he stood by the external delegation in opposition to

وهـــذا المقـــال يحـــاول إبـــراز الاســـتراتيجية الثوريـــة القياديـــة للرجل، والإجابة عن بعض المواقـف الملتبسة في مساره الثوري وخاصـة معارضته للجنة التنسيق والتنفيذ.	the Coordination and Implementation Committee, which caused his trial and assassination, and this article tries to highlight the man's leading revolutionary strategy and answer some ambiguous positions in his revolutionary path, especially his opposition to the Coordination and Implementation Committee.
– الكلمات المفتاحية:	- Keywords:
الطالب العربي؛ الثورة الجزائرية؛ تونس؛ جبهة وجيش التحرير الجزائري.	etaleb Arabi; the Algerian revolution; Tunisia; the Algerian Liberation Army and Front.

– مقدمة:

الطالب العربي شخصية ثورية كان لها دور بارز خلال المرحلة الأولى من الثورة التحريرية، وخاصة في تنظيم خلايا الثورة بواد سوف وقيادة الجبهة الحدودية التي أنيط بها عدة مهام استراتيجية، تمثلـت في تمريـر الأسـلحة والتنسيق مع حركة المقاومة التونسية... الخ، ولا شك أن جوانب غامضة مـا زالت تلف نضال الرجل ومواقفه، وتحجب الأدوار التـي قـام بهـا في قيـادة جبهة الحدود الجنوبية، واعتمادا على المصادر المتعددة الشـفوية والمكتوبـة نحاول إعادة الاعتبار لهذه الشخصية القيادية؟ وتوضـيح بعـض مواقفـه الملتبسة واستراتيجيته في قيادة الثورة في قاعدة تونس الحيوية.

- أولا: الطالب العربي ومساهمته في تجنيد سكان سوف للثورة:

ولد العربي قمودي المعروف بالطالب العربي خلال عـام **1923**م بـأولاد أحمد بالبياضة إحدى ضواحي مدينـة وادي سـوف، نشـاء يتيمـاً في أسرة فلاحية محرومة، ودخل الكتاب لحفظ القرآن الكريم على يد الشـيخ غربـي الطلب الصغير بقرية أولاد أحمد، وانتقل إلى نفطة التونسية لمواصلة الدراسة وعاد إلى الوادي لإعالة أسرته، انخرط مبكرا في حركة الإصلاح رفقـة الإخـوة الشهيد شوشان سلطاني، تواتي أحمد مصطفى، وميهي بشير المدعو محمد بالحاج، وعاد إلى تونس ليستقر سنة **1952**م في العمـل بمـنجم الفوسـفات بمدينة الرديف، انخرط في الاتحاد العام التونسي للشغل وارتبط بالمناضـلين التونسيين، وبفضل أجواء النضال التونسيـ ازداد وعيـه الـوطني وبغضـه للسياسة الفرنسية، وكان ذلك ممهدا لتجنده في المقاومة التونسية مع بعض أقرانه السوافة، فقد كان يكن كرها مقيتا للعـدو ويرهـب لـداعي الوطنيـة والجهاد، وساعدته تجربته التونسية في تكوين شخصـيته وإثـارة الحميـة الوطنية[1].

كان الطالب العربي ثوريا حتى النخاع، لما سلم التونسيون السلاح فكـر في الثورة بالجزائر، فربط اتصالات وثيقة مع القادة الجزائـريين في الـداخل والخارج، وقد انشأ بالرديف خلية سرية مع **12** من رفاقه، في انتظار اتضاح الرؤية وربط الاتصال بالأوراس، وقسم أعضاء الخلية على ثلاثة أفواج ووزع عليهم المهام كما يلي:

- فوج للدعوة إلى الثورة برئاسة المكي بن علي.

- فوج كلف بجمع الأسلحة أسندت رئاسته إلى المولدي بوغزالة.

- فوج كلف بالتموين وعين على رأسه علي الباهي.

ودخل الطالب العربي ناحية الوادي بهذه التشكيلة، وتمكن من تأسيس عدد من خلايا جبهة التحرير الوطني بكل من البياضة وحاسي خليفة والوادي ذاتها، حيث جدد الاتصال بالمناضل القديم محمد بالحاج ميهي العضو السابق في "المنظمة الخاصة".

واثر انطلاق الثورة اتصل العربي بقيادة الأوارسي، وقد كلفه ابن بولعيد وشيحاني بشير بتأسيس الخلايا المدنية للجبهة بمدينة سوف ونواحيها، والقيام بنشاط تعبوي للتعريف بالثورة وجمع المال والسلاح لها، وتحضير مراكز التموين للنشاط العسكري بمناطق بادية الصحراء[2]، وكانت استراتيجية قيادة الأوراس تقوم على الحفاظ على منطقة سوف هادئة تتكفل بمهمة نقل السلاح الحيوية، وفعلا أسهم الطالب بتأدية عدة مهام لتموين الثورة في الأوراس بالمؤونة والسلاح، وفي عام **1955**م اكتشفت السلطات الفرنسية نشاطه فأنتقل إلى جبل الرديف بالجنوب التونسي- للشروع في النشاط العسكري.

عمل الطالب تحت مسؤولية الجيلالي، وفي عام **1955**م التقى ومسؤوله في جبل أم الكماكم قادة الأوراس ومنهم لغرور وشيحاني وسيدي حني، وقد كلفا بإنشاء قيادة الحدود التونسية – الجزائرية، وطلب منهما شيحاني أداء مهمتين أساسيتين:

– شراء المتوفر من الأسلحة لدى المواطنين التونسيين ونقلها إلى الأوراس.

– تفعيل مشروع "جيش تحرير المغرب العربي"، بالتنسيق مع الثوار التونسيين الذين رفضوا تسليم أسلحتهم في إطار الاتفاق المبدئي حول "الاستقلال الداخلي"[3].

ونهض الطالب العربي وقيادة الحدود بمهام جسورة في ميدان نقل الأسلحة وربط الاتصال مع قيادة الخارج والثوار التونسيين، وقد تكفل

الطالب العربي بنقل الأسلحة وبحراسة قوافل نقل الأسلحة عبر المنطقة الخامسة من الولاية الأولى، وهناك خاض العديد من المعارك، حيث كانت المجابهة محتدمة مع القوات الفرنسية المرابطة في الجنوب التونسي، ومنها معركة الدبيدببي الشهرة التي استشهد فيها سي الجيلالي في **21** أكتوبر **1955**م ليتولى القيادة بعده الشيخ صالح الرشاشي ولكن لمدة شهرين حيث استشهد كذلك. وخلفه الطالب العربي في قيادة هذا الجيش[4].

- ثانيا: قيادة الطالب العربي لجيش الحدود بالجنوب التونسي:

في بداية سنة **1956**م تولى الطالب العربي قيادة الجيش فعليا، وقد اتصل بالقيادة في الأوراس وهناك تم تعيينه على رأس قيادة الجيش من طرف القائدين عباس لغرور وشيحاني بشير في المنطقة الجنوبية الشرقية وخاض بهذا الجيش الذي تجاوز تعداده **950** جندي عدة معارك طاحنة طيلة سنتي **1956-1957**م، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر معارك: جبل بو هلال، زاريف، شعبة القصب عين طاهر والخنقة.

بعد توليه مسؤولية قيادة جبهة الحدود بادر عباس لغرور -أحد قادة المنطقة بالنيابة- بتثبيته في منصبه، كقائد سياسي وعسكري لكامل الجنوب الشرقي التونسي وكانت المهمة الأساسية للوحدات التي يشرف عليها هي حماية قوافل السلاح القادمة من ليبيا عبر الجنوب التونسي، وتفعيل مشروع الوحدة مع اليوسفيين، وكان لغرور مواليا لابن بلة الذي يتحكم في ملف التسليح انطلاقا من ليبيا والجنوب التونسي، والذي كان يعارض سياسة قادة مؤتمر الصومام الذين فضلوا التحالف مع بورقيبة، وكان الطالب العربي يعرف انه أصبح يمثل رقما مهما في الصراع المستشري بين قادة الداخل والخارج باعتباره جزء من نظام الثورة في تونس المعتمد على أنصاره السوافة عبد الحي وهالي[5].

ويبدو أن الطالب العربي استفاد من اضطراب أمـور القيـادة بمنطقـة الأوراس النمامشة لا سيما بعد استشهاد بن بولعيد، فاستقل بإدارة شؤونه، وأصبح يتعامل مع بن بلة ومساعديه مباشرة. بل دعم مركزه بعـد أن لجـأ إليه العديد من جنود النواحي المضطربة في المنطقة، وأصبحت قواته تنـاهز الألف جندي موزعة على ثلاث كتائـب، مقسـمة بـدورها إلى عـدة فصـائل وأفواج، ومنتشرة بجهات مختلفة[6].

وقد أنشأ الطالب العربي العديد من مركز الجيش والتموين على طـول الحدود التونسية، وجند أعدادا كبيرة من الشبان حتى بلغ تعداد جيشه ألف مجاهد، وربط الاتصال بقيادة الأوراس، اشتهر الطالب العربـي بشـجاعته وحنكته التي أضفت عليه سمة البطولة.

وقد طبق استراتيجية عسكرية دقيقة تمكنه مـن تفعيـل دور جيشـه، وتقوم هذه الخطة على تقسيم الجيش الى كتائـب صـغيرة وتوزيعهـا عـلى جهات مختلفة، تكون المسافة بين مركز كتيبة وأخرى متسـاوية وفي شـكل دائري حول مركز القيادة، وهو ما يمكن تسهيل مراقبتهـا والاتصـال بهـا ونجدتها، وتتحرك هذه الكتائب من مركز إلى آخر تداوليا في مـدة معلومـة، وبذلك فهي تقوم بحركة دائرية وتكون في نشاط دائم، وخطة التوزيع هـذه تكتيك عسكري يهدف لتحقيق أغراض متعددة، منها توزيع وحدات الجيش في نقاط بعيدة خشية مباغتتها وهـي في مركـز واحـد، وتنشـيط مختلـف الكتائب في الهجوم على مراكز العدو وتوفير السـند الخلفـي لهـا مـن قبـل الكتائب المجاورة، واثبات وجود جيش التحرير عبر كامل ربـوع الصـحراء المتباعدة وهذا يبعث الذعر في قلب العدو، وتأكيد حسن إشرافه عـلى مراكـز التموين والإسناد الخلفية.

وفضلا عن ذلك كان الطالب يهتم بالعنصر- الرئيسي- في الجيش وهو الجندي، يرعى شؤونه ويتواضع أمامه، ويتفقده ويحاوره ويحل مشاكله، وقد كان يقول دائما: "إن الجندي هو رأس مال الثورة ودرعها الحصين، وعلى المسؤول أن يهتم بهذا الجندي فيعطيه حقه من العناية والرعاية والتقدير وأن يكلفه بما يحسنه ويستطيعه في حدود قدرته وخبرته، وان يضعه في مكانه حتى يؤدي هذا الجندي مهمته كاملة غير منقوصة وبذلك تنتصر الثورة..."[7]، وقد ساعده تواضعه ورعايته لشؤون جنوده من اكتساب تقدير واحترام الجنود، والحفاظ على تماسك وحدة جيشه عكس ما حدث في جهات أخرى في النمامشة وسوق اهراس مثلا، وقد كانت أغلب مشاكل جيش الحدود بعد ذلك سببها عدم الاهتمام بمشاكل الجنود والتعالي عليهم من قبل الضباط ومركزتهم في ثكنات من غير نشاط، وهكذا يبدو لنا أن شخصية الطالب العربي القيادية التي اكتسبها بخبرته واجتهاده كانت نموذجا في التسيير الحكيم والقيادة الرشيدة، وهو ما أعطى الرجل شهرة واسعة جعلت بعض جنود المناطق الأخرى يلتحقون بجيشه ويتمسكون بقيادته على الرغم من الدعاية والملاحقة التي تعرض لها من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ والسلطات التونسية[8].

لقد خاض جيش الطالب العربي معارك ضارية على طول الشريط الحدودي، أقلقت هاجس الجيش الفرنسي- في هذه المنطقة الصحراوية، وجعلته يبقي قوات كبرى بمراكز الجنوب التونسي تتصدى لخطر الثوار بالجنوب، وقد بلغ تعداد المعارك والاشتباكات التي خاضها أو اشرف عليها الطالب العربي نحو سبع وأربعين معركة واشتباك[9]، وهو ما أعطى للرجل شهرة واسعة ولجبهته مكانة في استراتيجية الثورة التحريرية.

- ثالثا: دور الطالب العربي في تنسيق العلاقة مع اليوسفيين ونقل الأسلحة إلى الأوراس:

كان الطالب يقود منطقة استراتيجية، تتصل بالجنوب التونسي- حيث المعارضة اليوسفية وطريق مرور السلاح، وبالتراب الليبي حيث قادة الثورة، وكذا بمنطقة الأوراس، وقد حمل قائدها لغرور الطالب العربي مسؤولية إنجاح العلاقة مع اليوسفيين في مناطقهم الرئيسية في الجنوب[10].

وكان يقود قوة ضاربة ومدربة، تقديرها يصل الى **1200** جنديا وقاعدة عريضة من المدنيين داخل التراب الجزائري وفي تونس، وكان جيشه منظما، وموواليا للقائد، ومتشبع بعقيدة ثورية تدعوا للحفاظ على مبادئ الثورة الأولى ومنع المنحرفين من تحقيق أغراضهم.

ومثل الطالب العربي حلقة الوصل الأساسية بين قاعدة ليبيا وتونس ومنطقة الأوراس، وطبق استراتيجية التحالف والتنسيق المغاربية مع جيش التحرير التونسي بتوجيه من لغرور وابن بلة، وقد حقق نتائج مهمة في مجالات حيوية نذكر منها:

1- التنسيق مع اليوسفيين في نقل السلاح:

تشير المصادر الشفوية أن الطاهر لسود اعتمد ثوار الحوايا في نقلها من ابن قردان إلى داخل تونس والى الحدود الجزائرية، وتطلب الأمر سرية تامة خاصة أمام تزايد رقابة القوات الفرنسية وحكومة بورقيبة[11]، وتشير تقارير الاستخبارات الفرنسية إلى النشاط المتزايد لمهربي الأسلحة عبر الجنوب التونسي، وتؤكد تورط قبائل مجاورة للحوايا في أنشطة التهريب[12]، وتتحدث عن اكتشاف حالات كثيرة، وعن إمعان مجموعات التهريب في المراوغة باستبدال مسالك المرور[13]، وقد تداولت الصحافة الفرنسية أخبار حركية تهريب الأسلحة وأشارت إلى هولها[14]، وعليه فان العمل الممهد

بتعاون المناضلين التونسيين ساهم في دعم قدرات الثورة الجزائرية، وفتح طريق الشرق أمامها.

2- تنسيق العمل العسكري:

تتحدث تقارير الاستخبارات الفرنسية عن المجموعات المختلطة التونسية الجزائرية بإسهاب[15]، ويقر بعض الباحثين التونسيين بتشكل فرق مختلطة دون توضيح طبيعتها[16]، والحقيقة أنه تم الترويج آنذاك لوحدة النضال المشترك ولالتحام المقاومتين في جيش واحد دون أن يقع ذلك رسميا، لكن الذي تجسد هو دخول مجموعات من فرق جيش التحرير الجزائري للتراب التونسي قصد تمرير الأسلحة بالتنسيق مع وحدات جيش التحرير التونسي، وأدى تواجدها ومشاركتها في بعض المعارك إلى التباس الأمر على الفرنسيين، كما دعمت وحدات جيش التحرير التونسي- بعناصر جزائرية جندت داخل تونس أو أرسلت من داخل الوطن، وكذا بمقاومين تونسيين تجندوا في صفوف الثورة وأعيدوا لإسناد المقاومة التونسية[17].

ويبدو أن حركة التضامن والتنسيق المشترك في هذه المرحلة ألبست كثير من الأمور حيث كانت الوحدات التونسية تلجأ إلى داخل الجزائر، وتخوض أحيانا معارك مشتركة وهي تركز ضغطها على الشريط الحدودي[18]، وارتكز مجال عمل الفرق التي يقودها الطالب العربي في الحدود الجنوبية وداخل العمق التونسي، وبدا تنسيقه أمتن من الجبهات الشمالية التي جعلت من الشريط الحدودي ملجأ ومسلكا للتموين، وهكذا يتضح لنا أن مجالات التنسيق العسكري ارتكزت على التعاون بين الطرفين وتقديم المساعدات اللوجستيكية، ودون أن يتكرس مشروع وحدة عسكرية شبيهة بتلك المجسدة في الحدود الغربية بين جيش التحرير المغربي وجيش التحرير الجزائري.

3- التمركز والدعم اللوجستيكي:

أبقت اتفاقية الاستقلال الداخلي على تواجد فرنسي- كثيف في الجنوب والغرب التونسي لكن ذلك لم يمنع مرور وتمركز وحدات جيش التحرير الجزائري على طول الحدود وداخل العمق التونسي، إذ أفادت مرحلة الكفاح المشترك هذه في تركيز قواعد الثورة الجزائرية وتوفير الدعم والإسناد الشعبي لها سواء من قبل التونسيين المتضامنين بسخاء أو الجالية الجزائرية بتونس، وأنشأت العديد من الخلايا المدنية المكلفة بالتعبئة والدعم والاتصالات فضلا عن الخلايا التي كانت تدعم جيش التحرير التونسي- والمجاهدين الجزائريين[19]، وقد واصلت الجيوش الفرنسية ملاحقتها واعتداءاتها على السكان في هذه المناطق، وأعلنت أنها اكتشفت منظمة سرية تسمى «السيف الأسود» تقوم بأدوار الدعاية وجمع الأموال والمئونة والاستخبار لصالح ثوار الجزائر[20]، وقد أوكلت كذلك مهمة التموين والتسلح لمجموعات من جيش التحرير الجزائري تتحرك على طول الشريط الحدودي، وذكرت التقارير أنها رصدت تحرك هذه الوحدات وتصدت لها ،ونبهت إلى خطر تزايد نشاط الثوار في منطقة الحدود، واقترحوا على السلطات التونسية إفراغ هذه المنطقة من سكانها حتى يتم تطهيرها من الثوار الجزائريين ومعاونيهم التونسيين[21].

ويتأكد لنا أن مجالات التنسيق المشتركة ارتكزت على تسليح وتموين الثورة الجزائرية في الداخل، وتنسيق العمل المشترك لتقوية الجبهة التونسية، وقد تركزت فرق جيش التحرير التونسي- في الجنوب والجنوب الغربي التونسي، ولم تغط الحدود الغربية الشمالية لقوة نفوذ أنصار بورقيبة هناك، وارتكزت وحدات جيش التحرير التونسي في شط الجريد والجنوب حيث القرب من مصادر التسليح والاحتضان الشعبي وميدان التنسيق مشرع مع

الطالب العربي قائد منطقة سوف الذي فوضه عباس لغرور بتحمل عبئ إنجاح العلاقة مع الثوار اليوسفيين في الجنوب.

وقد واجهت صعوبات كثيرة العمل التنسيقي بين الحليفين، بعضها خاص بهما والبعض الآخر نطاقها خارجي، لقد ارتمى قادة الأوراس في خيار التحالف الاستراتيجي الذي ألح عليه ابن بلة والمصريون، واتبع الطالب العربي هذا الخط الثوري[22]، وفضلت قيادات أخرى الحياد عن النزاع التونسي حماية لمصلحة الثورة ،وخلف الصراع بين البورقيبيين واليوسفيين آثاره الجانبية على الثورة الجزائرية ،خاصة أمام تزايد نفوذ سلطة بورقيبة، إذ حدثت مناوشات بين الفرق الجزائرية والقوات الموالية للسلطة، واتهم الجزائريون بمساندة العناصر اليوسفية، واغتيل بعض المسؤولين الجزائريين خطئا من قبل العناصر اليوسفية في تلك الفتنة، ومنهم نائب الوردي قتال المدعو عبد الحميد زروال[23]، كما أن بعض الشكوك بوجود مخبرين يتعاملون مع الفرنسيين أدت بالقادة الجزائريين للاحتراز من بعض العناصر اليوسفية[24]، وأفضت هذه الشكوك إلى تردي العلاقة مع اليوسفيين، وأسهم استقلال تونس وتراجع قدرات المقاومة، وظهور الخلافات في اضمحلال جيش التحرير التونسي- واستسلام أفراده أو انضوائهم في صف الثورة الجزائرية.

وقد كان لمجرد الإعلان عن الاستقلال والدعاية التي صاحبت ذلك وقعه المؤثر على المقاومة، لكن ذلك لم يمنع جيش التحرير التونسي- من الحفاظ على تماسكه وعلى عقيدة التحرير الشامل من الضمور[25]، ونسجل أن حدثا مهما اثر على وحدة جيش التحرير التونسي تمثل في استسلام قائده الطاهر لسود يوم **3** جويلية **1956**م، وذلك اثر خلافات حادة بينه وبين صالح بن يوسف في طرابلس، إذ ظهرت شكوك للطاهر لسود حول المسؤول العسكري في قاعدة طرابلس عبد العزيز شوشان، واختلف مع صالح بن يوسف في

خطة العمل العسكرية، وقد يكون اقتنع بعدم جدوى المقاومة وبضعف موقف صالح بن يوسف[26]، وقد بذل المسؤول الجزائري في طرابلس بشير القاضي جهودا كبيرة لراب الصدع بينهما دون جدوى[27].

وعلى الرغم من ذلك واصل جيش التحرير التونسي كفاحه تحت قيادة صالح بن يوسف وبعزيمة بدأت تفتر، إذ نقرأ في رسائل صالح بن يوسف إلى قادة فرق الجيش نبرات ملحة للاستمرار في المقاومة ليس من اجل تصفية بقايا الاستعمار في تونس ووضع حد لتحرشاته بل من أجل مساعدة الجزائر[28].

وخلال صيف **1956**م ازدادت ضغوط السلطات التونسية على حكومة ليبيا لطرد صالح بن يوسف وتفاقمت إغراءاتها لاستسلام المقاومين واحتواء المسؤولين الجزائريين في تونس، وحاول صالح بن يوسف تغيير استراتيجية المواجهة الضاغطة، فطلب من فرق جيش التحرير الانتقال إلى الوسط والشمال الغربي والاحتكاك بالثورة الجزائرية[29]، وفي نهاية عام **1956**م شاب علاقات الثورة الجزائرية بالمجموعات اليوسفية فتور ملحوظ تكشف الشهادات بعض جوانبه، فإضافة إلى ضغوط بورقيبة على قادة الثورة الجزائرية في تونس للكف عن التعامل مع اليوسفيين طالب القادة الجزائريون من المجموعات الملتحقة ومنها مجموعة السعيد شيبة توزيع عناصرها على مختلف المناطق، ولم يرض المقاومين التونسيين بذلك لأن فيه ضعفهم وتشتتهم ففضلوا تسليم أنفسهم[30]، ولجأ كثير من قادة جيش التحرير الجزائري للاشتراط على الملتحقين رخصا من السلطات التونسية، واستغرب صالح بن يوسف هذا الأمر[31]، وأوضح في رسائله أن لجيش التحرير التونسي هدفا وطنيا مقدم على دعم الجزائر، وأنه يأمر بعدم الالتحاق بالثورة الجزائرية[32].

وقد فسر مسؤول الجبهة في تونس اشتراط الحصول على رخص حكومية على الملتحقين بالثورة انه جاء في وقت متأخر، وخلال حملة التطوع المؤطرة حكوميا، وفي إطار سياسة جديدة فرضت على الجزائريين من قبل حكومة بورقيبة، وأنه اجتهد في التلاؤم معها[33]، وقد رفض لغرور والطالب العربي الخضوع لهذا الأمر وعدوا ذلك خيانة للمبادئ المتفق عليها، وتبنى بعض القادة حلولا وسطا، وتوسطوا لدى السلطات التونسية لاستسلام بعض الفرق حسب شهادة غرس الله المحضاوي، والذي يؤكد أنها منحت أسلحتها الجيدة للجزائريين[34]، وفي حين تمكنت السلطات التونسية من مراقبة الوضع في الشمال وأذنت لكثير من العناصر بالتطوع في صف الثورة الجزائرية ظلت مشكلة تعنت الطالب العربي تؤرقها، خاصة وأنه ضم إليه عناصر يوسفية مطلوبة، ومنهم الطاهر بالأخضر الغريبي والمبروك زغدود، ورفض تسليها رغم انتقادات بورقيبة المتكررة[35]، ولذلك طلبت هذه السلطات بإلحاح من لجنة التنسيق والتنفيذ إنهاء مشكلة الطالب العربي.

- رابعا: معارضة الطالب العربي للجنة التنسيق والتنفيذ:

بعد اعتقال ابن بلة ورفاقه في **22** أكتوبر **1956**م أعلن محساس معارضته للجنة التنسيق والتنفيذ في تونس، واستعان بقادة الحدود لإنجاح معارضته، وكان الطالب العربي بقوته الضاربة يمثل قطب معارضة رئيسي، إضافة الى تأييده لوجهة نظر محساس "البنبلية" فإنه لم يخرج عن أوامر قيادته المباشرة التي كانت تمثلها سلطة لغرور في الأوراس كما كان لتأثير القادة السوافة (السعيد عبد الحي وهالي عبدالكريم) في نظام الثورة بتونس دور في بلورة موقف طالب العربي المعارض لقيادة الصومام الجديدة[36].

لقد حضر الطالب العربي اجتماعات محساس الرئيسة مع قادة وحدات جيش الحدود، خاصة منها الاجتماع الذي عقد في ديسمبر **1956**م بمدينة

فوسانة التونسية، وحضره قادة الحدود المعارضون لمؤتمر الصومام، والذين أصدروا بيانا يدعوا لرفض بعض مقررات الصومام، وللتمسك بالقيادة السابقة ورفض التعامل مع مبعوثي قادة الداخل[37]، وقد ظل الطالب العربي يأتمر بتوجيهات القيادة في الأوراس وتونس، ويكن معارضة شديدة لبعض قرارات الصومام، وتذكر بعض الشهادات أن لزهر شريط عقد اجتماعا في الثلاثي الأول من عام **1957**م مع الطالب العربي وسليمان لاصو ومسعود بن عيسى، في منطقة شعبة لقصب بالجبل الأبيض، ودار أساسا حول قرارات مؤتمر الصومام التي تعطي الأولوية للسياسي على العسكري، وان الجميع نبه لخطورة الأمر حتى أن مسعود بن عيسى أعلن خروجه عن طاعة الثورة من يومها[38]، وإذا كان سليمان لاصو قد تصالح مع قادة الثورة الجدد فان مصير الآخرين كان المعارضة الى أن لقوا حتفهم، فهل كانوا أكثر الناس إحساس بخطورة ما يحدق بالثورة نتيجة الحيد عن مبادئ أول نوفمبر **1954**م أم أنهم كانوا واقعين تحت تأثير دعاية مبالغ فيها ضد قادة مؤتمر الصومام ومبادئهم الجديدة؟

وقد ظل بن عيسى يتواصل مع الطالب العربي الى غاية تعرضه للأسر، حيث تشير بعض الشهادات أنه حل على رأس دورية من الأوراس للاجتماع به في ماي **1957**م بمدينة الرديف التونسية[39]. وكان الطالب العربي يمثل مع لزهر شريط قطب معارضة عنيدا، فرغم تراجع محساس وقادة القاعدة الشرقية طوعا وكراهية فان الطالب العربي ولزهر أصرا على معارضتهما للجنة التنسيق والتنفيذ ولقرارات مؤتمر الصومام، كان الطالب العربي مثل لزهر قد رسخ في ذهنه وجود انحراف ينخر الثورة، وكان شديد التنكر للمبادئ التي جاء بها مؤتمر الصومام، ومنها أولوية السياسي على العسكري، وكان يؤمن بوحدة الكفاح في المغرب العربي ومصمم على المضي في تعاونه وتنسيقه مع اليوسفيين، وهو الأمر الذي أغضب بورقيبة كثيرا،

وتكون إرادة لجنة التنسيق والتنفيذ والرئيس بورقيبة قد اتحدت في التخلص من الطالب العربي، فحاربته معنويا من خلال اتهامه بالجهوية والتعصب وحب السلطة، وعسكريا من خلال محاصرته ومحاربة مجموعاته.

في نهاية سنة **1956**م واجه جيش الطالب العربي بالحدود مضايقة من السلطات التونسية ومن لجنة التنسيق والتنفيذ التي اتهمته بعدم الانصياع لمقررات الصومام، وقد منع من التنقل داخل التراب التونسي بأمر من قيادة الثورة الجديدة، وانتقد سلوكه بورقيبة خاصة وانه كان يشن الهجومات على الفرنسيين في التراب التونسي ويتعاون مع المعارضة اليوسفية.

وفي إطار محاصرته سعت لجنة التنسيق والتنفيذ بواسطة محمود الشريف وصالح بن علي لمنع أي تقارب بين لزهر شريط المتحصن بالجبل الأبيض وطالب العربي صاحب النفوذ في منطقة الجنوب وكسر التحالف المعنوي بينهما في خطوة أولى، إذ تشير بعض الشهادات أن محمود الشريف طلب من لزهر صراحة إلا يساند الطالب العربي[40].

وفي البدء لم تنجح مساعي المسؤولين الجزائريين ولا مطاردات السلطات التونسية والفرنسية في إنهاء مشكلة الطالب العربي، وأمسى موقفه ووفائه لمبادئ الكفاح المشترك يعد في نظر السلطات التونسية ومسؤولي لجنة التنسيق والتنفيذ تمردا.

وقد تمكن الطرفان شيئا فشيئا وكلا بوسائله الخاصة من التأثير على بعض العناصر الموالية للطالب العربي ودفعها للاستسلام، ولعل ذلك كان بسبب الإحساس بالخطأ أو نتيجة الحصار المفروض، فقد أشار محمود الشريف في إحدى تقاريره أن حوالي مائة جندي من الموالين للطالب العربي استسلموا للسلطات التونسية وأمنت أسلحتهم[41]، وتشير بعض الشهادات

أن قيادة الأوراس بعثت عبد المجيد بوصبيع لتولى المسؤولية بدل الطالب العربي، وتمكن من إقناع بعض الجنود بذلك[42].

فكر الطّالب العربي في تجنب تلك المضايقات "بالانسحاب إلى الحدود الجزائرية" الليبية، لكن مهساس أمره بالبقاء في مواقعه بالتراب التونسي، وبعد إقصاء محساس عن المسؤولية وتكليف محمود الشريف بمسؤولية ولاية الأوراس طلب منه أوعمران تسوية مشكلة الطالب العربي ولزهر شريط، وقبل ذلك كان الطالب العربي قد رفض في اجتماع بالعاصمة التونسية طلب الحكومة التونسية تسليمها الثوار التونسيين من أنصار صالح بن يوسف، وطلب أوعمران أن يلتحق بقاعدة الجبهة في تونس العاصمة مع توزيع قواته بين الولايتين الأولى والثانية.

وقد قرر الطالب العربي إبلاغ جنوده بطبيعة الخلاف بين الداخل وقيادة الخارج ولوح بتقديم استقالته كي يضع مساعديه وجنوده أمام مسؤوليتهم. لكن الجميع رفض هذه الاستقالة، واقترح عليه مساعدوه الانسحاب جنوبا إلى ناحية جانت على الحدود الجزائرية الليبية.

وفي تلك الأثناء اتصل محمود الشريف قائد الأوراس - النمامشة بواليي قفصه وسبيطلة المعنيين بانتشار وحدات الطالب العربي في مناطق نفوذهما ليقترح عليهما أحد الخيارين:

1- تكفل جيش التحرير الوطني بوضع حد لنشاط وحدات الطالب العربي.

2- وضع وحدات من جيش التحرير تحت تصرف السلطات المحلية بالولايتين، على أن ترتدي الزي العسكري التونسي عند الضرورة للقيام بالمهمة.

غير أن الواليين تحفظا على ذلك واقترحا خطة بديلة تقوم على:

1- توقيف الطالب العربي ومساعديه بوسائلهما الخاصة.

2- قطع العلاقات مع الوحدات ووقف المؤونة عنها.

3- قيام جيش التحرير بمراقبة الحدود لمنع تسلل "المشوشين" إلى الجزائر أو ليبيا.

4- إشعار الواليين بالاستعداد لذلك وتقديم متطوعين لمساعدتهما في المهمة[43].

وقد كلف نائب قائد المنطقة النمامشة صالح بن علي في فيفري **1957**م قادة النواحي الجنوبية بنقل جنودهم على متن الشاحنات الى مدينة الرديف التونسية استعدادا لمواجهة طالب العربي، وطلب من والي قفصة وضع شاحنات لنقل المجاهدين الى الرديف فوافق على ذلك، ولكن قائد مجموعة المجاهدين علي بن يونس براكتي استطاع أن يثني الجنود عن الذهاب لمحاربة إخوانهم المجاهدين السوافة[44]، وبذلك فشلت مهمة صالح بن علي في مواجهة الطالب العربي.

وفي الوقت ذاته استمرت السلطة التونسية في محاصرة جيش الطالب العربي، ففي شهر ماي وجوان تمكنت من رد دوريات التزود بالمؤونة، وازدادت وضعية الجيش الذي يعتمد الرديف قاعدة خلفية تأزما، وقد اضطرت دورية تعرضت لملاحقة السلطة التونسية لاختطاف شيخ البلدية ومعتمد بلدة تبغزة وتسليمهما للطالب العربي، والذي اشترط مقابل إطلاقهما تعهدا بعدم قطع التموين عن جيشه مستقبلا، ويبدوا أن هذه الحادثة غير محسوبة المخاطر زادت في تعقيد المشكلة أكثر، حيث نقلت السلطات التونسية امتعاضها لقيادة الثورة، وأسرعت القيادة الثورية لاتخاذ عدة مبادرات منها إرسال بعض المناضلين من الرديف ليطلبوا من الطالب العربي تسليم العناصر اليوسفية في جيشه وترك الأراضي التونسية، ولكنه لم

يتجاوب مع المطلب الأول واختار أن يرحل عن منطقة الرديف إلى منطقة نائية توفر له الحماية[45]، وكان عميروش قد أرسل بدوره من قبل أوعمران الى الرديف في جوان **1957**م من أجل إيجاد حل لمشكلة الطالب العربي، ولكن المهمة انتهت بالفشل، وذلك لاختلاف وجهات النظر ورفض الطالب العربي الاستسلام لشروط أوعمران، ودون اعميروش تقريرا رفعه للجنة التنسيق والتنفيذ[46].

وقد قرر الطالب العربي بتوجيه من مساعديه الانتقال من مركزه المحاصر إلى ليبيا[47]، ووقع انقسام في صفوف وحداته، حيث فضلت كتيبتان من كتائبه الثلاث في آخر لحظة تسليم نفسها للسلطات المحلية التونسية. كان يقود الكتيبة الأولى عبد القادر بريك والثانية أحمد بن الحاج، وتحركت قوات الكتيبة المتبقية جنوبا باتجاه الحدود الليبية، يذكر أحد جنودها المسمى العربي بلول أن القوات انطلقت من منطقة عين طاهر نحو جبل بوهلال قاصدين الحدود الليبية الجزائرية، وأن مجموعة من المناضلين التونسيين الموالين للسلطة اعترضوا طريقهم بجبل حلفاية جنوب قفصة وتحدثوا مع الطالب العربي الذي ابلغهم رسالة مكتوبة للسلطات العليا، وان أوامر الطالب العربي للدورية كانت تلح على تجنب لقاء القوات التونسية التي كانت تتظاهر بتقديم مساعدتها بنقل الجنود بواسطة شاحناتها[48].

وتؤكد شهادة العربي بلول أن الرحلة كانت شاقة وأدت الى تخلف بعض المجاهدين، وعند الوصول الى جبل الحواية بالجنوب التونسي منع المجاهدون من الاستسقاء، ودخلوا في مواجهة مع الحرس التونسي في معركة ضارية يوم **20** جوان **1957**م خلفت قتلى وجرحى من الجانبين، وبعد استماتة وحصار طويل اضطرت قوات الطالب العربي للاستسلام، ولجأ الطالب العربي وأربعة من جنوده للاختفاء بإحدى الكهوف، ولكن قوات الحرس التونسي- بقيادة الرائد مصباح جربوع تمكنت من اكتشاف المخبأ وفضل الطالب

العربي وجنوده المكي بن علي وسالم الشويرف وعطية بحير والعربي بلول تسليم أنفسهم[49].

وحسب تقرير محمود الشريف إلى أوعمران فان الطالب العربي استقال ورجاله فضلوا خيار الاستسلام: "في منتصف هذا اليوم (**13** مايو) سلم (السوافة) أنفسهم، وأعلنوا اعترافهم بسلطة لجنة التنسيق والتنفيذ"، ويضيف صاحب التقرير أنه بعد استقالة الطالب العربي فإن "مسؤولي الوحدات الجدد نقلناهم خارج الأراضي التونسية للاتصال بهم هناك. وسنوزعهم على الوحدات الأخرى إذا اقتضى الأمر". ويؤكد التقرير أن لزهر شريط ورجاله سلموا أنفسهم أيضا في نفس اليوم، ولم يبق من "المشوشين" -في التراب التونسي- غير عناصر مسعود عايسي والباهي شوشان[50].

ويبدو أن الطالب العربي الذي كان معزز الجانب فضل الاستسلام للقوات التونسية بعل الدخول في مجابهة مع إخوانه التونسيين، وخاصة بعد أن استسلم عدد من جنوده وقتل بعضهم، ولم يكن يعتقد أن يلقى منها معاملة سيئة كالتي لاقاها، ويبدو أن القوات التونسية التي كانت ترتدي الزي المدني وتحمل العلمين التونسي والجزائري استولت على غنائم الجنود الجزائريين وسلمته للجنة التنسيق والتنفيذ ملتمسة تسليط أقصى العقوبات عليه[51]، وقد رفع محمود الشريف تقريرا للجنة التنسيق والتنفيذ مؤرخ في **23** سبتمبر **1957**م تحدث فيه عن حالة الطالب العربي بالقول: إن السلطات التونسية ألقت القبض عليه هو وجنوده، وعلى عدد من المدنيين اللاجئين الذين اشتبهت في دعمهم له، وأنها غنمت من العملية العسكرية أسلحة كثيرة وذخيرة حربية وسيارات وأموال وذهب وفضة[52].

وقد ظل مصير الطالب العربي بعد أسره مجهولا الى أن أعدم في جويلية **1957**م، وأما مصير مساعديه وجنوده فتفيد شهادة العربي بلول أنه ورفاقه

الثلاثة تم فصلوهم عن الطالب العربي ونقلوهم رفقة ثمانية عشر جنديا الى مطماطة بينهم تونسيون محكوم عليهم بالإعدام وعدد من الجزائريين، ويذكر منهم علي مصطفى وخليفة قادي، وتؤكد الشهادة أن مصير هؤلاء ظل مجهولا، وأن البقية من جنود الطالب العربي تم نقلهم الى قابس، ثم وزعوا على مجموعتين، الأولى أودعت سجن سوسة والثانية صفاقس، وكانت تظم المجموعة الثانية نحو مائة وأربعون مجاهدا ما لبث أن حولت إلى تونس العاصمة وأطلق سراحها مباشرة بعد تأسيس الحكومة المؤقتة في سبتمبر **1958**م، وذلك بحضور عدد من وزراء الحكومة ومنهم كريم بلقاسم الذي ترحم وأثنى على جهاد الطالب العربي[53].

إنه وعلى الرغم مما قيل عن مواقف الطالب العربي فإن هذا المجاهد الشهم اجتهد في خدمة الثورة التحريرية، وكان يؤكد على وحدة الكفاح المشترك بين اليوسفيين التونسيين وبين الجزائريين ويرفض تسليم الأنصار الحقيقيين الذين عضدوا الثورة الجزائرية والتزموا بخطها الثوري المغاربي لسلطة بورقيبة، وأنه لا يقبل أعذار السياسة الواقعية لقادة الثورة الجدد ويرفض مهادنة من تعاونوا على ضرب الثورة واعترضوا قوافل أسلحتها، وهكذا استمر التحالف بين مجاهدي وادي سوف والثوار اليوسفيين قويا إلى غاية صيف **1957**م، ورغم انتهاء التحالف الضمني فان صالح بن يوسف المعارض في القاهرة كان يصبغ بأفكاره ومواقفه تحالفا سياسيا مع الثورة الجزائرية خاصة وأن أخطاء السياسة البورقيبية كانت تزيد في شعبيته وتجذر خياره الثوري.

لقد قدمت السلطات التونسية طالب العربي للجنة التنسيق والتنفيذ لتحاكمه، ويبدوا أن المحاكمة -التي لا نعرف تفاصيلها- تمت بسرعة، وصدر في حقه حكم بالإعدام نفذ سريعا، لقد كانت لجنة التنسيق والتنفيذ صارمة في حكمها ومتسرعة، فهل يعود ذلك ليقينها بتسبب الطالب العربي

في مشكلات حقيقية ومعارضته لقرارات القيادة، أم أن حكمها كان بمثابة قربانا للسلطات التونسية التي طلبت اتخاذ أقصى العقوبات في حق حليف معارضتها؟ سؤال يبقى مطروحا في الغموض الذي رافق محاكمة قادة اوراس النمامشة المعارضين للجنة التنسيق والتنفيذ، وهكذا كانت نهاية هذا البطل المغوار أليمة في جويلية **1957**م، تأثر لها أنصاره ومحبوه وسجلها التاريخ باعتبارها إحدى الماسي التي ذهب ضحيتها رمز من رموز الثورة، وقد حاكمته لجنة التنسيق والتنفيذ رفقة قادة الأوراس النمامشة مع رفاقه السوافة عبدالحي السعيد وعبدالكريم هالي، وصدر حكم إعدام جماعي في حق ستة عشر قائدا، وقد تم إعادة الاعتبار للشهيد الطالب العربي ڤمودي الذي أعيد دفن جثمانه بمربع الشهداء بالعالية يوم **5** جويلية **1985**م، وذلك بمناسبة الذكرى الثالثة والعشرون للاستقلال، أسوة بعباس لغرور والسعيد عبد الحي وعدد من مساعديهما.

- الخاتمة:

تناولنا في البحث مسيرة الطالب العربي الثورية، وقد بدئها بالنضال في الحركة الوطنية، ثم الانضمام للثورة التحريرية وقيادة منطقة سوف التابعة للأوراس، وانتهى بقيادته للجبهة الحدودية، حيث قام بأدوار مهمة في التجنيد والعمل الثوري وتمرير السلاح، ويبدو لنا من خلال ما سبق عرضه أن شخصية الطالب العربي شخصية قيادية متميزة، عرفت بخبرتها العسكرية وحنكتها السياسية، وهو ما أهله لقيادة جبهة الحدود الجنوبية والنهوض بأدوار ثورية هامة.

وقد نهض الطالب العربي بمهمة تمثيل الثورة وتنسيق نشاط الثورة مع الحركة اليوسفية، ونجح في تمرير الأسلحة الى منطقة الأوراس والصحراء.

ويبدوا أن مواقفه المتمسكة بمبادئ الثورة الأولى وموالاة لابن بلة وأنصاره، ووفائه لمشروع وحدة المغرب العربي جلبت له مشاكل مع قيادة لجنة التنسيق والتنفيذ والسلطة التونسية اللتين أصرتا على التخلص منه، وبذلك تم القضاء على جيشه وسجنه وإعدامه عام **1957**م، ولأنه كان ضحية لصراع السلطة تمت اعادة الاعتبار له، وسميت باسمه عدد من المؤسسات وإحدى بلديات ولاية وادي سوف.

- الهوامش:

1- سعد العمامرة والجيلالي العوامر: شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، مطبعة النخلة، بوزريعة، ص**35**.

2- المرجع نفسه، ص**35**.

3- محمد عباس: شيحاني بشير، جريدة الشروق، ع**21**، ديسمبر **2009**م.

4- عوادي عبد القادر: الشهيد الطالب العربي قمودي، مجلة أول نوفمبر، ع**77**، **1986**م، ص**51**.

5- محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، تر كميل داغر، مؤسسة الابحاث العربية ودار الكلمة، بيروت، **1983**م، ص**160**.

6- شهادة عدد من المجاهدين منهم السيد علي كرامي ومسعود بن علي، واد سوف، **2006**م.

7- سعد العمامرة والجيلالي العوامر: المرجع السابق، ص**37**.

8- مقلاتي عبد الله: قاموس اعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، **2009**م، ص**425**.

9- سعد العمامرة والجيلالي العوامر: المرجع نفسه، ص**38**.

10- مقلاتي عبد الله: العلاقات الجزائرية المغاربية والافريقية إبان الثورة التحريرية، دار السبيل، الجزائر، **2009**م، ج **1**، ص**326**.

11- أنظر: شهادة الطاهر لسود، أرشيف المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية التونسية، منوبة.

12- أنظر: تقرير رئيس مركز تطاوين عن نشاط تهريب الأسلحة مؤرخ في **24** نوفمبر **1955**م أرشيف مصلحة الجيش البري.

SHAT: **2**H. **314** .DOS **1**

13- أنظر: تقرير رئيس مركز القصرين العسكري مؤرخ في **6** أفريل **1956**م.

SHAT, **2** H , ,**310** .DOS **1**

14- أنظر: تقرير عن نشاط تهريب الأسلحة في الصحافة الفرنسية

S.H.A.T. **2** H , **312**,DOS **3**

15- تقرير الاستخبارات لمقاطعة الجنوب التونسي العسكرية في الفترة من **26** مارس إلى **10** أفريل **1956**م؛ وتقرير اللواء غالبون قائد المنطقة الجنوبية لشهر مارس **1956**م.

S.H.A.T. **2**H **312** .DOS **2**

16 Amira aleya SGHAIER : les tunisienne et la révolution algérienne in actes du **1** congrés du forum d'histoire contomporaine sur méthodologie de l'histoire des mouvements nationaux au maghreb. publications .FTRESI.. Tunisie. **1998**. p-p **117-118**.

17- أنظر شهادة أحمد محساس مقابلة مع الباحث، الجزائر، **2005**م. وعبد الحميد الهلالي: سكان سهول مجردة العليا وجبال خمير: بين تصفية الاستعمار والتواصل مع الثورة الجزائرية **1954-1962**، مجلة روافد: يصدرها المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، ع**10**، **2005**م، ص**225**، **226**.

18 Amira aleya SGHAIER: op cit. p **124**.

19- أنظر: عبد الحميد الهلالي: المرجع السابق، ص**248**.

20- أنظر: تقرير استخباراتي لمقاطعة الجنوب التونسي خلال الفترة من **25** مارس إلى **10** أفريل **1956**م.

S.H.A.T. **2** H, **312**, DOS **2**

21- أنظر: تقرير حاكم مقاطعة الجنوب التونسي مؤرخ في **8** فيفري **1956**.

S.H.A.T .**2** H, **312** DOS **3**

22- تؤكد شهادة علي فارس (كاتب عباس لغرور) أن لغرور لم يكن يجاهر بتحالفه مع اليوسفيين, وأنه كان يتعامل مع الجميع من اجل مصلحة الثورة، شهادة علي فارس، مقابلة مع الباحث، تبسة **2005**م.

23- أنظر شهادة الوردي قتال , مقابلة مع الباحث، تبسة، **2005**م.

24- تقرير دائرة الاستخبارات لقيادة الجيش الفرنسي بتونس بتاريخ **28** جويلية **1956**م.

S.H.A.T. **2** H **313** .DOS **3**.

25- أنظر: الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة، ط**2**، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، **1990**م، ص**154**.

26- أنظر شهادة الطاهر لسود: سبق ذكرها، وعروسية التركي: فصول في تاريخ الحركة الوطنية في تونس المعاصرة، مكتبة علاء الدين، صفاقس, **2005**م، ص**196**، **197**.

27- أنظر: شهادة بشير القاضي: جيش التحرير المغاربي **1948-1955**م، المرجع السابق، ص **176**.

28- أنظر: رسالته إلى القائد العسكري الميداني كمال المرزوقي بتاريخ **10** جويلية **1956**م، كتابة الدولة للشؤون الخارجية (تونس): كتاب أبيض في الخلاف بين الجمهورية التونسية والجمهورية العربية المتحدة، المطبعة الرسمية، تونس، ديسمبر **1958**م، ص**80-88**.

29- كتابة الدولة للشؤون الخارجية (تونس). المصدر نفسه، ص**87**.

30 Amira aleiya SGHAIER: op cit. p-p **120-121**.

31- أنظر كتابة الدولة للشؤون الخارجية (تونس): المصدر نفسه، ص**81**، **82**.

32- المصدر نفسه.

33- أنظر شهادة أحمد محساس مسؤول قاعدة تونس، محادثة شخصية، الجزائر، **2005**م.

34- أنظر عمار السوفي: عواصف الاستقلال، رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي، مطبعة الرشيد، تونس، **2006**م، ص**199**.

35- في خطبه للشعب التونسي وأثناء اجتماعاته بالقادة الجزائريين انتقد بورقيبة مرارا سلوك الطالب العربي الذي يثير القلاقل في الجنوب، وهذا ما شهد به اعمران في احى مقابلاته مع بورقيبة، انظر تقرير اوعمران، علي زغدود: صفحات من ثورة التحرير الجزائرية، متيجة للطباعة، الجزائر، **2006**م، ص**153**.

36- شهادة أحمد محساس، محادثة شخصية، الجزائر، **2005**م.

37- الديب فتحي: عبد الناصر وثورة الجزائر، ط**1**، دار المستقبل العربي، القاهرة، **1984**م، ص**673**، **674**.

38- محمد زروال: دور المنطقة السادسة من الولاية الاولى في الثورة التحريرية، دار هومة، الجزائر، **2011**م، ص**69**.

39- العربي بلول: شاهد على ثورة التحرير المجاهد العربي بلول **1956-1962**م، اصدار دار الثقافة، وادي سوف، **2010**م، ص**38**.

40- محمد زروال: المرجع السابق، ص**27**.

41- محمد زروال : المرجع السابق، ص**74**.

42- شهادة المجاهد العربي بلول: المصدر السابق، ص**39**.

43- تقرير محمود الشريف للجنة التنسيق والتنفيذ عن لقائه بواليي قفصة وسبيطلة.

44- مذكرة كتبها علي بن يونس براكتي واوردها زروال، محمد زروال: المرجع السابق، ص**143**، **144**.

45- العربي بلول: المصدر السابق، ص**39**، **40**.

46- هذا ما أكده مرافق عميروش، كانتبه حسين بن معلم، حسين بن معلم: مذكرات اللواء حسين بن معلم، دار القصبة، الجزائر، **2014**م، ص**119**.

47- وقد قيل في سبب انتقاله إلى بني خداش انه جاء لمناصرة عناصر تونسية وقعت في الأسر، واستعانت السلطات التونسية بقوات المقاومين المستسلمين الذين كانوا إلى جانبه بالأمس، وقيل انه كان متوجها نحو ليبيا للتزود بالسلاح، انظر شهادة فارس علال: سبق ذكرها، وعمار السوفي: بني خداش وجيرانها عبر الحركات النضالية، من الحركة التمردية إلى المقاومة اليوسفية، ط**1**، مطبعة الرشيد، تونس، **2001**م، ص**138**، **139**.

48- العربي بلول: المصدر السابق، ص**40**، **41**.

49- المصدر نفسه، ص**41**، **42**.

50- أنظر نص التقرير الذي أورده محمد زروال: اللمامشة في الثورة، المرجع السابق، ص**379**، **380**.

51- في رسالة لمحمود الشريف الى لجنة التنسيق والتنفيذ يذكر انه توجه بطلب إلى والي قفصة التونسية بتاريخ **29-6-1957** يطلب فيه إعادة الأموال والأسلحة والسيارات التي احتجزت، ولم يحصل منه على إجابة، انظر نص الرسالة محمد زروال: دور المنطقة السادسة...، المرجع السابق، ص**74**.

52- محمد زروال: المرجع نفسه، ص **80**.

53- شهادة العربي بلول: المصدر السابق، ص**43**، **44**.